
الإمام
الصادق المهدي
الفكاهة
ليست عبثا
مكتبة جزيرة الورد

الفكاهة ليست عيبا

هذا الكتاب

الإنسان محتاج لعناصر مادية معينة؛ لكي يعيش هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان. إنه محتاج للهواء، والماء، والغذاء بكميات معينة والا هلك. إن للغذاء نفسه مكونات ينبغي توافرها الدهنيات، والبروتينيات، والفيتامينات والأملاح. ولكن، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. إن القراءة الواعية لحقائق الإنسان الفردية، والاجتماعية، والتاريخية تؤكد أن حياته لا تسعد وتستقر وتزدهر إلا إذا توافرت له عشر حاجات أساسية هي: الحاجة المادية، والروحية، والخلقية، والعاطفية، والمعرفية، والاجتماعية، والفنية، والرياضية، والبيئية، والترويحية.

إن النظرة الجزئية للإنسان نظرة هازلة فإن قلت: إن حاجة الإنسان الوحيدة هي الحاجة المادية وسعيت في توافرها وحققتها فإنك لن تحقق للإنسان استقرارا ولا سعادة بل ستخلق له تشوقا وتطلعا للحاجات الغائبة. كذلك إن قلت: إن حاجة الإنسان الوحيدة هي الحاجة الروحية وسعيت في توافرها وحققتها فإنك لن تحقق للإنسان استقرارا ولا سعادة بل ستخلق له تطلعا للحاجات الغائبة.

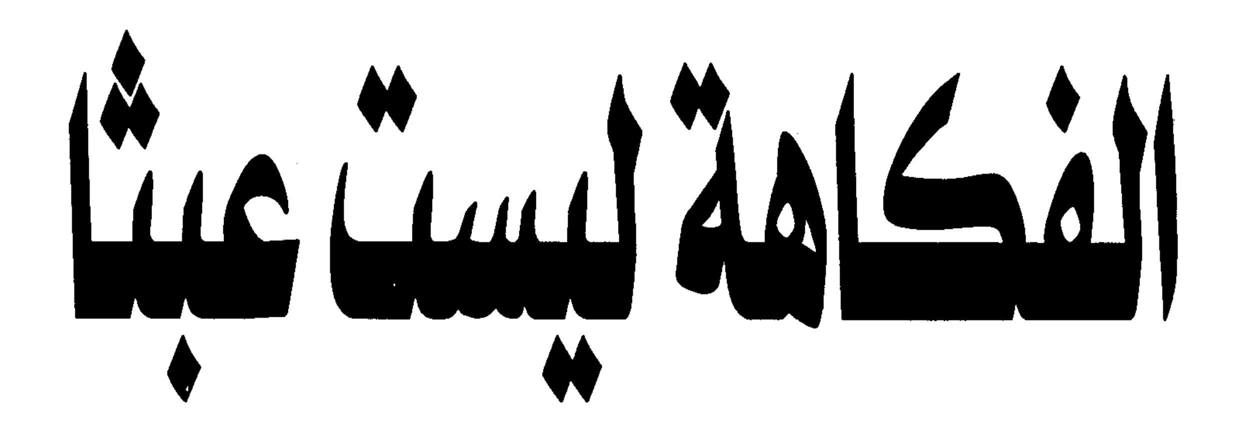
إن النظرة الجادة للإنسان هي التي تتخلى عن النظرات الجزئية وتلتزم الإحاطة. فمن كان جادا في الحياة فإنه يستبين مطالبها الأساسية ويسعى لتحقيقها على الصعيد الفردي والاجتماعي.

إن الفكاهة تقع ضمن حاجات الإنسان الترويحية، وإن أغفلها الإنسان أو أقام حياته على الصرامة والعبوس، فإنه حتما يخلق توترا نفسيا واجتماعيا رهيبا.

الجزء الأول من هذا الكتاب هو سياحة في فلسفة الضحك، تعريفه وبحث دواعيه ووظائفه، إضافة إلى الحديث حول الضحك والفكاهة في الإسلام، ومع أن هذا الجزء كتب بعد الأجزاء الثاني والثالث والرابع، فقد أضفته في بداية الكتاب ليكون مدخلا لتلك الأجزاء التي كتبت في مناسبات مختلفة



مكتبة جزيرة الورد
القاهرة: ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت: ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
www.gwbook.net
E-mail:tokoboko_5@yahoo.com



الإمام الصادق المهدي

البقعة في سبتمبر ٢٠٠٦م



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الفكاهة ليست عبثًا

المؤلف : الإمام الصادق المهدي

رقم الإيداع :

٢٠١٠/٢٣٦٠٤

الطبعة الأولى ٢٠١٠



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com

«إنَّ هذه القلوب تَملُ كمــــا تمـــل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم»

الإمام علي بن أبي طالب



مدخل

كتب الإمام الصادق المهدي هذا الكتاب في مناسبات مختلفة كما وضح في المقدمة، وكان الكتاب قد أعد للنشر بصورته الأولى منذ العام ١٩٩٣م، ولكن محاولات نشره لم تفلح من قبل.

الآن وفي العام ٢٠٠٦م قام المؤلف بتنقيح الكتاب وإضافة بعض الفقرات في أجزائه.

كما قمنا نحن في مكتبه الخاص بإضافة التراجم للأعلام والترجيع للمراجع خاصة في القرآن الكريم والحديث الشريف ما أمكننا ذلك، وذلك سيرًا على الخط العام المجاز لدينا بالاتفاق مع المؤلف، وذلك زيادة للفائدة خاصة لدى الأجيال الناشئة.

ونعتذر عن عدم تمكننا من تغطية جميع الأعلام خاصة الأعلام السودانية لقلة المراجع في هذا الخصوص، كما نعتذر عن أي قصور فيما ورد من تعريفات، مؤكدين أن المسئولية عن القصور في التعريف بالأعلام أو توضيح الأحداث المذكورة في الكتاب راجعة لنا في المقام الأول.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في مراجعة الأخطاء الطباعية في الكتاب خاصة الحبيب يوسف حسن محمد يس والحبيب محمد صالح مجذوب.

سكرتارية المعلومات والدراسات والنشر

المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي

أغسطس ٢٠٠٦م

مقدمة

الإنسان محتاج لعناصر مادية معينة؛ لكي يعيش هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان. إنه محتاج للهواء، والماء، والغذاء بكميات معينة وإلا هلك، إن للغذاء نفسه مكونات ينبغي توافرها الدهنيات، والبروتينيات، والفيتامينات والأملاح. ولكن، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. إن القراءة الواعية لحقائق الإنسان الفردية، والاجتماعية، والتاريخية تؤكد أن حياته لا تسعد وتستقر وتزدهر إلا إذا توافرت له عشر حاجات أساسية هي: الحاجة المادية، والروحية، والخلقية، والعاطفية، والمعرفية، والاجتماعية، والفنية، والرياضية، والبيئية، والترويحية.

إن النظرة الجزئية للإنسان نظرة هازلة فإن قلت: إن حاجة الإنسان الوحيدة هي الحاجة المادية وسعيت في توافرها وحققتها فإنك لن تحقق للإنسان استقرارًا ولا سعادة بل ستخلق له تشوقًا وتطلعًا للحاجات الغائبة. كذلك إن قلت: إن حاجة الإنسان الوحيدة هي الحاجة الروحية وسعيت في توافرها وحققتها فإنك لن تحقق للإنسان استقرارًا ولا سعادة بل ستخلق له تطلعا للحاجات الغائبة.

إن النظرة الجادة للإنسان هي التي تتخلى عن النظرات الجزئية وتلتزم الإحاطة، فمن كان جادًا في الحياة فإنه يستبين مطالبها الأساسية ويسعى لتحقيقها على الصعيد الفردي والاجتماعي.

إن الفكاهة تقع ضمن حاجات الإنسان الترويحية، وإن أغفلها الإنسان أو أقام

حياته على الصرامة والعبوس، فإنه حتما يخلق توترًا نفسيًّا واجتماعيًّا رهيبًا.

الجزء الأول من هذا الكتاب هو سياحة في فلسفة الضحك، تعريفه وبحث دواعيه ووظائفه، إضافة إلى الحديث حول الضحك والفكاهة في الإسلام، ومع أن هذا الجزء كتب بعد الأجزاء الثاني والثالث والرابع، فقد أضفته في بداية الكتاب ليكون مدخلا لتلك الأجزاء التي كُتبت في مناسبات مختلفة بيانها كالتالي:

عندما وقع انقلاب ٣٠ يونيو ١٩٨٩م في السودان تجنب أحد الدروس السياسية التاريخية فاستعد كل القوي الفكرية والسياسية والنقابية في السودان ما عدا شريحة واحدة، لقد حرص النظام الجديد منذ بدايته وبصورة مدهشة على توحيد أهل السودان ضده، ونتيجة لهذه الحماقة وجدنا أنفسنا معشر مفكري، وساسة ونقابيّ السودان في سجن كوبر، وأقبل علينا عيد استقلال السودان في أول يناير ١٩٩٠م ورأينا ألا نحتفل باستقلال السودان بطريقة تقليدية فاتفق أن يكون الاحتفال في شكل: أناشيد، وقصائد، وبرامج رياضية، وأن يتاح لبعض أصحاب الذكريات منا أن يحدثوا الآخرين عن طرائف ذكرياتهم وطلب مني منظمو الاحتفال أن أخاطب الحاضرين بنوادر ذكرياتي. فاستجبت وخاطبت زملائي بحديث من فصلين: الأول: بيان لمواقف مضحكة عايشتها والثاني: تسجيل لمواقف مدهشة مرت بي.

الجزء الثاني: من هذا الكتاب: هو عبارة عن سرد منقح لذلك الحديث.

كان ذلك الحديث محاولة ابتسام في ظروف عابسة، وفي يوم ٨ يناير ١٩٩٠م نقلت إلى منزل د. الشيخ محجوب الذي تبرع به سخيًّا مشكورًا لتكون فيه إقامتي الجبرية، وهي إقامة تقلبت بين السماح لأسرتي أن تقيم معي حينا ومنعها أحيانا وكان كل شخص أو شيء داخل إلى مكان إقامتي يفتش تفتيشًا دقيقًا مما جعل المقام أشبه ما يكون بسجن خاص يحيط به الحراس كالسوار بالمعصم، وفي الفترات التي أقام فيها أفراد

أسرتي معي وضعنا برنامجا محددا للاستفادة روحيا وثقافيا ورياضيا من وقتنا وكان يوم الخميس من كل أسبوع يوما خاصا نتخذ فيه برنامجا خفيفا ترفيهيا وكان نصيبي من هذا البرنامج أن أقص بعض النوادر والملح وأن أنشد بعض عيون الشعر العربي.

الجزء الثالث: من هذا الكتاب هو عبارة عن عشر حلقات من النوادر والملح التي رويتها في أيام الخميس المذكورة.

أقدم جزء من الكتاب يرجع إلى عهد الظلام العسكري الثاني، فبعد إعلان قوانين سبتمبر ٨٣ وتسميتها بـ(الإسلامية) هالني ما قد تجره مثل تلك التجارب الفاشلة على الإسلام من تشويه فخاطبت الناس في عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٠٣هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٨٣م، موضحا فرائض الإسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي بدونها يبطل ادعاء أي نظام للأسلمة مهما طبق من حدود ورفع من رايات كما أنه تبطل أية عبادة ما لم تراع فرائضها المعلومة، وكانت نتيجة ذلك أن اعتقلت وعدد من زملائي في سجن كوبر في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٣م، وبينما نحن في السجن كنا على إحاطة تامة بالجرائم التي ترتكب باسم الدين وفي خضم ذلك التلاعب أشير لثلاث حوادث كان لها في نفسي أثر كبير:

- كنا في السجن كعادتنا نقيم حلقات للعبادة والنقاش الفكري ونحدد أوقاتا للرياضة البدنية، وكنا نحرص على إقامة العلاقات الودية مع غيرنا من السجناء والمعتقلين، وقد تأثر أحد المعتقلين -وكان مسيحيًّا يُدعى جون من جنوب السودان- تأثر بحسن المعاملة وكان يلازمنا حتى أعلن إسلامه، وبينما هو حديث الإسلام جاء بعض السجانين يحمل أيد مقطوعة تسيل دماؤها، ومعلوم أن غالبية من قطعت أيديهم كانوا فقراء يكاد سوء التغذية وضعف الدم أن يفتك بهم!! إن قطع أيدي هؤلاء بموجب نصوص مبتسرة وتطبيقات غوغائية لحد السرقة هالنا، ولكن بالنسبة لجون

فقد طرده هذا المنظر من دينه الجديد، فارتد وأعلن تخليه عن الإسلام!!

- سرق بعض المواطنين أسلاكا كهربائية، وقدموا لمحكمة الطوارئ رقم ٢ برئاسة القاضي فؤاد عبد الرحمن الأمين، وأصدرت المحكمة أحكاما متعددة على المتهمين أهمها الحكم على المتهم الأول صديق رمضان مهدي بالقطع من خلاف والغرامة ٢٠٠٠ جنيه، لقد صدر ذلك الحكم لمجرد أن رئيس النظام ألقى خطابا أشار فيه لحادثة السرقة (والتي كانت لا تزال تحت نظر القضاة) وقال: إن هؤلاء الجناة يستحقون القطع من خلاف، فطابق حكم المحكمة هواه! وجيء بصديق هذا للسجن، وكنت في شك من أن الحكم سيطبق، وهول من أن يحدث ذلك، فإذا به يطبق، ودون مراعاة لشبهة الملكية؛ (لأن المال العام ملكيته عامة)، والتي تدرأ الحد!

- في أثناء إلقاء خطاب رئيس الجمهورية بمناسبة الاحتفال بعيد حركته في مساء يوم ٢٤ مايو ١٩٨٤م وجد جعفر محمد نميري[1] نفسه يقرأ نصوصًا إسلامية تركز على التسامح والعدالة مثل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[2] وغيرها من نصوص الكتاب والسنة التي أدخلها كتّاب الخطاب، وكان هذا الاتجاه مخالفًا لتوجهه باللجوء للإسلام لاستخدامه كعصا غليظة لترهيب المعارضين. لذا، وبعد أن عدد حقوق الإنسان في الإسلام وضع رئيس الجمهورية النص المكتوب وقال مرتجلاً:

(١) جعفر محمد نميري (ولد ١٩٣٠) قاد مع مجموعة من صغار الضباط انقلابا في ٢٥ مايو ١٩٦٩م وكان يساري التوجه بادئا. في يوليو ١٩٧١ انقلب عليه حلفاؤه الشيوعيون فتغلب عليهم وبطش بهم وأباد جل قياداتهم. وتحول للمعسكر اليميني، وصار عميلاً للولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة. واجه حكمه انتفاضات شعبية مدنية ومسلحة عديدة ثم توج الرفض الشعبي لحكمه بالنصر في انتفاضة ٦ أبريل ١٩٨٥م المدنية التي تضافرت معها القوات المسلحة السودانية، فاتحة الباب للديمقراطية الثالثة في السودان. ظل في مصر هاربًا من المساءلة وعاد للبلاد مؤخرا في إطار اتفاق مع نظام «الإنقاذ»، وانضم حزبه «تحالف قوى الشعب العاملة» في مارس ٢٠٠٥ إلى حزب المؤتمر الوطني.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥.

(ولكن الإسلام له طوارئ .. وعندما نرى المجتمع قد فسد وانحرف انحرافًا شديدًا ندخل البيوت .. نضبط ونفتش .. نفتش الناس في كل مكان) ثم قال في نفس الخطاب بعد أن ذكر وجود معارضين له: أن هؤلاء لا يستحقون أن يحاكموا بالقانون السمح (قانون الشريعة الإسلامية بضوابطه المعلومة) بل يجب أن يحاكموا بالقانون البطال!

كان من أثر هذه الوقائع مع غيرها من انتهاكات للعدالة، الإسراع ببيان ماهية النظام الإسلامي، فكتبت كتاب «العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الإسلامي» وكتيب «النظام السوداني وتجربته الإسلامية» هذا على الصعيد الفكري والعام، أما على الصعيد الأدبي، فقد انفعلت بتأليف «المقامة الجعفرية الأولى: رسالة الترويع بالتشريع» والتي وزعت على نطاق محدود جدًّا.

الجزء الرابع من الكتاب هو: تلك «المقامة الجعفرية» والتي تنتقد التجربة المايوية الإسلامية في شكل من أشكال الأدب الضاحك!

وقد أضفت للكتاب في شكله النهائي بعض الكاريكاتيرات التي أعجبتني نشرت في الصحف اليومية، أو في مواقع في الإنترنت، أو في كتب.

لقد اقترح عليّ بعض الأصدقاء نشر هذه المدونات مساهمة في الاهتمام بأدب الفكاهة، وتجاوبًا مع تيار نفسي واجتماعي سوداني عام يستخدم أدب الفكاهة للتعبير عن فكره، وشعوره نحو العذاب الذي فرضه عليه نظام «الإنقاذ» وللتعبير عن تطلعه للإنقاذ من «الإنقاذ» لقد أحال الإنقاذ السودان الواعد إلى جحيم لا يطاق! وأسرعت النكات تعبر عن مشاعر أهل السودان، فراجت مائة نكتة أو يزيد تترن بين السودان وجهنم! وكل عزمات الناس أولها كلام!

الصادق المهدي

البقعة في أغسطس ٢٠٠٦م

الجزء الأول

في أدب الفكاهة



من الجدية بمكان أن نعرف دور الفكاهة في الحياة الموزونة، ومن الهزل بمكان أن نغفلها ونحاول إقامة الحياة دونها. النظرة الجادة -أي: المحيطة- للحياة تعترف بدور الترويح والفكاهة فيها.. كذلك تعترف النظرة الجادة للحياة بدور الحاجات التسع الأخرى وضرورة إشباعها إشباعاً موزوناً.. تلك هي الحجة النظرية، ولكن بصرف النظر عن التنظير، لا نجد مجتمعاً إنسانياً واحداً خلا من أدب الفكاهة.. التراث الفرعوني، والبابلي، والآشوري، واليوناني، والروماني، والعبري، والعربي القديم زاخر بأدب الفكاهة ودليل على دورها النفسي والاجتماعي في حياة البشر.

الفكاهة والألفاظ المقاربة في اللغة

إن لغة العرب ليست وسيلة تعبير فحسب، ولكنها أيضاً ديوان العرب وموسوعة معارفهم. ولبيان آرائهم عن الفكاهة فإنني سوف أستعرض ما جاء في الموضوع في لسان العرب لابن منظور[1].

قال الجوهري[2]: الفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل فهو فكه، إذا كان طيب النفس مزاحًا، والفكاهة المزاح. وفي حديث أنس: كان النبي ﷺ من أفكه الناس مع صبي. وفي حديث آخر أنه « **كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه**». . وقال أبو زيد[3]: رجل فكه وفاكه وفيكهان، وهو الطيب النفس المزاح.

مزح: المزاح هو: الدعابة. المزاح نقيض الجدّ. قال الأزهري[4]: المزاح من الرجال هم الخارجون من طبع الثقلاء المتميزون من طبع البغضاء.

---

(١) ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأنصاري (٦٣٠هـ- ٧١١هـ) لسان العرب- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر- الدار المصرية للتأليف والترجمة- سلسلة (تراثنا)- القاهرة- ٢٠ جزء.

(٢) أبو نصر الجوهري (٣٣٢هـ - ٤٠٠هـ) صاحب كتاب تاج اللغة وصحاح العربية.

(٣) أبو زيد الأنصاري (١٢٢-٢١٥هـ) صاحب كتاب النوادر في اللغة.

(٤) أبو منصور الأزهريّ (٢٨٢-٣٧٠هـ) صاحب كتاب تهذيب اللغة.

دعب: دعابة مداعبة داعبه – أي: مازحه، والاسم الدعابة والمداعبة. والمداعبة الممازحة، وفي الحديث أن النبي ﷺ كان فيه دعابة –حكاه ابن الأثير[1] في النهاية. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لجابر[2] وقد تزوج:«أبكراً تزوجت أم ثيباً؟ قال: بل ثيباً»، فقال له : «**هلا تزوجت بكراً تداعبها وتداعبك**».

هزأ: والهزأ والهزؤ السخرية، ويقال هزئ به ومنه. ورجل هزأة، أي: يهزأ به الناس سخر منه، هزئت به سخرت منه، وسخرت به ضحكت منه وضحكت به.

هزل: الهزل نقيض الجدُّ. وتقول: هزل يهزل هزلاً قال الكميت[3]:

أرانا على حب الحياة وطولها　　　تجدُّ بنا في كل يوم ونهزل

الضحك: الضحك ظهور الثنايا من الفرح. وفي الحديث: يبعث الله السحاب فيضحك – جعل انجلاءه عن البرق ضحكاً كما يفتر الضحاك عن الثغر. ويقال: ضحكت الأرض إذا أخرجت نباتها وزهرتها. الضحك إذن ظاهرة محسوسة مشاهدة تجسدها حركة في الوجه وظهور الثنايا، ومن الضحك ما هو طيب ومنه ما هو خبيث ما كان منه نتيجة هزء وسخرية وهزل؛ فهو خبيث لذلك نسبت الفكاهة والدعابة لبعض أفعال وأقوال النبي ﷺ ، ولم تنسب له السخرية والهزل والهزء.

حول الضحك

ما هو الضحك؟ ولماذا يحدث نحن البشر إذا شاهدنا جمالاً رائعًا في البحر، أو

(١) مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر.

(٢) جابر بن عبد الله الأنصاري (١٦ق.هـ.٧٨هـ)جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان الأنصاري السلمي الخزرجي الفقيه. صاحب رسول الله ﷺ.

(٣) الكميت بن زيد بن جيش بن مجالد بن وهب بن عمرو الأسدي الشاعر ، الكوفى (٦٠-١٢٦هـ) كان أصما.

النهر، أو الشجر، أو المدر، أو القمر، أو الصخر، أو البشر لا نملك إلا أن نعجب به معبرين بإحدى عبارات الإعجاب: الله، يا سلام، ما شاء الله، أو أمثالها؟ كذلك هنالك مواقف إذا مرت علينا لا نملك إلا أن نبتسم أو نقهقه ها ها ها لماذا؟!

الضحك انفعال تنقبض له ١٥ عضلة من عضلات الوجه، ويصحبه تغيير في نبرة التنفس، إذا عرضنا إنسان العين لضوء قوي؛ فإنه ينكمش من تلقاء نفسه، وإذا تعرض الإنسان لموقف فكه؛ فإنه يضحك من تلقاء نفسه، هذا يشير إلى وجود صفتين هامتين للضحك:

أ. **الصفة الأولى**: هي أن الضحك يخدم غرضًا حيويًّا للإنسان، مثلما يخدم انكماش إنسان العين مع الضوء غرضا حيويا، الغرض الذي يخدمه الضحك هو إزالة التوتر من نفس الإنسان.

ب. **الصفة الثانية**: هي أن الضحك أكثر تعقيدًا من انكماش إنسان العين :لأن فيه جوانب حسية، وجوانب نفسية، الجانب الحسي : هو تقلص عضلات الوجه وانحسار الشفتين عن الأسنان واختلاف نبرة التنفس، أما الأثر النفسي فهو الابتهاج أو السرور. هنالك أحوال كثيرة ذات أثر نفسي مثل الضحك، ولكن الضحك يختلف عنها. فإذا هممت بإقناع شخص بحجة ما فإنك لا تستطيع أن تجزم بعد سماع الحجة أنه اقتنع بها، ولكن إذا عرضت شخصًا لموقف فكه؛ فإن ضحكه يؤكد لك أنك قد حققت ما تريد.

فالضحك هو انفعال حسي ونفسي بمواقف فكهة، وهو طبيعي في الإنسان بحيث لا يعرف مجتمع إنساني لم يمارس الضحك ويسجل أدبا للفكاهة.

قال أرسطو: «إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك!».. لقد أثبتت بعض الدراسات العلمية الحديثة أن في بعض الكائنات يوجد شيء شبيه للضحك

استجابة لبعض المؤثرات، ولكن ومع ذلك فإن هذه الدراسات تؤكد أن ضحكها يختلف عن الإنسان؛ لأنه يفتقد عنصر الوعي بالذات الذي يوجد في الضحك الإنساني.

الضحك والصحة:

بعض النظريات الطبية تنسب الصحة الجيدة للضحك؛ لأنه يحفّز إطلاق الإندورفينات endorphins، وقد أظهرت دراسة أنه، وخلال الضحك فإن النيوروإندوكرين neuroendocrine والهرمونات المتعلقة بالضغوطات تقل أثناء نوبات الضحك، مما يعضد من المزاعم بأن الفكاهة يمكنها أن تحرر الضغوط النفسية على الإنسان.

وقد بدأ بعض العلماء منذ ثمانينات القرن العشرين في تنظيم برامج للعلاج بالضحك، وقد رأى أحدهم مثلاً أن «برنامج العلاج بالضحك يمكنه أن يرتقي بنوعية الحياة للمرضى الذين يعانون من مشاكل مزمنة، وأن الضحك له تأثير فوري بالتقليل من الأعراض، وهو تأثير يمكن الحصول عليه بحثهم على الضحك لفترة من الوقت وبشكل منتظم».

وهنالك «يوجا الضحك» التي تزعم علاج العقل عبر تمارين الضحك[(١)].

وقد اعتبر بعض العاملين في حقل العلاج عبر الضحك أن ضحكة جيدة من القلب يمكن أن تساعد في التالي:

- تقليل الضغط النفسي: فالضحك يقلل من هرمونات الضغط النفسي.
- تقليل ضغط الدم: الأشخاص الذين يضحكون من القلب وبشكل منتظم

(١) انظر الموقع http://www.laughteryoga.org/about-laughter-yoga.php

يتمتعون بضغط للدم أقل من الآخرين. الضحك نفسه يرفع من الضغط في لحظته، ولكنه بعدها يقلل منه كما يتنفس الشخص بعدها بشكل أعمق.

- تحسين المزاج وتطوير عمل الدماغ.
- تعزيز جهاز المناعة؛ لأن الضحك يزيد من إنتاج الأجسام المضادة للالتهابات.
- حماية القلب: الضحك مقرونًا مع وجود روح فكاهية عالية يمكن أن يحمي من الذبحة الصدرية. وفي دراسة أجرتها جامعة ميريلاند الأمريكية اتضح أن ٤٠٪ من الأشخاص المصابين بأمراض القلب أقل ضحكًا في معظم الحالات، مقارنة بغير المصابين في نفس المجموعة العمرية.
- وصل الشخص بالآخرين، والشعور بالراحة الفورية[(١)].

كما وجدت للضحك تأثيرات كثيرة على الإنسان إذ يمكن عبر الضحك أن يفقد الإنسان وعيه.

لقد أظهر البحث أن الضحك يستخدم أجزاءً من الجهاز الليمبي limbic system ، وهو – أي: الجهاز الليمبي – الجزء البدائي من المخ الذي نستخدمه في العواطف، ويساعدنا في الوظائف الأساسية الضرورية للبقاء. تكوينان داخل هذا الجهاز يتعلقان بالضحك هما: الأميجدالا amygdala ، والهيبوكامبس hippocampus..

ومن أعراض بعض الأمراض: الضحك اللاطبيعي، أو المرضي كبعض أنواع الصرع والشلل الرعاش، وأيضًا بعض أنواع سرطان المخ وغيرها من الأمراض

(١) Humor and Laughter: Health Benefits and Online Sources
انظر الموقع http://faculty.washington.edu/chudler/laugh.html

التي تصيب الجهاز العصبي، والضحك غير الملائم أيضًا قد يكون عرضًا لمرض نفسي مثل: الهستريا، وفقدان الذاكرة.

يمكن تصنيف الضحك إلى عدة أقسام فرعية اعتمادًا على مدى ودرجة الضحك: القهقهة شبه الصامتة، والضحكات الطويلة بأنواعها، ويمكن اعتبار الابتسام كنوع من الضحك الصامت. بعض الدراسات تدل على أن الضحك يختلف طبقًا لنوع الشخص الضاحك، فالنساء يملن للضحك في شكل أقرب إلى النغم، والرجال عادة ما يضحكون بشكل أقرب للصهيل، أما الأطفال فيبدؤون الضحك في عمر حوالي ٤ أشهر. والضحك قد يستخدم كإشارة لكون الشخص جزءًا من جماعة، وقد يكون معديًا، فضحك أحدهم قد يثير ضحك الآخرين.

وقد اعتبر البعض أن للفكاهة دورًا كبيرًا في الحياة، وقد قال السير (دوجلاس نيوبولد)[1] ذات مرة في محاضرة له ألقاها في المركزالسوداني بالخرطوم في ٣٠ مايو سنة ١٩٤٠: «لا أعتقد أنه قد تمت الكتابة بشكل كاف عن دور الفكاهة والظرف في السياسة، أو في الثقافة، أو في الحياة، بينما الفكاهة لها دور كيماوي، فهي توقظ النسيج الأساسي لأفكارنا وتجاربنا.» ثم نقل نيوبولد بعد ذلك رأيا طريفا جدا للكاتب الصيني لن يوتانج يقول فيه: «إذا أرسلت خمسة من أفضل ممارسي الفكاهة في العالم إلي مؤتمر دولي، ومنحتهم السلطات المطلقة التي يملكها الحكام المستبدون، فإنهم سوف ينقذون العالم، لأن الفكاهة تترافق بالضرورة مع الإحساس الطيب والروح المعقولة، بالإضافة إلى قدرات ذهنية في منتهى الدقة تساعد على اكتشاف التناقض والسخف والمنطق الرديء». وقال نيوبولد: «إن الفكاهة تضرب في أعماق

(١) دوجلاس نيوبولد (سير) (١٨٩٤- ١٩٤٥) وقد كان يشغل منصب السكرتير الإداري في حكومة الاحتلال الثنائي في الفترة (١٩٣٩- ١٩٤٥م) وكانت له صداقة بالأديب المصري عباس العقاد.

جذور الثقافة، وتفتح الباب أمام العصر المعتدل المعقول في هذا العالم، وقد يكون من اللائق في المؤتمرات الدولية واللقاءات العلمية وغيرها من المناسبات الجادة أن يكون الافتتاح بعرض أحد الأفلام الضاحكة لميكي ماوس، فهذا الافتتاح قادر على أن يوقظ الإحساس بروح الفكاهة في صدور المشاركين، وأن يهيئ المناخ لمعالجة معقولة وسارة للمشكلات الصعبة»[1].

أسباب الضحك:

ولأهمية الضحك كظاهرة تساءل علماء النفس، والفلاسفة، وعلماء الاجتماع: لماذا نضحك؟

• **نظريات قديمة**: كان في اليونان قديما فيلسوفان: الفيلسوف الباكي هيرقليطس[2]، والفيلسوف الضاحك: ديمقريطس[3]. أما أفلاطون[4] فقد ذكر المضحكين والمضحكات في سياق البحث عن المدينة الفاضلة، وقال: إن الإنسان الكريم لا يعرف الجد إلا بالهزل على أن يشهد الهزل من العبيد والأجراء المسخرين

(١)رجاء النقاش الضاحكون ينقذون العالم في جريدة الإهرام العدد ٤٣٦٣٠- بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٠٦، ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

(٢)هرقليطس (٥٠٤ولد ق.ب) فيلسوف يوناني كان يُكَنَّى بالغامض؛ وقد اعتزل أهل مدينته لفسادهم، واتّخذ البراري والجبال، له مصنّف واحد في الطّبيعة.

(٣)ديمقريطوس (٤٦٠ ـ ٣٧٠ ق.م) فيلسوف يوناني عالج في مؤلفاته، فروع المعرفة الإنسانية المختلفة كالرياضيات، والفيزياء، وعلم الأخلاق، والأدب، واللغة. دُعي «الفيلسوف الضاحك» بسبب مزاجه المرح.

(٤)أفلاطونPlato (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) فيلسوف يوناني. واسمه الحقيقي أرستوكليس. ولد من عائلة غنية وبارزة، وكلمة أفلاطون كنية تعني ذا الكتفين العريضتين . وكان أفلاطون من أتباع سقراط، وعرفه أفلاطون وهو شاب صغير. ويُعَدّ أفلاطون، هوَ وسقراط و أرسطو، واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية.

ولا ينغمس فيها بنفسه[1]، أما أرسطو[2]: فيعتقد أننا نضحك على الأفراد الأدنى أو الدميمين لأننا نشعر بالمتعة لكوننا أفضل منهم[3]. وحسب دارون[4]، فإن دغدغة الخيال مماثلة لدغدغة الجسد، ويعطي مثالاً على ذلك ضحك الأطفال. وكذلك تحدث الدغدغة الفكرية من خاطر غير معهود ولا معروف من قبل، ويبدو أن العنصر القوي في تكوين الضحكات يعود إلى عامل طارئ، أو منافر يقع في سياق التفكير. وقد أحصى داروين بدقة عوارض الضحك على الوجه والجسم. ويختلف داروين عن ألفرد ولاس حول الملكة الخصوصية عند الإنسان مثل ملكة الفكاهة وملكة الإدراك الرياضي، والحس الموسيقي وما إلى ذلك. والفيلسوف الألماني كانط[5] يذهب إلى أن الضحك ينشأ من التوقع الذي ينتهي فجأة بدون جدوى[6]. وشوبنهور[7] يعتبره ناتجا عن التنافر بين فكرة عامة وما يمثلها حقيقة على أرض

---

(١) صبحي درويش، فلسفة الضحك والفكاهة والمزاح موقع دروب على الإنترنت http://www.doroob.com/?p=٨٨٣٧.

(٢) أرسطو (أرسْطوطاليس) (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني. تلميذ أفلاطون. وأستاذ الإسكندر المقدوني. وفي عام ٣٣٤ ق . م. ولما تولى الإسكندر الحكم، اختلف أرسطو معه وأنشأ مدرسته المعروفة باسم الليسيوم. ويعتبر أرسطو أول من أرسى قواعد الفلسفة للعلوم، ومؤسس علم المنطق.

(٣) موسوعة الويكيبيديا على الإنترنت.

(٤) شارلس دارون Charles Darwin، (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم بريطاني اشتهر بنظرية «النشوء والارتقاء» أو النظرية التطورية، وقد أثارت جدلاً كبيرًا في الغرب خاصة لتناقضها مع قصة الخلق في الكتاب المقدس.

(٥) عمانويل كانط Immanuel Kant (٢٢ أبريل ١٧٢٤ - ١٢ فبراير ١٨٠٤م) آخر فلاسفة عهد التنوير العظام، يعتبر من أهم الفلاسفة الأوربيين. ألماني.

(٦) درويش، سابق.

(٧) آرثر شوبنهور Arthur Schopenhauer (٢٢ فبراير ١٧٨٠ - ٢١ سبتمبر ١٨٦٠م) فيلسوف ألماني شهير.

الواقع فالضحك نتيجة للمفاجأة بإدراك عدم التناسب بين الشيء المضحك والشيء الذي يخطر على البال أنه يشبهه.. وقد شاركه هيجل[1] في هذه الفكرة، ولكنه رأى الفكرة العامة كمظهر ورأى الضحك كمبطل لذلك المظهر، أما فرويد[2] فإن الضحك في نظره «ظاهرة اقتصادية» وظيفتها إطلاق طاقة نفسية حشدت خطأ عبر توقعات خاطئة أو زائفة. كما كتب فرويد رسالة مسهبة عن النكتة ومدلولاتها الاجتماعية، والفنية، وزبدة كلامه أن النكتة ضرب من القصد الشعوري والعملي يلجأ إليه الإنسان في المجتمع ليعفي نفسه من أعباء الواجبات الثقيلة ويتحلل من الحرج الذي يوقعه فيه الجد ولوازم العمل، وأن النكتة تشبه الأحلام والرؤى. وقد توغل تلامذة فرويد في مدرسة التحليل النفسي خاصة في علم الفولكلور في تفسير القصص، والأمثال، والنكات الشعبية، والأساطير، ورمزياتها المختلفة.

- في العصر الراهن فإن الاتجاه هو قبول فكرة التنافر بين المتوقع والكائن مسببًا محتملاً للضحك، فالنظرية المؤيدة تقول: إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك ويبكي؛ لأنه الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يرى فرقًا، بينما ينبغي أن يكون وبينما هو كائن فعلاً، فالضحك انفعال يحدث عندما يشهد الإنسان أمرين غير متجانسين كأن يرى شخصًا وقور المظهر يتصرف بطريقة صبيانية.

- ونظرية أخرى تقول: إن التكوين الفسيولوجي - علم وظائف الأعضاء -

(١) جورج فيلهيلم فريدريش هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (٢٧ أغسطس ١٧٧٠ - ١٤ نوفمبر ١٨٣١م) فيلسوف ألماني ولد في شتوتجارد.

(٢) فرويد (سيجموند فرويد) (٦مايو١٨٥٦ - ١٩٣٩م) طبيب وعالم نفس نمساوي يهودي الأصل. نشأ بفيينا وهاجر إلى إنجلترا وتوفي فيها بسبب المعاداة لليهود في النمسا، وألمانيا إبان النازية. سببت كتاباته نقلات هامة في علم النفس، وقد أذاع فكرة العقل الواعي واللاوعي للإنسان. كما ركز على دور الجنس في الحياة.

للإنسان اكتمل في ظروف بيئية متوحشة لذلك إذا سمع الإنسان صوتاً مزعجاً؛ فإن إحدى الغدد الصماء تفرز مادة (ادرلانين) تمكنه من القفز، أو الهروب، أو الهجوم.. ما زالت الغدد الصماء في جسم الإنسان تقوم بدورها، ولكن ظروف الإنسان المتحضر لا تتناسب مع التصرفات القديمة لذلك صار الإنسان بعد انتهاء مرحلة التوحش الأولى محتاجًا إلى قنوات لتصريف الطاقات التي يلهبها فيه إفراز الأدرلانين، وأن هنالك عددًا من القنوات التي ابتدعها الإنسان عبر تاريخه لتصريف تلك الطاقات مثل الرياضة التنافسية، ومثل الفكاهة.

- الفيلسوف وأستاذ الأديان جون موريل درس الفكاهة لمدة ٢٥ عاما، وهو يراها كتعبير مشترك للراحة بإزاء زوال الخطر. يقول موريل: «الفكاهة تشجع التفكير الإبداعي، والمرونة الذهنية، والمقدرة على استيعاب المتغيرات، إنها تساعدنا على الانسجام مع بعضنا الآخر»(١).

- **الفكاهة اللفظية**: كما قدم كل من فيكتور راسكن وس. أتاردو ما أسموه «النظرية العامة للفكاهة اللفظية» التي قدمت أنموذجًا دلاليًا قادرًا على تصوير التنافر بين النصوص الدلالية في الفكاهة اللفظية، مما اعتبر تقدمًا حديثًا في تطوير نظرية الضحك(٢).

- **نظرية معرفية**: قدم بيتر مارتينسون مؤخرًا نظرية معرفية للكوميديا ontic-epistemic theory of the comic (OETC). مفادها أن الضحك هو استجابة لإدراكنا أن الكائن الاجتماعي ليس حقيقيًا بذات القدر الذي تكون به

---

(١)انظر الموقع http://www.wm.edu/news/?id=٣٧٧٢.

(٢)انظر مثلاً بحث فيكتور راسكن وآخرين في الموقع

http://web.ics.purdue.edu/~kattriez/chi٢٠٠٣.pdf.

الحالات الواقعية للأمور حقيقية، وذلك أننا وبشكل لا واعي نغبّش الفروقات بين أنواع الحقيقة الثقافية والطبيعية، بحيث أننا لا نلحظ عادة معاييرها المختلفة للحقيقة والزيف، حتى ندرك ذلك فنضحك[١].

• **النظريات العصبية**: اهتم علماء الأعصاب بالضحك ومسبباته العصبية. ففي معظم الناس، يمكن إثارة الضحك عبر الوخز (الكلكلة) وهي ظاهرة في حد ذاتها. والغاز الذي يسبب الضحك نفسه يمكن استخدامه أحيانا كمسكن للألم. كما أن بعض الأدوية مثل الـcannabis يمكنها أن تتسبب في نوبات ضحك قوية، وفي حالات نادرة فإن الألم يمكن استخدامه لجلب الضحك، وليس بالضرورة مصحوبا بمعللات ماشوستية أو حزينة. وفي إحدى المجلات العلمية الأمريكية يتم وصف المسببات العصبية للضحك كالتالي: «مع أنه لا يوجد مركز معروف للضحك في المخ، فإن الميكانيزم العصبي للضحك كان محط تخمينات كثيرة برغم كونها لم تكن حاسمة. من المؤكد أنه يعتمد على مسارات أو طرق عصبية neural paths قريبة من المراكز المعنية بالتنفس»[٢].

أنواع الضحك:

يقول صبحي درويش: (هناك ضحك السرور والرضا، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب، وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشماتة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة، وهناك ضحك المقرور وضحك المشنوج وضحك السذاجة وضحك البلاهة. ولقد أحصى الفكاهيون والمتندرون من أساليب التعبير الفكاهي:

---

(١)موقع الويكيبيديا.

(٢)نفسه.

أسلوب القلب، والعكس، والمقالب، والملاحظة اللاذعة، واللغز والظن المختلف والنادرة والكلمة التي تقال وتفهم على معنيين وتكرار الكلمة في مواضعها والنسيان المعهود في العلماء والمعلمين، وأكذوبة نيسان (أبريل) والعثرة اللسانية والغلطة مع حسن النية، والغلطة المطبعية وخيبة الحيلة وارتدادها على صاحبها والأقضية السليمانية والمفارقة والصورة الهزلية في الكلام واتباع الحكمة بحكمة أخرى توافق مقدماتها ولا تخطر في الحسبان، والنصائح المطردة مع القياس الظاهر، والسخرية وفكاهة قبل وبعد. [1])، وباستبعاد الضحك المحفز عبر الوخز أو في تمارين اليوجا، فإن الضحك التلقائي يشتمل على عنصرين هامين هما:

أ. عنصر عدم الانسجام بين ظاهرتين مثل: النكت التي ألفت عن رفيعة هانم والسبع أفندي: رفيعة هانم: امرأة سمينة جدا، والسبع أفندي: رجل هزيل جدًّا والمفارقة بين الاسم والفعل في الحالتين، وبين الدور الأضعف المتوقع للمرأة والدور الأقوى المتوقع للرجل هذه المفارقات تشكل عنصر الإضحاك وعلى ذلك تقاس نكات كثيرة.

ب. عنصر النقد الظاهر أو الخفي مثل: الإضحاك الوارد في كرتون توم وجيري (**Tom &Jerry**)، والنقد للقوة الغاشمة التي يمثلها توم وفشلها المستمر أمام حيلة وحظ جيري أو النقد الذي تنطوي عليه عبارات ذكية مثلما حدث عندما زار خرتشوف[2] سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفييتي بريطانيا في عام ١٩٥٦ زار

(١) درويش، سابق.

(٢) نيكيتا خرتشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١م) القائد السوفيتي الشيوعي، كان سكرتيرًا للحزب الشيوعي السوفيتي في الفترة ما بين ١٩٥٣ - ١٩٦٤م، ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في الفترة من ١٩٥٨ وحتى ١٩٦٤.

خرتشوف متحف فكتوريا وألبرت[1] فسأل ما هو شغل ألبرت؟ قيل له: إنه زوج الملكة قال: أعني ما هو شغله بالنهار؟!.

(١) الملكة فيكتوريا الأولى (١٨١٩م - ١٩٠١م) ألكسندريا فيكتوريا، ملكة بريطانيا، وآيرلندا (١٨٣٧م - ١٩٠١م)، وإمبراطورة الهند (١٨٧٦م - ١٩٠١ م). وهي حفيدة جورج الثالث. عندما بلغت سن الرشد مات عمها غليوم في ٢٠ يونيو عام ١٨٣٧م، وكانت هيبة المملكة في أقصى درجات الانحطاط، وتولت عرش بريطانيا في سن مبكرة، فبرهنت عن صلابتها وعزيمتها..وفي عام ١٨٤٠م تزوجت من قريبها البرنس ألبرت (١٨١٩م - ١٨٦١م)، وأنجبت منه تسعة أطفال، ويعتبر حكمها أطول حكم في تاريخ بريطانيا، وأكثره مهابة، شهد عهدها تقدم بريطانيا السريع في التصنيع، وأصبحت مثالاً للملكية الدستورية، واتسعت رقعة الإمبراطورية البريطانية؛ فشملت خمس الكرة الأرضية، وسميت بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

الضحك في التراث الإسلامي

التراث الإسلامي دلائل على وجود الضحك كثيرة.. لنبدأ بالقرآن وهو كما وصفه النبي ﷺ «مأدبة الله»، مواقف الفكاهة في القرآن عديدة أذكر منها مشهد إبراهيم - عليه السلام - مع الوثنيين وقد حطم الأصنام ثم وضع الفأس على كتف أكبرها مدعيا أنه محطم الآخرين فـ(نكسوا على رؤوسهم)، ذلك أنه وضعهم أمام مفارقة فهم يزعمون أن التماثيل آلهة وهو يؤكد أنها لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع حتى الدفاع عن نفسها، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[1].

وكذلك موقف زوج عزيز مصر وقد دعت النساء اللائي كن ينكرن عليها افتتانها به، فأعدت لهن متكئا وأمسكن بالسكاكين وخرج عليهن يوسف - عليه السلام - فطاش صوابهن!. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[2].

وموقف سليمان - عليه السلام - من حديث النمل حيث حذرت إحداهن البقية

(١)سورة الأنبياء الآيات (٥٨- ٦٣).

(٢)سورة يوسف الأية (٣١).

من أن يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[(١)].

الفكاهة لدى الرسول ﷺ وأصحابه

أما السيرة فتحدثنا أن النبي ﷺ كان أكثر الناس تبسماً في وجوه أصحابه، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه[(٢)]. ومن حديث جرير[(٣)] قال: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ الله ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ» أو «وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»[(٤)]. وأخرج الإمام أحمد عن أُمِّ الدَّرْدَاءِ[(٥)]«كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ[(٦)]، إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا تَبَسَّمَ ، فَقُلْتُ : لَا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ ، أَيْ : أَحْمَقُ ؟ فَقَالَ : « مَا رَأَيْتُ ، أَوْ مَا سَمِعْتُ ، رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا إِلَّا تَبَسَّمَ »[(٧)].

وكان الرسول ﷺ يدعو لطلاقة الوجه وإلى الابتسام، وقد قال: «تَبَسُّمُكَ فِي

---

(١)سورة النمل الآيتان (١٨ ، ١٩).

(٢)متفق عليه من كلام عبد الله بن مسعود.

(٣)جرير بن عبدالله البجليّ (ت ٥١ هـ/ ٦٧١م) هو الشَّلِيل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عوف بن حَزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش، يكنّى أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله البجلي. كان جميلاً قال عمر: هو يوسف هذه الأمة. أسلم في السنة العاشرة للهجرة، ويُقال له: الكعبة اليمانية. شارك في فتوح العراق، وكان له أثر عظيم في فتح القادسية. توفي بالعراق.

(٤)متفق عليه.

(٥)أم الدرداء الأوصابية (ت ٧٨هـ) أم الدرداء الصغرى.

(٦)أبو الدرداء (ت ٣٢هـ) عويمر بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري.

(٧)مسند أحمد بن حنبل.

وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ »[١] وقال من حديث أبي هريرة: «**إنكم لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُق**». [٢]وقال لأبي ذر: «**يَا أَبَا ذَرٍّ ، لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ**» وقيل: « **بِوَجْهٍ طَلِيقٍ ، وبِوَجْهٍ طَلْقٍ**[٣]».

وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه، وقد ترددت الروايات التي تثبت ذلك، فعن أنس بن مالك[٤] ﷺ (قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ**» [٥]. وكان يستخدم النكتة اللفظية، من ذلك ما روي من أن رجلاً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله احملني قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ**» فَقَالَ يَا رَسُولَ الله، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟!** »[٦].

وكان يستخدم المزاح ليذهب الحزن عن الناس، وقد روى أنس كيف أنه مازح أخاه أبا عمير وقد كان حزينا على طائر له مات، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى إِنْ كَانَ لَيَقُولُ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: « **يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» [٧]، والنغير هو: طائر صغير كان يلعب به مات[٨]. قال أنس أيضا: كَانَ

(١)رواه أبو ذر.
(٢)رواه أبو يعلي الموصلي وابن أبي شيبة وابن حجر.
(٣)رواه الحاكم والبيهقي.
(٤)أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام (ت ٩١هـ)- أبو حمزة: صحابي أنصاري مدني، من المكثرين في رواة الحديث، توفي بالبصرة.
(٥)رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.
(٦)رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.
(٧)سنن الترمذي.
(٨)رواه البخاري، ومسلم.

رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَالله لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ الله قَالَ أَنَسٌ: الله لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟»[1]

ومن مداعباته صلى الله عليه وسلم لصحابته ما رواه أسيد بن حضير[2]، قال: (بَيْنَمَا هُوَ – يعني: أسيد – يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ فَقَالَ: أَصْبِرْنِي فَقَالَ: «**اصْطَبِرْ**» قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، «فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاحْتَضَنَهُ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ»، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ الله)[3].

قال كعب بن مرة سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: «**ارْمُوا أَهْلَ صُنْعٍ، مَنْ بَلَغَ الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ، رَفَعَهُ الله بِهِ دَرَجَةً**»، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي النَّحَّامِ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الدَّرَجَةُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، وَلَكِنَّهَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ**»[4].

وعن أنس (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أُسيد بن الحضير (ت ٢٠هـ) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأوسي الأنصاري. أبو يحيى. كان شريفًا في الجاهلية والإسلام، مقدمًا في قبيلته (الأوس)، ويسمى (الكامل) توفي بالشام.

(٣) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(٤) رواه النسائي، وأحمد.

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا ، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ » . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا ، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ عَرَفَهُ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟** » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِذًا واللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ : لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ**» [١].

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع أقاربه ، فيأتي عليًا[٢]، وهو مضطجع في المسجد، بعد أن سأل عنه فاطمة[٣] رضي الله عنها ، فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، فيقول له : «**قُمْ أَبَا التُّرَابِ قُمْ أَبَا التُّرَابِ**» [٤].

وكان يمازح الصحابة، وقد روي أن الصحابي نعيمان بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه كان كثير الضحك حاضر الطرفة سريع البديهة، وقد أشار الإمام النووي إلى كثرة مزاح نعيمان وضحك النبي صلى الله عليه وسلم منه حتى قيل إن الرسول ﷺ قال عنه: «**يدخل الجنة وهو يضحك**». ولنعيمان الأنصاري قصص كثيرة تدور

(١)رواه أحمد.

(٢)علي بن أبي طالب(٢٣ ق.هـ-٤٠ هـ): هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي رابع الخلفاء الراشدين. قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي.

(٣)فاطمة بنت محمد ﷺ (ت ١١هـ): هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ من زوجته خديجة بنت خويلد وتلقب بالزهراء. وعاشت بعده ستة أشهر فقط.

(٤)رواه البخاري ومسلم .

حول دعابته مع رسول الله ﷺ ومع أصحابه. وقيل: إنه كان لا يدخل المدينة طُرفة، أو فاكهة، إلا اشترى منها، وأكل بعضها، وأهدى الباقي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نُعيمان أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أعط هذا ثمن متاعه!! فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أولم تهده لي؟**» فيقول: نعم، ولكن، والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله. فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ويأمر لصاحبه بالثمن.

ومن نوادره: أن أعرابيًّا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأناخ ناقته بفنائه، وكانت – ناقة – فتية سمينة، فقال بعض أصحاب نُعيمان: لو عقرتها فأكلناها. فإنا قد قرمنا إلى اللحم، فقام نُعيمان وعقر الناقة، فخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم ووجد ناقته تُسلخ، ونُعيمان يتولى توزيع لحمها. فصاح: يا محمد، واعقراه: واناقتاه! فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «**من فعل هذا؟**» فقالوا: النُعيمان. فأتبعه يسأل عنه، حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب. واستخفى تحت سرب ـ دكة تكون خارج الغرفة فوقه جريد ـ فأشار بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكانه: فأمر بإخراجه، وقال له: «**ما حملك على ما صنعت؟**». قال: الذين دلوك عليّ يا رسول الله، هم الذين قَرِموا إلى اللحم، وأمروني بعقر الناقة. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يمسح التراب عن وجهه، ثم غَرِمَ ثمنها للأعرابي.

ولربما ضحك ﷺ من نوادر النعيمان عامًا كاملاً؛ فعن أم سلمة[1] «أَنَّ أَبَا

(١)أم سلمة (أم المؤمنين) (٢٨ ق . هـ/ ٥٩٦م ـ ٦٢هـ/ ٦٨١م) هند بنت سُهيل المعروف بأبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو،القرشية المخزومية. لمّا مات عنها زوجها أبو سلمة في المدينة تزوجها النبي، في السنة الرابعة للهجرة، ولم ينجب منها. وكانت ممن يعرفن الكتابة. توفت في المدينة ودفنت بالبقيع، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين

بَكْرٍ[1] خَرَجَ تَاجِرًا إِلَى بُصْرَى ، وَمَعَهُ نُعَيْمَانُ وَسُوَيْبِطُ بْنُ حَرْمَلَةَ ، وَكِلَاهُمَا بَدْرِيٌّ ، وَكَانَ سُوَيْبِطٌ عَلَى الزَّادِ ، فَجَاءَهُ نُعَيْمَانُ ، فَقَالَ : أَطْعِمْنِي ، فَقَالَ : لَا . حَتَّى يَأْتِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ نُعَيْمَانُ رَجُلًا مِضْحَاكًا مَزَّاحًا ، فَقَالَ : لَأَغِيظَنَّكَ ! فَذَهَبَ إِلَى نَاسٍ جَلَبُوا ظَهْرًا ، فَقَالَ : ابْتَاعُوا مِنِّي غُلَامًا عَرَبِيًّا فَارِهًا ، وَهُوَ ذُو لِسَانٍ ، وَلَعَلَّهُ يَقُولُ : أَنَا حُرٌّ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَارِكِيهِ لِذَلِكَ ، فَدَعُونِي ، لَا تُفْسِدُوا عَلَيَّ غُلَامِي ، فَقَالُوا : بَلْ نَبْتَاعُهُ مِنْكَ بِعَشْرِ قَلَائِصَ ، فَأَقْبَلَ بِهَا يَسُوقُهَا ، وَأَقْبَلَ بِالْقَوْمِ حَتَّى عَقَلَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : دُونَكُمْ هُوَ هَذَا ، فَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا : قَدْ اشْتَرَيْنَاكَ . قَالَ سُوَيْبِطٌ : هُوَ كَاذِبٌ ، أَنَا رَجُلٌ حُرٌّ ، فَقَالُوا : قَدْ أَخْبَرَنَا خَبَرَكَ ، وَطَرَحُوا الْحَبْلَ فِي رَقَبَتِهِ ، فَذَهَبُوا بِهِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأُخْبِرَ ، فَذَهَبَ هُوَ وَأَصْحَابٌ لَهُ ، فَرَدُّوا الْقَلَائِصَ وَأَخَذُوهُ « فَضَحِكَ مِنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا »[2].

وكان النبي (ص) يمازح أهله ويداعبهم، وكان يسابق عائشة[3] رضي الله عنها، ويقر لعبها مع صواحبها فعنها رضي الله عنها قالت : (كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي ، « فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي) [4].

---

(١) أبو بكر الصديق (٥١ ق.هـ/ ٥٧٣م-١٣هـ): عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي. أول الخلفاء الراشدين. سمي بالصديق وكان يدعى بالعتيق بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١ للهجرة. توفي ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادي الآخرة، وكانت مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف.

(٢)رواه أحمد.

(٣)عائشة بنت أبي بكر (ت ٥٨هـ): هي عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية القرشية. أمها أم رومان بنت عمرو بن عامر، من بني مالك، من كنانة. تزوجها الرسول ﷺ وبنى بها بعد قدومه إلى المدينة في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة وكناها بأم عبد الله ـ وهو اسم ابن أختها عبد الله بن الزبير ـ توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع.

(٤)رواه البخاري.

ويروي الحاكم من حديث عمرة قالت سألت عائشة كيف كان رسول الله إذا خلا مع نسائه، قالت: (كَانَ كَالرَّجُلِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ، كَانَ ضَحَّاكًا بَسَّامًا).

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن أنه (كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُفُّ عَبْدَ الله[1]، وَعُبَيْدَ الله[2]، وَكُثَيِّرًا[3] بَنِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا » قَالَ : فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ ، فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ)[4].

وقالت عائشة: (دَخَلْتُ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ[5]، فَجَلَسْتُ وَرَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، وَقَدْ صَنَعْتُ حَرِيرَةً، فَجِئْتُ بِهَا فَقُلْتُ : كُلِي . فَقَالَتْ : مَا أَنَا بِذَائِقَتِهَا ، فَقُلْتُ : وَالله لَتَأْكُلِينَ مِنْهَا أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ مِنْهَا بِوَجْهِكَ . فَقَالَتْ : مَا أَنَا بِذَائِقَتِهَا . فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا شَيْئًا فَمَسَحْتُ بِوَجْهِهَا ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ

---

(١)عبد الله بن عباس (٣ق.هـ- ٦٨هـ): عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أم الفضل ـ لبابة بنت الحارث ـ إليه ينتسب الخلفاء العباسيون، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة، كان فقيها عليما بأنساب العرب، والمغازي، والوقائع توفى بالطائف.

(٢)عبيدالله بن عباس (ولد ٢ ق. هـ) عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أم الفضل، لبابة بنت الحارث - كان سخياً، جواداً. قال بعض أهل العلم: كان عبد الله يوسعهم علماً، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً. واستعمله علي بن أبي طالب على اليمن، وأمره فحج بالناس سنة ٣٦ وسنة ٣٧. مات بالمدينة.

(٣)كثير بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أم ولد- كان فقيهاً فاضلاً، لا عقب له.

(٤)رواه أحمد.

(٥)سودة بنت زَمْعة (ت ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، من لؤي، من قريش، أم المؤمنين. كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس. أسلمت، ثم أسلم زوجها وهاجر إلي الحبشة، ثم عاد إلي مكة وتوفي، فتزوجها رسول الله بعد وفاة خديجة بنت خويلد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهاجر بها. وهي أول زوجات الرسول بعد خديجة، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر.

وَسَلَّمَ يَضْحَكُ وَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَتَنَاوَلَتْ مِنْهَا شَيْئًا لِتَمْسَحَ بِهِ وَجْهِي ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْفِضُ عَنْهَا رُكْبَتَهُ ، وَهُوَ يَضْحَكُ لِتَسْتَقِيدَ مِنِّي ، فَأَخَذَتْ شَيْئًا فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ)[(١)].

كذلك أخرج أبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي لسانه فيهش له.

كذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادلونه المهازحة فيضحك ويتبسم لهم، روي أن صهيباً[(٢)](قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرٌ وَخُبْزٌ فَقَالَ : « ادْنُ فَكُلْ » ، قَالَ : فَأَخَذَ يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ بِعَيْنِكَ رَمَدًا » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا آكُلُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، قَالَ : فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!)[(٣)].

كذلك روى عوف بن مالك الأشجعي،[(٤)]أنه مازح النبي ﷺ قال: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ : «ادْخُلْ» فَقُلْتُ : أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « كُلُّكَ». ذلك أنه سأل (أكلي؟) من صغر القبة[(٥)]!.

(١)رواه ابن أبي الدنيا.

(٢)صُهَيب بن سِنان (٣٢ ق . هـ/ ٥٩٢م ـ ٣٨ هـ/ ٦٥٩م) صهيب بن سنان بن مالك .يُعَدّ من أمهر العرب رمياً بالسهام، ومن السابقين للإسلام. ولِد بالموصل، وكان أبوه والياً على البصرة مِن قِبَل كِسرى. أغارت الروم على ناحيتهم، فسَبوا صهيباً وهو صغير، فنشأ بينهم لذلك عُرِف بصهيب الرومي. توفي بالمدينة، ودفن في البقيع.

(٣)رواه أحمد.

(٤)عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني (ت ٧٣هـ).

(٥)رواه أحمد وأبو داود.

ولما رأى النبي ﷺ رجلا ذا بشرة حمراء مازحه قائلا: «أنت أبو الورد»، يقول أبو الورد: «رَآنِي النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَآنِي رَجُلٌ أَحْمَرُ فَقَالَ: «أَنْتَ أَبُو الْوَرْدِ»[(١)]

وعن جابر بن عبد الله[(٢)](أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَلْتَفِتُ إِذَا مَشَى، وَكَانَ رُبَّمَا تَعَلَّقَ رِدَاؤُهُ بِالشَّجَرَةِ، أَوِ الشَّيْءِ فَلَا يَلْتَفِتُ حَتَّى يَرْفَعُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْزَحُونَ وَيَضْحَكُونَ، وَكَانُوا قَدْ أَمِنُوا الْتِفَاتَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[(٣)].

كذلك كان الصحابة يمازحون بعضهم بعضًا، روى البخاري[(٤)]في الأدب المفرد «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَادَحُونَ بِالْبِطِّيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالَ». وقيل للنخعي[(٥)]: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ويمزحون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي، وقيل لابن سيرين[(٦)]هل كانوا يتمازحون؟: قال: «ما كانوا إلا كالناس».

قال ابن مسعود: «خَالِطِ النَّاسَ، وَدِينَكَ لاَ تَكْلِمَنَّهُ، وَالدُّعَابَةِ مَعَ الأَهْلِ»[(٧)].

---

(١)رواه الطبراني.

(٢)**جابر بن عبد الله الأنصاري** (١٦ق.هـ-٧٨هـ)جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان الأنصاري السلمي الخزرجي الفقيه الصحابي.

(٣)رواه الطبراني.

(٤)البخاري (الإمام) (١٩٤-٢٥٦هـ): محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذيه البخاري الجعفي، إمام أهل الحديث وصاحب «الجامع الصحيح».

(٥)إبراهيم النخعي (٤٧-٩٦هـ) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو الكوفي النخعي. أبو عمران. فقيه العراق، وأحد الأئمة المشهورين. تابعي، شيخ أبي حنيفة.

(٦)ابن سيرين (٤٣-١١٠)هـ: هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء. أبو بكر. تابعي كان إمام وقته في علوم الدين. اشتهر بالورع وتفسير الرؤيا. له كتاب «تفسير الأحلام»، ولد وتوفي بالبصرة.

(٧)رواه البخاري في كتاب الأدب.

وقد روي أنه لما جاء أبو موسى الأشعري[(١)] من عند عمر مذعوراً عندما استأذن ثلاثاً وانصرف حيث روى كلامًا عن رسول الله ﷺ وقال له عمر: والله لتأتيني على هذا ببرهان، أو ببينة أو لأفعلن بك، فذهب إلى مجمع للأنصار ليبحث عن شاهد.. «فجعل القوم يمازحونه»[(٢)]. أي: ليخففوا عنه..

وروي أن عبد الله بن عمر[(٣)] كان يمازح مولاة له فيقول لها: خلقني خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام. فتغضب وتصيح وتبكي! ويضحك عبد الله بن عمر!

ولكن بالرغم من كثرة المرويات عن ضحك الرسول عليه الصلاة والسلام وكثرة تبسمه، إلا أن التراث الإسلامي زاخر بكل ما هو منفر عن الضحك، ومحذر منه، حتى صار الذين يرفعون الشعار الإسلامي في الغالب يتخذون من عبوس الوجه علامة على التقوى أو العلم، ولكن النظرة المتمعنة في السيرة النبوية الشريفة، وفي القرآن الكريم تؤكد أن التبسم والضحك ليسا مذمومين، بل العبوس والتقطيب، هما اللذان ينفران الناس عن الدعوة. قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾[(٤)]، وقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[(٥)]. وقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[(٦)]..

(١) أبو موسى الأشْعَري (٢١ ق . هـ/ ٦٠٠م - ٤٤ هـ/ ٦٦٥م) عبدالله بن قَيْس بن سليم بن حضار بن حَرْب، أبو موسى، مِن بني الأشْعَر، من قحطان. صحابيّ من الوُلاة الفاتحين. وكان من أهل القرآن حفظاً وفقهاً وعملاً. توفي بالكوفة.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) عبد الله بن عمر (١٠ ق.هـ- ٧٣هـ): هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، كان من أئمة المسلمين وعلمًا من أعلام الفتوى، ومن أكثر الصحابة اتباعًا لأثر الرسول ﷺ، توفى بمكة.

(٤) سورة عبس الآية الأولى.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

(٦) سورة النحل الآية ١٢٥.

هذه الآيات تؤكد أن اللين والبشر ، والفكاهة من أهم أدواتها، هما من وسائل الدعوة الأنجع.

لقد اعتبر المزاح من الأشياء المطلوبة في الإسلام شريطة أن يراعي عدة موجهات فيبتعد عن السخرية، والاستهزاء بالآخرين والتعالي عليهم، ولا يدخل فيه ترويع الآخرين، أو الكذب عليهم.. موجهات كثيرة موجودة في نصوص الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [١].

ومثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلما**»، وقوله: «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم**[٢]»، أو قوله : «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا**»[٣].

الفكاهة لدى الصالحين والأدباء

قال ابن القيم[٤] رحمه الله: (إن الناس ينفرون من الكثيف، ولو بلغ في الدين ما بلغ ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب، فليس الثقلاء بخواص الأولياء ، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك ، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفًا ، فترى الصادق فيها من أحب الناس وألطفهم،

(١) سورة الحجرات الآية ١١.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

(٤) ابن قيم الجوزية (١٠ صفر ٦٩١- ٢٣ رجب ٧٥١هـ/ فبراير ١٢٩٢- سبتمبر ١٣٥٠م) الإمام- تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، زُرعي، ثم الدِّمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية. توفي ودفن بدمشق.

وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع) . وقال ابن عيينة[1] : (البشاشة مصيدة المودة ، والبر شيء هين : وجه طليق، وكلام لين).

هنالك العديد من المرويات التي تظهر جانب المزاح والفكاهة لدى بعض العلماء والأدباء في التراث الإسلامي. قال الربيع : دخلت على الشافعي،[2] وهو مريض فقلت : قوّى الله ضعفك ، فقال :لو قوّى ضعفي قتلني!. فقلت : والله ما أردت إلا الخير . قال : أعلم أنك لو شتمتني لم تُرِد إلا الخير.

وروي أن الشعبي[3] مزح في بيته فقيل له : يا أباعمرو ، أو تمزح ؟ ، قال : قرّاء داخل وقرّاء خارج ، نموت من الغم ! (لاحقا نورد مزحة للشعبي في مجلس بعض ملوك بني أمية).

ووقع بين الأعمش[4] وامرأته وحشةٌ فسأل بعض أصحابه (ويقال : إنه أبو

---

(١) ابن عيينة (ت ١٩٨هـ): هو سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي الهلالي بالولاء. أبو محمد. محدث الحرم المكي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها عن ٩١ سنة. من آثاره مسند وتفسير القرآن.

(٢) الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ/ ٧٦٧- ٨١٩م): هو محمد بن إدريس العباسي بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي بن عبد المطلب بن مناف، ولد في غزة ونشأ في مكة، تفقه على الإمام مالك كما أخذ عن محمد حسن الشيباني صاحب أبي حنيفة واجتمع بأحمد بن حنبل في بغداد، انتقل إلى مصر وفيها صنف كتاب (الأم)، وهو من الأئمة الأربعة.

(٣) الشَّعْبي (١٩هـ/ ٦٤٠م- ١٠٣هـ/ ٧٢١م)عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشَّعبي الحميري، أبو عمرو، ولد بالكوفة ونشأ بها، نسبته إلي «شَعَب» وهو بطن من همدان، راوية-من التابعين - يُضرب المثل بحفظه، وهو من رجال الحديث الثِقات .كان فقيهاً شاعراً، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه وسميره، ورسوله إلى ملك الروم. توفي بالكوفة.

(٤) الأعمش (٦١- ربيع الأول ١٤٨هـ) سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ. أصله من نواحي الري. ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان، وقدموا به إلى الكوفة صغيرًا ـ تابعي ـ توفي بالكوفة.

حنيفة[1]) أن يصلح بينهما فقال : هـذا سيدنا، وشيخنا أبـو محمـد فـلا يزهـدنّك فيـه عمشُ عينيه، وحُموشـة سـاقيه وضـعف ركبتيـه، وقَـزَل رجليـه وجعـل يصـف فقـال الأعمش : قم عنا فقد ذكرت لها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

لقـد تنـاول كبـار المفكـرين الإسـلاميين موضـوع الفكاهـة وعلقـوا عليـه، وقـال الغزالي[2] إن الجد محتاج لشيء من اللهو، لإقامته واستمراره.

أما في الأدب العربي فهناك أقلام أتحفت الناس بكثير مـن الأدب الضـاحك مثـل الجاحظ[3] صاحب كتاب البخلاء، ورسالة التربيع والتدوير التي وصـف فيهـا أحـد الأدعياء وصفًا رائعًا مضحكًا: كان ربع القامة تحسبه لسعة خاصرته مدوراً!!.

---

(١) أبو حنيفة النعمان(٨٠- ١٥٠هـ/ ٦٩٩- ٧٦٧م): ولد بالكوفة من أسرة فارسية، تعرض للسـجن والتعذيب في العصرين الأموي والعباسي. من الأئمة الأربعة.

(٢) الغـزالي (أبـو حامـد) (٤٥٠- ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨- ١١١١م): هـو محمـد بـن محمـد بـن أحمـد الغـزالي الطوسي، درس فقه الشافعية ثم تعمق في دراسـة الفلسـفة، وكتـب (تهافـت الفلاسـفة) متشـككًا في قيمة العلم وبراهينه المنطقية، ولكنه بعد ذلـك حـاول رد الاعتبـار للعقـل أساسـا للعلـم كـما جـاء في كتابه (إحياء علوم الدين).

(٣) الجاحظ (١٥٠ هـ/ ٧٦٧م ـ ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م) أبو عثمان عمرو بـن بحـر بـن محبـوب الكنـاني. أشـهر علماء القـرنين الثـاني والثالـث الهجـريين، وأوسـعهم ثقافـة. لُقِّـب بالجـاحظ لجحـوظ عينيـه. ولـد في البصرة وتركها إلى بغداد، وكان من أهل الكلام «المعتزلة».

نماذج من الفكاهة

الفكاهة يمكن أن تكون سليقية مطبوعة، وتوجد في الأشخاص، والشعوب خفيفة الظل. ومن الفكاهة ما هو مصنوع، وهو الذي يبذل فيه أصحابه جهدا وتكلفاً وهي في ذلك مثل كل الأداء الإنساني فمن الشعراء من ينطلق شعره بسهولة كأنه يغرف من بحر، ومنهم من يصارع المعاني كأنه ينحت من صخر يمكن أن نسمي الشخص المطبوع فكهًا، ونسمي الآخر متفكها.

النكات المسببة للضحك كثيرة منها ما هو مروي، ومنها العملي ومنها الدرامي، ومنها التشكيلي، وسنتطرق هنا لجانب من هذه الأنواع:

النكتة المروية:

وهذه لها أنواع مختلفة، مثل النكتة السياسية، والنكتة الإثنية أو العنصرية، والنكتة الجنسية، والنكتة الدينية، والنكتة الاجتماعية، والنكتة السريالية، أو اللفظية ـ التلاعب بالألفاظ ـ والنكتة اللغز ؛ مثل نكات النمل: مثلا: نملة أرادت أن تعبر الطريق ولكنها تراجعت في آخر لحظة، لماذا؟)..الخ.

النكتة المروية شائعة في أحاديث، وقصص، وأمثال الناس. وموجودة في كل آداب البشر مثلها مثل الأمثال والحكم والأساطير، ولا يخلو تراث بشري من أدب ضاحك.

النكتة اللفظية تقوم على ألفاظ متشابهة مع اختلاف في معانيها (التورية) مثلاً البيت الذي قاله الشاعر اللبناني صلاح الأسير في أحد ساسة لبنان المشهورين ـ

سامي الصلح[1]، قال يهجوه:

لا يبالي فإذا بالى	فمن بال يبـــول

أو قول العربي:

واقطع قلت له	أنت لص أوحـد
فقال هذه صفة	لم يبــق لي فيها يـد

أو قول العالم اللغوي الذي ذهب للبادية للاستدلال بأقوال الأعراب على حقائق اللغة العربية، فوجد أعرابيًا وسأله أتهمز الفأرة؟ (أراد الهمز الاصطلاحي لتحديد أصحيح أن يقال فارة بلا همز أم فأرة بالهمز) فقال الإعرابي (وهو طبعًا لا يعرف المعني الاصطلاحي للهمز، فذهب للمعني الحقيقي): إنما يهمزها السنور (القط).

ونكتة أخرى سودانية: بعد أن اتسعت سياحة السودانيين مؤخرا صرت ترى الأسرة بكاملها الجد والجدة والأب والأم والأطفال وأقاربهم سائحين، وفي باريس قابل بعض السودانيات المسنات شابات، فسألنهن ماذا تفعلن هنا؟ فأجبن ندرس الترجمة الفورية فتساءلت إحدى المسنات بتعجب أحقا؟ وهل صاروا يدرسون لغة الفور في باريس؟

وهنالك نوع من النكات يقوم على هجوم وهجوم مضاد يفحم المهاجم، مثلاً كان للسياسي البريطاني الشهير ونستون تشرشل[2] عدد من المعجبين، وعدد آخر من

---

(١) سامي الصلح (١٨٩٠- ٦/ ١١/ ١٩٦٨م) السياسي اللبناني ومن رؤساء الوزارات، ولد بمدينة عكا، تخرج بالحقوق في جامعات اسطنبول وباريس، كان في سوريا، وانتقل للبنان عام ١٩٢١م، عمل في سلك القضاء اللبناني نحو ٢٢ عامًا، وتولى رئاسة الوزارة سبع مرات.

(٢) ونستون تشرشل (٣٠/ ١١/ ١٨٧٤م- ٢٤/ ١/ ١٩٦٥م) السياسي ورجل الدولة البريطاني الشهير- انضم للجيش حيث شارك بعملياته في الهند وفي معركة كرري (أم درمان) وكتب كتابه:=

الحساد والمعارضين، وكان يكثر من شراب الخمر فقالت له سيدة من منتقديه: يا ونستون إذا كنت زوجتك لوضعت لك سمًا في هذا المشروب! فرد عليها فورًا يا سيدتي لو كنت زوجك لشربته بكل سرور!! ومن نكات التراث في هذا الصدد أن الحسن بن علي[1]، ومعاوية بن أبي سفيان[2]، اجتمعا في مائدة طعام وكان بينهما ما بينهما من جفوة، وكان في المائدة خروف صغير محمر فنهشه الحسن ليأكل منه، فقال له معاوية: ما هذه القسوة كأن أمه نطحتك؟ فرد الحسن فورا: وأنت ما هذه الشفقة كأن أمه أرضعتك؟!

النكتة الاجتماعية: نوع آخر هو النكتة الاجتماعية، وهي التي تضحك من الأوضاع الاجتماعية، مثلا العلاقة مع الحماة في المجتمع المصري سئل أحدهم ما هو الفرق بين الحادثة والمصيبة؟ قال: الحادثة أن تقع حماتي في النهر والمصيبة أن يأتي أحدهم وينقذها!.

***

= حرب النهر (١٨٩٩م). انضم لحزب المحافظين ثم للحزب اللبرالي، ثم عاد لحزب المحافظين، وصار من أبرز قياداته. أثناء الحرب العالمية الثانية عين كرئيس للوزراء، وكون حكومة ائتلافية رأسها حتى ١٩٤٥م. كما صار رئيسًا للوزراء مرة أخرى بعد انتخابات ١٩٥١م. نال جائزة نوبل للآداب عن كتابه (الحرب العالمية الثانية) ذي الأجزاء الستة. اعتزل السياسة لأسباب صحية في ١٩٥٥م.

(١) الحسن بن علي (٣ ق.هـ-٥٠هـ) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. أبو محمد. ثاني الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها. ذكر السيوطي والأصفهاني أن معاوية دس السم للحسن عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس على أن يزوجها ليزيد ابنه فسمت الحسن وخان معاوية وعده لها.

(٢) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق.هـ- رجب٦٠ هـ) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس القرشي الأموي. أبو عبد الرحمن. أمه هند بنت عتبة. أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة. حول الخلافة لملك عضوض، توفي في دمشق وفيها دفن.

كاركتير منشور في كتاب عمرو فهمي ضحكات غاضبة



النكتة السياسية: وهي تنتشر في حالات معينة مثل: حالات شدة التنافس بين الخصوم السياسيين، وحالات القهر، ففي حالات التنافس الحاد تصبح النكتة السياسية أسلوب صراع بين المتنافسين أما في حالات القهر، فإنها تصبح وسيلة تنفيس ومعارضة لقد صار الشعب المصري أستاذًا في النكتة، لاسيما السياسية، وقيل إن أكثر عهد تكاثرت فيه النكتة السياسية في مصر هو عهد الوالي قراقوش[1] (ولاه صلاح الدين الأيوبي[2] لحكم مصر نيابة عنه) وقيل: إن قراقوش هذا كان قاسيًّا ظالمًا جاهلاً فمزقته النكات إربًا إربًا.

وقيل: إن الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر[3] كان يتابع النكات ويهتم

---

(١) أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين (ت ٥٩٧هـ) كان خادم أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين، فأعتقه ووظفه لما رأى من حسن تصرفه. جعله صلاح الدين نائبه بالديار المصرية. وكان حسن السيرة، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة، وبنى قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين)، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وغيرها. والظاهر أن الأقوال المفتراة عنه موضوعة، حيث إن صلاح الدين كان معتمدا عليه في أحوال المملكة، لوثوقه بمعرفته وكفايته، توفي بالقاهرة. (قراقوش: لفظ تركي معناه بالعربي: العُقاب).

(٢) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢هـ ١١٣٧م- ٥٨٩ هـ ١١٩٣م) يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان ابن يعقوب، المعروف بصلاح الدين، والملقّب بالملك الناصر. قائد إسلامي شهير، عُرف بحروبه ضد الصليبيين. وُلد في تكريت (بالعراق)، من القبيلة الهذانية الكردية، نشأ في الموصل، تولى حكم مصر عن الفاطميين ثم العباسيين، هزم الصليبيين في معركة حطين الفاصلة (عام ١١٨٧)، أسس الدولة الأيوبية، وبسط سلطانه على مصر وسورية، وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، وبسورية ١٩ سنة. توفي بدمشق، ودفن بجوار المسجد الأموي.

(٣) جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠م) رئيس جمهورية مصر العربية(١٩٥٦- ١٩٧٠م). ولد بالإسكندرية، تخرج في الكلية الحربية الملكية عام ١٩٣٨م، عمل بالجيش، وشكل مع عدد من الضباط حركة «الضباط الأحرار» السرية، والتي قامت فيما بعد بقيادة محمد نجيب بثورة ١٩٥٢م وخلعت الملك؛ فأصبح عبد الناصر رئيساً للجمهورية.ساهم في تأسيس حركة عدم الانحياز في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م.

بها كنوع من قياس الرأي العام، وقيل إنه ذات يوم طلب مقابلة شخص تُنسب له نكات كثيرة فلما جاء سأله كيف تشتغل بتأليف النكات عني، وأنا شخص انتخبه الشعب المصري بنسبة ٩٩,٩٩٪؟ فرد الرجل بسرعة قائلا: والله يا ريس هذه ليست من تأليفي!

لقد اقتبس السودان النظام الشمولي من مصر الناصرية، وفي عهد مايو ظهرت في المجتمع السوداني نفس ظاهرة النكتة السياسية المعهودة في مصر، وفي أثناء الحماسة المفتعلة لتطبيق الأحكام الحدية (عقب إعلان قوانين سبتمبر ١٩٨٣م في عهد النظام المايوي) قيل: إن أحدهم سرق مالاً أقل من النصاب وكانت السرقة في أم درمان (حيث توجد محكمة جنائية برئاسة المكاشفي - أحد القضاة المتحمسين لتلك الأحكام) فرآه شرطي وهم بقبضه، فإذا بالسارق ينفلت ويجري بسرعة خيالية حتى عبر جسر النيل الأبيض، ووصل الخرطوم ووقف حتى لحق به الشرطي واعتقله فسألوه لماذا فعلت ذلك؟ قال: لأنه إذا ألقي القبض علي في الخرطوم، فسأقدم للمحكمة الجنائية فيها، أما في أم درمان فالمكاشفي يكمل نقص النصاب من جيبه ليحكم بالحد!

هذه نكات من باب المعارضة والتنفيس في ظروف القهر، أما النكات من باب التنافس السياسي، فمنها ما يروى عن برنارد شو الكاتب البريطاني المعروف، كان برنارد شو[1] اشتراكيا ناقدا للنظام الرأسمالي، وكانت في رأسه صلعة عظيمة، وفي وجهه لحية عظيمة فقيل له: ما هذه المفارقة شعر كثير من تحت ولا شعر من فوق؟

(١) جورج برنارد شو (١٨٥٦- ١٩٥٠م) كاتب مسرحي، وناقد ومفكر بريطاني اشتراكي من أبرز الشخصيات في القرن العشرين، نال جائزة نوبل في الآداب ورفض استلام الجائزة النقدية المصاحبة لها. من المدافعين عن حقوق المرأة.

قال: هكذا النظام الرأسمالي إنتاج وفير وتوزيع غير عادل!! نكتة أخرى من هذا القبيل كان خرتشوف[1] يهاجم ستالين[2] هجومًا قاسيًا في حديثه للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي وأثناء الهجوم صاح أحد الحاضرين: أين كنت آنت؟ فسأله خرتشوف بعد برهة من الذي قال هذه العبارة؟ ولكن لم يجبه أحد قال خرتشوف: لقد كنت حيث كان هذا الذي سأل.

كاركتير علي الدويد (منشور بصحيفة السوداني بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠٠٦م)



(١) نيكيتا خرتشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١م) سبق تعريفه

(٢) جوزيف ستالين (٢١/ ١٢/ ١٨٧٩م - ١٩٥٣م) القائد السوفيتي الشيوعي الأقوى، والأوحد لمدة حوالي ربع قرن، حيث أعقب لينين بعد وفاته في عام ١٩٢٤م وأقام مراجعات عديدة للشيوعية في اتجاه إحكام القبضة الديكتاتورية والقهر.

الشعر الضاحك:

إضافة للشعر الذي يذكر المفارقات، أو يتلاعب بالألفاظ، فهنالك نوع من الشعر الفكه، مثلا قال أحد الشعراء يصف داره:

ودار خراب بها قد نزلت ... ولكن نزلت إلى السابعة
فلا فرق بين أني أكون ... بها أو أكون على القارعة
تساورها هفوات النسيم ... فتنفض بلا أذن سامعة
وأخشى بها أن أقيم الصلاة ... فتسجد حيطانها الراكعة
إذا ما قرأت إذا زلزلت ... خشيت بأن تقرأ القارعة

وشبيه بهذا الذي قاله الشاعر في شكوى الصد:

تقرأ سعاد بضد ما أقرأ أنا ... أقرأ ألم نشرح، تقرأ لي عَبَس!
جس الطبيب مفاصلي ليداويني ... وبكى علي رحمة حين جس
مالي شفاء يا سعاد لعلتي ... إلا الصلاة على المؤيد بالغلس

أو كذلك الذي رواه الجاحظ في كتابه (الحيوان) من شعر يذكر حسن الدجاجة، ونبل الديك. والشاعر رأى هذه المناظر من تأثير «شربة»، قال:

غدوت بشربة من ذات عرق ... أبا الدهناء من حلب العصير
وأخرى بالعقنقل ثم رحنا ... نرى العصفور أعظم من بعير
كأن الديك ديك بني نمير ... أمير المؤمنين على السرير
كأن دجاجهم في الدار رقطًا ... بنات الروم في قمص الحرير
فبت أرى الكواكب دانيات ... ينلن أنامل الرجل القصير
أدافعهن بالكفين عني ... وأمسح جانب القمر المنير

في الفترة ما قبل الاستقلال شاع الشعر الفكه في السودان باستخدام اللغتين الفصحى والقومية، خاصة الشعر القومي الفكه في التنافس بين تياري الاستقلال والاتحاد مع مصر، من ذلك شعر: عبد الحليم علي طه عن التيار الاستقلالي، ومحمود الفكي لدى التيار الاتحادي، وقد كانا صديقين حميمين برغم ما تبادلاه من شعر لاذع، وقد صدر مؤخرا للدكتور فيصل عبد الرحمن علي طه كتاب بعنوان: (بين شاعرين: مع إخوانيات عبد الحليم علي طه، ومحمود الفكي) يوثق فيه لتلك التبادلات الساخرة والسخنة بينهما، والتي لم تخل من ود بل ومنها شعر مادح لبعضهما الآخر[1].

أما في هجاء بعضهما الآخر، فقد كان محمود الفكي يهجو عبد الحليم بأنه (ود المادح)، قال فيه:

نقرات طار أبوك بتصمم الأذنين

نقراتو التقول عنز الخلا أب قرنين

حايم بين رفاعة وطيبة والكاملين

وإيراد ليلتو قط ما زاد على القرشين

وكان عبد الحليم يهجو صاحبه بأنه من سلالة جاءت السودان حديثًا ملقبًا إياه بـ(الحفيد) وقد قال فيه:

هيجت الشعور ورد الشعر واترادى

في وصف الحفيد قالوا الحفيد اتمادى

في الغي والضلال رخص فتحلو عيادة

---

(١) فيصل عبد الرحمن علي طه بين شاعرين مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي- الطبعة الأولى مارس ٢٠٠١م.

راسمالو القـرد خسران عليه قلادة

دربكـة وطبـل زمبارة جاية هوادة

ما بنكر عليـك صنعة جدودو أجادًا

وقـد تبـادلا مثـل هـذا الشـعر الـلاذع كثـيرًا ، ثـم اتفقـا في إحـدى المناسـبات في أربعينيات القرن العشرين أن يتبادلا المدح فأذهلا الحاضرين، حيث قـال الحفيـد في صاحبه:

يا زين الشباب جاك المنازل طايع

لا مكسور جناح لا منهزم لا جايع

في عيد كرنفال قدم يمينو يبـايع

أداك صوجان بي إيد فحل مو مايع

ورد عليه ود المادح قائلاً:

إت محمود أخوي أنا كيف عليك بتنبـا

قصدي دعابة بس أصلو الدعابة محبة

والـداير الفتن تحت الستار بدبـا

حـاول مستحيل ما بلقى عندي الحبة

كما شاع الشعر الفكه في السودان مؤخرا باسم (الشـعر الحلمنتيش) الـذي وجـد في جامعة الخرطوم، وانتشر في غيرها. مثال لـذلك القصـيدة التـي قيلـت في وصـف حالـة أحد الطلاب، وقد خطبت البنت التي يحب لغيره وقال فيه الشاعر الحلمنتيشي:

في الليلة ديــك

القصة ذاتا بقت عليك

يا عبده وأدوك الشريط

إشارة للأغنية المشهورة (في الليلة ديك) التي تحكي عن قصة مماثلة، و«الشريط» مصطلح يدل على «مرتبة» الخيبة في المحبة!.

الفكاهة في الأمثال:

توجد الفكاهة في الأمثال كما توجد في الأشعار والحكم والنثر. وفي الأمثال السودانية هناك الكثير من التصاوير الفكهة، مثلا: «يقطعوا في إضنينها، وتقول: خلوا محل الخروس!». أي: أنهم يقطعون أذنيها وهي مهتمة بأن يتركوا لها مكانا لتعلّق عليه الأقراط!.

وهنالك ثلاثة ديوك يمثّل بها في السودان: ديك البطانة وديك العدة، وديك المسلمية. والمثل: «متل ديك المسلمية يحمروا في بصلته، وهو يعوعي» تصوير مضحك لمن يشغل الناس بالأحاديث والصراخ غير آبه بالمصيبة وشيكة الوقوع به!.

وكذلك في تصوير احتيال أحدهم بالمثل «محنا في بخت أم حنّا، إن شالوه برد، وإن ختوه ورد»، فهو قد حير الناس؛ لأنه إن رفعوه أصيب بالبرد، وإن وضعوه أصيب بالحمى!.

وكذلك المثل الذي يقال حول إعجاب الإنسان بأبنائه مهما كان حالهم، ما يروى على لسان الجعران بقوله وهو يتأمل أولاده: «أولادنا في الحيط متل اللولي في الخيط»!.

وهنالك أقوال وأمثال كثيرة تروى تضرب في أولئك الذين يزلزل الفزع كيانهم فيتحدثون بشكل مضحك، مثلا: «يا أهل الفيلة الرواكيب جاتكم» حيث قلب الجملة، وكذلك القول الذي يروى عن المفزوع الذي استنجد بالشيخ العبيد ود بدر (المعروف أيضًا بالشيخ العبيد ود رية) قائلا: «يا شيخي ود بدر الفي صوفو صدر، الفي سبحتو رقبة، راكب سيفو ومتوشّح بالجواد»!.

النكتة العملية:

وتتنوع النكات فمنها النكتة العملية، مثلاً، شخص وقور يهم بالجلوس على مقعد فيزال المقعد من تحته ويسقط على الأرض، أو قصة الغراب الذي حاكى الطاووس فضل مشيا وما بلغ القديم ولا الجديدا، أو قصة الثعلب مع الغراب حينما وجد بمنقاره قطعة من الجبن، فاحتال الثعلب ليأخذها من الغراب قائلا له: أنا من المعجبين بصوتك فهلا أطربتني؟ فصدق الغراب.

قال يا ليل ومد فاه فسقطت الجبنة من فيه! فأسرع إليها الثعلب، والتقطها ضاحكًا على غبائه!

وقد شهدت عددًا كبيرًا من هذه النكات العملية في حديقة الحيوان بالجيزة في مصر حيث أقام الحراس مع حيواناتهم نوعًا من السيرك الخاص فقام حارس الأسد والفيل والنمر والقرد والببغاء الخ بحركات مع حيواناتهم مضحكة للجمهور مثلًا قال حارس الببغاء للطائر: قل يا محمد، فقال (يا محمد) قلها بالدلع، فقال: (يا حمادة) مبالغا في المد!.

الفكاهة الموسيقية

دخلت الفكاهة في الموسيقى، والغناء فبعض الأغاني مضحكة بمعانيها وطريقة أدائها، وكذلك بعض الألحان، وقد قيل في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني[1] عن موهبة بعض المغنين حيث تحدث عن الفارابي[2] وكيف أنه دخل على مجلس

(١) أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤ هـ/ ٨٩٧مـ ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد الأصفهاني، من أعلام الأدب في القرن الثالث الهجري، وسليل الأسرة الأموية. ولد في أصفهان سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، وأقام ببغداد، شيعي المذهب، كتاب (الأغاني) يعد أضخم مؤلفاته.

(٢) أبو نصر محمد بن ترخان الفارابي (ولد٨٧٠م/ ٢٥٦هـ) ولد بمدينة فاراب في بلاد ما وراء النهرين أزبكستان. انتقل إلى بغداد ليعيش فيها ويتعلم وكانت عنده معرفة كبيرة في المنطق والسياسة والرياضيات والكيمياء والموسيقى وكتب عدّة كتب في هذه العلوم، وترجمت أكثرها إلى عدّة لغات.

تناول الحديث عن الموسيقى، وأراد أن يثبت لهم قدرتها على التحكم في المشاعر فركب آلة وعزف بها لحنًا بكوًا، ولحنًا آخر ضحكوا، ولحنا آخر رقصوا، ثم عزف لحنًا فناموا وخرج وتركهم.

التشكيل الضاحك

كاركتير من كتاب عمرو فهمي ضحكات غاضبة



أنشأ أدب الفكاهة الأوروبي أصنافاً جديدة من وسائل الإضحاك عن طريق الرسم كالكرتون والكاريكاتور، أما الكرتون فيعتمد على إتقان الرسم، وعلى الخيال الواسع واستخدام القصص، والأساطير والروايات الشعبية، وتقديمها للمشاهدين بصورة مدهشة مضحكة هذا فن نجح كثيراً في تطوير أدب الفكاهة لاسيما للأطفال، لقد ملأ الكرتون دنيا الأطفال. أما الكاريكاتور، فإنه يقوم على استخدام المبالغة في بعض الملامح لجعل الرسم مضحكا، عبارة كاريكاتور مأخوذة من عبارة إيطالية معناها: الشحن فوق الطاقة، أو المبالغة.

وفي زيارة سجلتها مع أسرتي إلى موقع المصورات الصفراء الأثري في مطلع مايو ٢٠٠٤م، اصطحبنا مشكورًا الأستاذ جعفر ميرغني، وطوّف بنا في مدرسة المصورات الصفراء التي كانت في ماضي عهدها بمثابة معهد علمي، وكذلك في معبد أباداماك «الأسد المجنح» الذي كان يُعبد في مروي القديمة. وبينا نحن نتنقل داخل مباني المعهد أشار الدكتور جعفر لرسومات لطيفة في إحدى حوائط المدرسة يرى أنها ربما كانت أقدم الرسومات الكاريكاتيرية في السودان.. حيث رسم بعض التلاميذ أحد شيوخه «مدرسيه» بصور مضحكة، فهو أصلع وبكرش كبيرة وله ذيل قرد.. وقد رسمه بأشكال مختلفة مضحكة.

الكوميديا

التراث اليوناني أتحف الإنسانية بالكوميديا، وهي فكاهة مسرحية، وكان أرسطو يرى أن للكوميديا دوراً اجتماعياً هامًا؛ لأنها إنما ترفع مرآة للمجتمع فيرى فيها عيوبه من خلال أداء فكه ويعمل على تصحيحها إن في المجتمع الإنساني تناقضًا مستمرًا بين القيم الاجتماعية العليا التي يستمدها الإنسان من الدين والأخلاق والواقع الاجتماعي الذي يستمده الإنسان من غرائزه وأطماعه، الكوميديا تركز على كشف هذا التناقض

وربما ساعدت على محاولة التغلب عليه، وربما تجاوزت الكوميديا دور الكشف على تناقضات المجتمع وصارت ساخرة وناقدة لها، في هذه الحالة فالمسرحية مسرحية ساخرة (Satire) إن السخرية بالتناقض بين الادعاء والحقيقة شائعة في الأدب العربي، ولكن الأدب الأوروبي أعطاها تعبيراً مسرحيًا، فمن باب أدب السخرية العربي قال أبو العلاء المعري[1] مشهرا ببعض رجال الدين:

رويدك قد غررت وأنت حرٌ ... بصاحب ملة يعظ النساء

يحرم فيهم الصهباء صبحاً ... ويشربها على عمد مساءً!

يقول لهم غدوت بلا كساء ... وفي لذاتها رهن الكساء

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى ... فمن جهتين لا جهة أساء

أو السخرية بشخص اسمه عيسى يدعي الفضل:

سموك عيسى ولم تأت بمعجزة ... ولم تشابهه في فضل ولا أدب

ولا أتيت بشيء من فضائله ... إلا بأنك من أم بغير أب

لقد اتسع مجال أدب الفكاهة كثيراً جداً في العصر الحديث؛ لأن ظروف الحياة العصرية وما فيها من تناقضات وحسرات ومفارقات خلقت حاجات ماسة لأدب الفكاهة، وأتاحت وسائل الإعلام الحديثة من مذياع، وتلفاز، ومسرح، وسينما، وصحافة، وفيديو، وأقمار، فرصاً واسعة جداً للفكاهة. وفتحت المواصلات والاتصالات الحديثة للعالم على بعضه بعضًا، وتبادل الناس أدب الفكاهة تبادلاً واسعاً.

(١) أبو العَلاء المعّري (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م- ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمّد بن سليمان المعريّ، التنوخي، ينتسب للنعمان بن عديّ، أبو العلاء، ولد بمعرّة النعمان بالشام، لقب نفسه رهين المحبسين (فقد بصره، وملازمته داره واعتزاله الناس). له شعر كثير ومؤلفات نثرية تحتوي على فلسفة عميقة للحياة.

لقد قدم لوريل وهاردي وأمثالهما الفكاهة في شكل الكاريكاتير البشري الحي أن يأتي الإضحاك من حركات الوجه، والجسم وغرابة الموقف. هذا الفن قدمه للجمهور العربي إسماعيل يس، وفي السودان الفاضل سعيد. وقدم شارلي شابلن سينما ضاحكة تقوم على المفارقات الاجتماعية وهو ما قدمه للمسرح العربي فؤاد المهندس ودريد لحام.

لقد صارت صناعة الفكاهة من أكبر صناعات العصر الحديث. هذا الاستغلال التجاري أدي لانتشار أدب فكاهة في الغرب رخيص من حيث الركون للنواحي الجنسية، والشذوذ والسادية، ومثلما اقتبسنا من الغرب بعض الأشياء النافعة فقد اقتبسنا أيضا بعض الأشياء الضارة، فبلداننا الآن تشاهد استغلالاً تجاريًا ضارًا لأدب الفكاهة، وهنالك فنانون نبغوا في أدب الفكاهة أمثال عادل إمام[1]، ولكن دفعهم النجاح في هذا المجال، والمنافع التجارية المتاحة لاقتحام مجالات أخرى من المسرح والسينما دون تأهيل حقيقي لذلك.

إن أدب الفكاهة ومجالات أخرى في حياة الإنسان والمجتمع مثل الفن والرياضة مجالات تعامل معها كثير من الفكر الديني في بلداننا باستخفاف شديد، وتركها كثير من المؤمنين تزمتًا أو تشددًا أو تمسكًا فاحتكرها كثيرون ممن استخفوا بالالتزام الديني أو أسقطوه. إن الاستخفاف بأدب الفكاهة أو بالرياضة أو بالفن، لا يلغي هذه الأنشطة؛ لأن لها دورًا عضويًا في كيان الإنسان النفسي، والاجتماعي إنما يؤدي

(١) عادل إمام (ولد ١٧ مايو ١٩٤٠) يعتبر من أكبر الممثلين المصريين المعاصرين. تخرج من كلية كلية الزراعة جامعة عين شمس. بدأ حياته الفنية على مسرح الجامعة ثم أُسند إليه عدد من الأدوار الصغيرة إلى أن قام ببطولة مسرحية مدرسة المشاغبين، ثم أصبح ممثلاً مرموقاً في مرحلة السبعينيات وحتى اليوم. تم اختياره مؤخراً سفيراً للنوايا الحسنة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ، وبذلك أصبح معروفاً على المستوى السياسي العالمي.

الاستخفاف بها لدى الملتزمين دينيًّا إلى انفراد الآخرين بها، وتطويرهم لها في اتجاهات مستخفة بالالتزام الديني. إن النظرة السوية هي ألاَّ يستخف الإنسان بالجانب الروحي من الحياة كما لا يستخف بمطالب الحياة الأخرى، النظرة الجادة للحياة هي النظرة المحيطة، والنظرة الإسلامية للحياة محيطة بمطالب الإنسان العشرة حريصة على توافرها بصورة موزونة.



الجزء الثاني

ضحكنا في ظروف حزينة



هذا الجزء من الكتاب، كما سبق التقديم، هو تشذيب -مع قليل من الإضافات- لحديث ألقيته على زملائي من المعتقلين بسجن كوبر العمومي وهم، طائفة من السياسيين والنقابيين، والناشطين في المجتمع المدني، وذلك لدى احتفالنا بعيد الاستقلال في مطلع يناير ١٩٩٠م. وهو مكون من قسمين: ملح في حياتي، ومواقف مدهشة.

الفصل الأول

ملح في حياتي

هزمت دولة المهدية عسكريًا في عام ١٨٩٩م بقوة السلاح الحديث، ولكن كما قال ونستون تشرشل[1] **«وقد مزقنا جسم الأنصار بقوة السلاح الحديث، ولكن لم نهزم روحهم»**.. هذه الروح التي لم تُهزم، هي التي هبت فتية من جديد عندما رفع الإمام عبد الرحمن[2] الراية وولد الجيل المخضرم من عهد المهدية جيلا أول هم آباؤنا، وجئنا بعدهم جيلا ثانيا بعد المهدية.

---

(١) ونستون تشرشل (٣٠/ ١١/ ١٨٧٤م- ٢٤/ ١/ ١٩٦٥م)- سبق تعريفه في الجزء الأول.

(٢) عبد الرحمن المهدي- الإمام(١٨٨٥-١٩٥٩م) مؤسس حزب الأمة وإمام الأنصار ، والدته السيدة مقبولة، ولد بأم درمان بعد وفاة والده الإمام محمد أحمد المهدي ببضعة أسابيع، حفظ القرآن الكريم باكراً وتربى في كنف خليفة المهدي، انتقل إلى قرية الشكابة بعد موقعة كرري حيث قتل أخواه البشرى والفاضل مع الخليفة شريف بينما جرح هو جرحاً شفي منه، حددت سلطات الاستعمار إقامته في الشكابة لمدة تسع سنوات. ثم سمح له بالرحيل إلى أم درمان. وفي عام ١٩٠٨م سمحت له السلطات بزراعة الأراضي في الجزيرة أبا فعمرها بمعاونة الأنصار وأنشأ مجتمعاً تكافلياً بالجزيرة أبا، بدأ نجمه في البزوغ في العشرينيات فالتف حوله المثقفون ولعب دوراً كبيراً في حركة «مؤتمر الخريجين». أسس صحيفة «حضارة السودان» في عام ١٩١٩م وصحيفة «النيل» في عام ١٩٣٥م. أسس حزب الأمة في عام ١٩٤٥م وعمل على بعث المهدية وتنظيم الأنصار من جديد فأنشأ ما عرف بتنظيم شباب الأنصار، عمل في سبيل استقلال وبذل لأجل ذلك بسخاء.. أنشأ «دائرة المهدي» المؤسسة الاقتصادية التي كان يمول منها نشاطه السياسي والوطني. دفن بأم درمان بقبة المهدي. خلفه على إمامة الأنصار ابنه الصديق المهدي.

وكان بيت المهدي أثناء المهدية عصبة قبائل سودانية؛ لأن الإمام المهدي[1] جعل الرجل الثاني من بعده من أهل الغرب، وجعل الرجل الثالث من بعده من أهل الوسط، وجعل الرجل الرابع من بعده من أهل الشمال، ولعله جعل الرجل الخامس من بعده من أهل الشرق!، وجعل الإمام المهدي لهؤلاء الرجال مسئوليات تتداخل فيها المهام العامة والخاصة حتى قال: إن أسرتي هي أسرة ستة رجال هم أنا وأخواني (محمد وحامد)، والخلفاء الثلاثة (عبد الله[2] وعلي[3] ومحمد

(١) المهدي (١٨٤٣-١٨٨٥م) هو محمد المهدي بن عبد الله بن فحل، ولد بقرية لبب بمدينة دنقلا في شمال السودان، تلقى تعليمه في خلاوي الخرطوم، وكترانج وخلاوي الغبش ببربر. ثم التحق بالطريقة السمانية عام ١٨٧١م. في عام ١٨٧٦ أجيز شيخا بها وبدأ حركة إصلاحية في كردفان ووسط السودان. وفي ١٨٨١م «هجمت» عليه المهدية بمهمة «إحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما». بدأت الدعوة المهدية سرية ثم جهر بها وخاض المهدي والأنصار جهادا ضد الدولة العثمانية ورعاياها الأوربيين انتهى بانتصار الثورة وإقامة الدولة بعد تحرير الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥م. لم يعش المهدي طويلاً بعد ذلك إذ توفي في يونيو ١٨٨٥م، وخلفه الخليفة عبد الله بن السيد محمد.

(٢) الخليفة عبد الله (حوالي ١٨٤٥- ٢٤/ ١١/ ١٨٩٩م) عبد الله بن محمد (الملقب بتور شين لشجاعته) ابن علي الكرار بن موسى بن محمد القطبي الواوي التونسي. والدته أم نعيم، من بنات أم سرة، ببطن الجبارات بقبيلة التعايشة. التقى الشيخ محمد أحمد عام ١٨٨٠م في المسلمية أثناء بناء قبة الشيخ القرشي ود الزين وصار من أخلص أتباعه في المهدية، حيث نال مرتبة (خليفة الصديق). خلف المهدي في حكم الدولة المهدية بعد وفاته. تكالبت على الدولة المطامع الاستعمارية، وهزم جيش المهدية في كرري ٢/ ٩/ ١٨٩٨م، وتوجه الخليفة وقواته ناحية الجنوب الغربي وأقاموا فترة بقدير، ثم أعادوا الكر قاصدين أم درمان بعد حوالي عام، وقطع عليهم جيش الغزاة الطريق، حيث استشهد في معركة أم دبيكرات غرب كوستي، ودفن هناك.

(٣) الخليفة علي ود حلو (حوالي ١٨٤٠- ٢٤/ ١١/ ١٨٩٩م) والده كان شيخ قبيلة دغيم، وقد تولى أخوه الأكبر موسى زعامة القبيلة عقب وفاة والده. طلب العلم منذ صغره وكان تلميذًا للشيخ مضوي في منطقة العيلفون، فأرسله في سبعينيات القرن التاسع عشر للشيخ محمد أحمد ليدرّس في خلوته بأبا، وكان من أوائل المؤمنين بمهديته. وقد كانت منزلته في المهدية هي خليفة الفاروق. استشهد في معركة أم دبيكرات مع الخليفة عبد الله ودفن هناك.

شريف[1]) وتزوج المهدي من كثير من قبائل السودان وزوجها نساءً من أسرته.

المهدي وأخواه ينتمون للأشراف الحسينيين من ناحية والدهم (السيد عبد الله بن فحل) وجدهم حاج شريف الملقب بأبي العشرة جد المائة صاحب القبب المعروفة الذي كان يعلم القرآن بدنقلا ولهم دماء دنقلاوية نوبية. ومن ناحية أمهم (السيدة زينب بنت نصر) ينتسبون إلى الجعليين عن والدها، وعن جدتها لأمها (خديجة بنت الفكي إبراهيم ساتي) تنتسب للأشراف الحسينيين فهي من نسل الشريف أحمد غلام الله الركابي. والخليفة عبد الله بن السيد محمد ينتسب إلى القطب الواوي التونسي عن والده، وإلى قبيلة التعايشة- بطن الجبارات- عن والدته السيدة أم نعيم. والخليفة علي ود حلو والده كان زعيم قبيلة دغيم ووالدته من قبيلة كنانة، أما الخليفة شريف فقد كان من أقارب المهدي. وقد تصاهر هؤلاء الآباء فيما بينهم وصاهروا قبائل عديدة بفعل مقصود من الإمام المهدي حيث دخلت في الأسرة الدماء من الحلاوين، والفلاتة الفولانيين، والمحس، والدينكا، والفور، والشلك، والكواهلة، والفونج، والشنابلة، والشايقية، والجعليين بمختلف بطونهم، والقراريش، والحسانية، والمسيرية، والحوازمة، والبديرية، والمسلمية، والرزيقات، وغيرهم من القبائل السودانية، كما صاهروا من جنسيات مصرية وحبشية، وتركية.

في هذه العصبة من العشائر والقبائل وقعت نوادر كثيرة كان أهلنا يقصونها

(١) الخليفة شريف (حوالي ١٨٦٨- ١٨٩٩م) محمد شريف بن حامد بن وراق (توفى والده عام ١٩٢٦م)، والدته شوة بنت فحل عمة المهدي عليه السلام. كان من أوائل الملتحقين بالمهدية المؤمنين بها. كان مقامه في المهدية خليفة علي الكرار. استشهد في الشكابة (قرية على النيل الأبيض) حينما هجمت قوة من الجيش المحتل عليهم، وأجريت لهم محاكمة صورية أعدم بعدها رميا بالرصاص هو وابنا المهدي الفاضل والبشرى، وقد حملت جثثهم وقيل: إنها ألقيت في النيل، حتى لا تكون مزارًا، ولا تستخدم في تأجيج معارضة ضد الاحتلال.

علينا، أذكر منها النوادر الآتية:

❖ كان السيد عبد الصمد (أحد أقرباء المهدي) يتقن الختان، ويعتبر طبيبا في المهدية، وعندما أسلم سلاطين باشا[1]، وسمي عبد القادر قام السيد عبد الصمد بختنه، وبعد زوال دولة المهدية جاء سلاطين مع الجيش الاستعماري، وعينه النظام الجديد مفتشا عاما للسودان ومشرفا مباشرا على أسرة المهدي، وخلفائه لمعرفته بهم، وليتمكن من إذلالهم وفي نفسه كثير من الحقد وحب الانتقام ومحاولة «التكفير» عن إسلامه وبينما كان سلاطين يزور الأسرة التقى بالسيد عبد الصمد وكانت له لحية جميلة فأمره بحلقها ووضعه في السجن. بعد أيام زار سلاطين السجن ووجد السيد عبد الصمد (الحليق) في السجن وسخر منه، فقال له السيد عبد الصمد: «الزينتو إنت بيقوم أحسن مما كان، لكن الزينتو أنا ما بيقوم!».

❖ أهل دنقلا حتى الذين هم من أصول عربية استعجموا، وصاروا يتحدثون بالرطانة. إن تاريخ أهل دنقلا من حيث اللسان مدهش جدًّا إذ اشتمل على

(١) سلاطين، رودلف سلاطين (٧ يونيو ١٨٥٧ - ١٩٣٢) نمساوي. عمل في مطلع شبابه بالقاهرة، ثم قرر السفر جنوبا حيث وصل حتى جبال النوبة، ورجع للنمسا. في ١٨٧٨م دعاه تشارلس جورج غردون للانضمام إلى الإدارة في حكومة السودان، فجاء للخرطوم في يناير ١٩٧٩م. وبعد عامين صار حاكما لدارفور. في ١٨٨٣ أعلن انضمامه للإسلام ليضمن إخلاص المحاربين معه، وحارب قوات المهدية حتى استسلم لها في ديسمبر ١٨٨٣م، وبقي في أسر الأنصار حتى هرب لمصر في ١٨٩٥م وانضم لمجهودات إعادة غزو السودان وكتب كتابه «النار والسيف في السودان». بعد نجاح الغزو عين مفتشًا عامًا للسودان ١٩٠٠م وحتى ١٩١٤م حين قدم استقالته من وظيفته بحكومة السودان، توفي ودفن بمسقط رأسه في ٢ أكتوبر ١٩٣٢م. (كتاب سلاطين عنوانه: Fire and Sword in the Sudan وقد ترجم للعربية عدة ترجمات شامية وسودانية من قبل بعنوان: السيف والنار في السودان، وآخر ترجمة أشرف عليها الأستاذ محمد المصطفى حسن عبد الكريم صوبت هذا الخطأ كما صوبت عشرات الأخطاء في التراجم السابقة، وأظهرت أن بعضها احتوى على الهوى في حذف بعض الجمل بل وحذف صفحات كاملة في التراجم القديمة.

استعجام عم كل أهل الإقليم تقريبًا، ثم استعراب مازال يواصل الانتشار، واستعجم سكان جزائر الأشراف، لذلك كان أهل المهدي الذين لم يهاجروا جنوبًا لا يتحدثون العربية إلا قليلا، وكانت إحدى عمات المهدي من هؤلاء وأرادت إن تقول: إن بنتها قد بلغت سن التكليف الشرعي، فقالت للحاضرات تعبيرًا عاجزًا (فاطمة تدور الرجال)، فضحكت النساء منها ضحكًا عاليًا حتى سمع المهدي الضجة فسأل فروي له ما حدث فضحك وقال لعمته: إذا أردت أن تقولي شيئا أخبريني به بالرطانة ، وسوف أترجم عنك.

❖ كان أحد أهلنا البقارة يصلي فأحدث فقال له أحد أهل العاصمة: يا فلان أنت أحدثت، فانتهره الرجل قائلا: أتتهمني بالحديث في الصلاة يا «...»، ووقعت مشاجرة حتى بلغت الكبار، فاستمع أحدهم للقصة، وأدرك ما وقع من سوء فهم فقال للرجل: يا أبا فلان أنت عفطت (ضرطت)؟ فرد الرجل: «واي(نعم).. أنا ما بحسب العفطين بيقطع الصلاة !» وانتهت المشكلة بعد إزالة سوء الفهم!!.

❖ كنا حتى عام ١٩٥١م نسكن حي العباسية في أم د رمان، وكانت تسكن إلى جوارنا مدرسة جميلة وتزوجها رجل دميم، وكان هذا الحدث محل استنكار أهل الحي، لذلك اجتمع بعضهم، وكتبوا على أوراق كثيرة: (إن الزهور فرائس الحشرات) ونثروا هذه الأوراق في منزل الزوجين الجديدين!!

❖ كان الإمام عبد الرحمن بصدد أن يعقد عقد الزواج لأحد الأنصار ودخل وقت المغرب، فقرر الإمام أن نبدأ بالصلاة ثم العقد، ومن عادة الأنصار أن يقول أحدهم بصوت عال قبل الصلاة: استووا، لذلك عندما تهيأ الناس للصلاة صاح الرجل الذي سيعقد له بأعلى صوته ليقول: استووا ولكنه قال: (صفاح) فقرر الإمام أن يعقد له قبل الصلاة، لإزالة الشاغل من ذهنه وقد كان.

❖ روي لنا في ظروف الحرب العالمية الثانية أن جقود[1] - وهو شاعر قومي سوداني معروف- كان يتعاطف مع دول المحور ككثير من الوطنيين الذين تعاطفوا مع دول المحور نكاية في الإنجليز، وقال أبياتا نصها:

عيونك يا بخيتة كزي مدافع ألمانيا

الهدن دولة النمسا في أقل من ثانية

روسيا تقهقرت وتخاذلت بريطانيا

إيطاليا انزوت وفرنسا أضحت فانية

وحققت معه سلطات الأمن، وهمّ مفتش المركز الإنجليزي بعقابه، ولكن توسط بعض أهل الخير فأمهله ثلاثة أيام ليؤلف فيها شعرًا يناقض ما قاله، فقال جقود: لا حاجة لثلاثة أيام بل ثلاثة دقائق، هات ورقة وقلماً فأعطاه فكتب الآتي:

تسلم يا الفريع الجيتنا من رومانيا

شوف يا آخي شوف عاين شلوخها تمانية

كل شلخا يدوخ دولة زي ألمانيا

قال له المفتش هذه أضعف من تلك، ولكن عفونا عنك!

وبالمناسبة فالشاعر القومي جقود اشتهر بهذا الاسم ومعناه في اللغة العامية النحيف، ويبدو أن اللقب قد أُطلق عليه في صباه أو طفولته وسار حتى آخر أيامه، ولكن الشاعر لما كبر زالت عنه النحافة، وروت لي الوالدة أن جقود كان يأكل خروفًا كاملاً وحده!. وقد طبع ديوانًا بمكتبة البازار ، وصدره بصورته

(١) أبو عثمان جقود، من أشهر الشعراء القوميين السودانيين، له ديوان طبعته مكتبة البازار السوداني عام ١٩٢٧م.

الفوتوغرافية وكتب تحتها الأبيات التالية:

أبو عثمان أنا الماشافني ينظر رسمي

عالم في العروض العامي وافر سهمي

فكاهي وما عبوس مازج كلامي ببسمي

ما قــولك جقود وأنا هذا ظاهر جسمي؟

❖ ورويت لنا قصة بلاغ فتح ضد الشاعر عبد الله البنا[1] أمير شعراء السودان قصة تشبه المحاكمة التي جرت لابنه إدريس[2] في القول الآتي المنسوب إليه:

مما شف سلاحك شاكي

بومـــك راكي

ما ضليت وما غبيت وما كت شاكي

إيه يا أمـــة إيه الجـاكي

غير كيــزان بتلــبس كاكي!

وتداولت المحكمة العسكرية الأمر فلم تجد ما تدين به الشاعر! أما قصة الشيخ

(١) عبد الله محمد عمر البنا (ولد في ام درمان عام ١٨٩٠م) حفظ القرآن بالخلوة ودرس الكتاب برفاعة ثم دخل كلية غردون والتحق بقسم المعلمين والقضاة، وتخرج معلمًا وعمل بالتدريس. أبوه الشيخ محمد عمر البنا كان شاعرا وقياديا بالمهدية.

(٢) إدريس عبد الله البنا (ولد في ١٩٢٤م) بأم درمان، تخرج في كلية غردون ١٩٤٥م، المعهد العالي للتعليم بالقاهرة، كلية جولد سميث، ماجستير فنون جميلة (جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ١٩٩٧م)، دكتوراة (آثار) جامعة الخرطوم ٢٠٠١. عمل بالتعليم، عين أول مراقب عام لتلفزيون السودان عام ١٩٦٣م، عمل ناشطًا في حزب الأمة، وكان عضوا بمجلس رأس الدولة عن الحزب ونائب لرئيس المجلس الديمقراطية الثالثة (١٩٨٦-١٩٨٩م).

عبد الله البنا، فهي أنه ألقى قصيدة في تحية العام الهجري ١٣٣٩هـ، ومطلعها:

يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين   حدّث فإن حديثا منك يشفيني [(١)]

وضمنها أبياتا في الهجاء هي:

والناسُ في القطر أشياءٌ ملفقةٌ   فإن تكشّف فعن ضعفٍ وتوهين

فمن غني فقير في مروءتـه

ومن قـوي بضعـف النفس مرهون

ومن طليق حبيس الرأي منقبض

فاعجب لمنطلق في الأرض مسجون

وآخر هـو طوع البطن يبرز في

زي الملـــــوك وأخـلاق البراذين

وهيكل تبعته الناس عن سرف

كالسامـــــري بلا عقـل ولا دين

يحتال بالدين للدنيا ليجمعهـا

سحـتا وتورده في قاع سجين

حيث زعم أحدهم أنه مقصود بالبيت (وآخر هـو طـوع الـبطن..الـخ)، ولكـن القاضي الإنجليزي بعد النظر في القضية قال للمدعي: إن الشاعر لم يذكر أحداً ولكنه وزّع قبعات فمن يرى القبعة مناسبة له يلبسها!.

(١) القصيدة من أشهر قصائد الشاعر، منشورة في ديوانه- عبد الله محمد عمر البنا ديوان البنا- الجزء الأول دار جامعة الخرطوم الناشر- الطبعة الثانية ١٩٧٦م- ص ٦٤- ٦٥.

❖ كان إبراهيم العبادي[1] شاعرًا قوميًا خفيف الظل، ومن نكاته التي أطلقها نكتتان واحدة أطلقها على شخص طويل، والأخرى على قصير، قال عن الطويل: كان فلان واقفا في شارع، وأرادت إحدى الفتيات المحجبات أن تخرج من غرفتها في بيتها المسور بسور مرتفع، ولكن الرجل كان مشرفًا فوق البناء لطوله الفارط، فلم تستطع الفتاة الخروج أمامه، ولما طال الوقت قالت لأمها: يمة قولي للراجل الراكب الجمل داك يمشي، ولا ينزل من جمله عشان أقدر أطلع الحوش!.

أما عن القصير فقال: قال أحدهم وقد رآه واقفًا: لشد ما أطال هذا الرجل الجلوس!.

ومن هجائه لأحدهم وكان طويلاً:

يا منادي نادي لفلان طويل   العقلو مِلّي وطولو ميل

وكان يستخدم في شعره صوراً كاركاتورية مضحكة، مثلا هجا من سماه «أبو الخشوم» وهو من سكان قرية الرياض بضفة النيل الأبيض الشرقية، فقال:

يا ناس الرياض قد أضحى شوم

الساكن فيهو أبو الخشوم

وشو شبرين غير جضوم

والعجب العجيب وقتين ينوم

شخرة كلاب عاملين هجوم

(١) أحمد بابكر العبادي (١٨٩٤ - يوليو ١٩٨١م) ولد بأم درمان، ودخل خلوة الشيخ الطاهر الشبلي، ثم المدرسة المتوسطة التي لم يكملها ليعمل مع والده في سوق المواشي، والتحق بخلوة الشيخ محمد البدوي. يعتبر من أعمدة الشعر السوداني في زمان الحقيبة.، كما كتب المسرحيات الشعرية.

❖ كان أحد أبناء أمراء المهدية متشاعرًا ويؤلف قصائد في المدح والهجاء، ومدح عددا من أفراد أسرة المهدي والخلفاء، وذات يوم ألف قصيدة في مدح السيد إسحاق محمد الخليفة شريف، والسيد إسحاق شاعر لم تعجبه قصيدة ابن الأمير، فهجاه وسماه خامس الشعراء مضيفا وصف خامس الشعراء للأربعة المعروفين في الأبيات الشهيرة:

الشعراء في الزمان أربعة

شاعر يجري ولا يجري معه

وشاعر يخوض وسط المعمعة

وثالث لا تشتهي أن تسمعه

ورابع لا تستحي أن تصفعه

فأضاف السيد إسحاق:

أما الأمير فضع عليه البردعة

وارفع هرواتك الثقيلة والبعه!

نكات مع بعض الساسة:

أ. كنت في اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة السودانيين في بريطانيا في عام ١٩٥٥م، وزارنا المرحوم السيد إسماعيل الأزهري[1]، وكان رئيسًا للوزراء وأعددنا

(١) إسماعيل الأزهري(١٩٠٠-١٩٦٩م) رئيس وزراء السودان(١٩٥٤-١٩٥٦م). تلقى تعليمه الأوسط بواد مدني، التحق بكلية غردون عام ١٩١٧م ولم يكمل تعليمه بها، عمل بالتدريس في مدرسة عطبرة الوسطي وأمد رمان، ثم ابتعث للدراسة بالجامعة الأمريكية ببيروت وعاد منها عام ١٩٣٠م. عين بكلية غردون، وأسس بها جمعية الآداب والمناظرة. وعندما تكون مؤتمر الخريجين كان=

له احتفالاً واجتماعًا ليخاطبنا، وكنا نريد أن نضغط عليه ليتوجه نحو الاستقلال وتضمن خطابنا الموجه إليه هذا المعني، وقلنا له ضمن معانٍ أخرى إننا عندما هممنا بتزيين المكان لاستقباله سألتنا المشرفة عن المكان أليس لديكم علم لنزين به القاعة؟ فخاطبنا بعبارات لائقة، وأصدر أول كلام صريح بالتوجه نحو الاستقلال قائلاً: سيكون للسودان سيادته وعلمه وعملته! لم يكن هذا الرأي متفقًا عليه في صفوف حزبه، بل حتى أعضاء وفده كان لهم رأي آخر عبر عنه المرحوم الشيخ علي عبد الرحمن متحدثًا عما سماه الاستقلال الاتحادي. لقد كان اللقاء حيا وصاخبا، وبعد أن استمعنا له فتح باب الأسئلة، وتقدمت السيدة حواء البصير[1] رائدة التمريض في السودان بسؤال، قالت: بنات الأسر الكبيرة في السودان يعرضن عن التمريض وهو مهنة ضرورية فهلا شجع الرئيس أزهري أفراد أسرته للدخول في التمريض وحث الأسر الأخرى على ذلك؟ وأجاب السيد عبد الفتاح المغربي -الملحق الثقافي آنذاك- بتعليق قائلاً: إن إعراض بنات الأسر الكبيرة عن التمريض جزء من التخلف الاجتماعي سوف يزول الإعراض عندما يزول التخلف الاجتماعي، فأنا مثلاً -والحديث للمغربي- زوجتي الإنجليزية كانت ممرضة، وقد دخلت مجال

=من أبرز قياداته، تزعم حزب الأشقاء داخل المؤتمر الذي تبنى في وقت لاحق من تكوينه دعوة الاتحاد مع مصر في مواجهة الدعوة لاستقلال السودان التي نادي بها حزب الأمة. تولى رئاسة الحزب الوطني الاتحادي عندما توحدت الأحزاب الاتحادية تحته. في عام ١٩٥٤م انتخب رئيساً للوزراء من داخل البرلمان، وتحت تأثير الحركة الاستقلالية تقدم باقتراح إعلان الاستقلال من داخل البرلمان فأجيز بالإجماع. تولى منصب رئاسة مجلس السيادة بعد قيام ثورة أكتوبر ١٩٦٤م إبان الديمقراطية الثانية. اعتقل عند قيام انقلاب مايو ١٩٦٩م بسجن كوبر وعند اشتداد مرضه نقل إلى المستشفى إلى أن توفي بها.

(١) حواء علي البصير – خريجة المدرسة الأفريقية بالخرطوم بحري كما أرسلت في بعثات تدريبية للمملكة المتحدة في فترات مختلفة، وعملت على تطوير فن التمريض والتوليد في البلاد- توفيت في ثمانينيات القرن العشرين.

التمريض مع أنها تلتقي في أحد جدودها بالعائلة المالكة البريطانية. وكان بين أزهري وعبد الفتاح مداعبات فهم أبناء دفعة واحدة، وكان عبد الفتاح كثير الفخر حتى أنه كتب ذات يوم مقالاً بعنوان: «لماذا لا أكون ملكًا؟»، فأراد الأزهري أن يصب ماءً بارداً على دعوى عبد الفتاح بأن زوجته تجتمع مع الأسرة المالكة البريطانية في أحد جدودها، لذلك عندما قال عبد الفتاح ما قاله بخصوص جد زوجته المذكور، قام أزهري وقال: بالمناسبة الجد المقصود اسمه آدم!.

ب. أثناء دراستي في بريطانيا زارنا وفد سوداني حكومي على رأسه المرحوم السيد عبد الله خليل[1] رئيس الوزراء الذي خلف السيد أزهري في رئاسة الوزراء بعد انشقاق الحزب الوطني الاتحادي[2]. وكان السيد عبد الله خليل قليل الكلام

(١) عبد الله خليل (١٨٩٢-١٩٧١م): تخرج من كلية غردون قسم المهندسين، وألحق بالمدرسة الحربية. كان من أعضاء جمعية اللواء الأبيض منفذة ثورة ١٩٢٤م التي كان المثقفون (الأفندية) في طليعتها. بعد فشل الثورة والموقف المتخاذل الذي وقفته الأورطة المصرية والحكومة المصرية منها تحول عبد الله خليل للفكرة الاستقلالية. وكان من أبرز المؤسسين لحزب الأمة كحزب يقود الشعار الاستقلالي وقد انتخب عبد الله خليل كأول سكرتير عام للحزب في ١٩٤٥م. كان رئيسا للوزراء في أول حكومة بعد الاستقلال، وقد سلم السلطة لقيادة القوات المسلحة ممثلة في الفريق عبود في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م، وذلك وفق رؤية معينة نكصت عنها قيادة الجيش وبطشت به وبحزب الأمة على وجه الخصوص وبكل القوى السياسية السودانية عمومًا.

(٢) الحزب الوطني الاتحادي حزب نشأ وأجيز دستوره وتم التوقيع عليه في اجتماع عقد بمنزل اللواء محمد نجيب في مساء ٢ نوفمبر ١٩٥٢م بعد أن كانت مشاورات تكوينه قد بدأت في الخرطوم ومنذ أغسطس ١٩٥٠. وهو عبارة عن تجميع لثمان مجموعات اتحادية بيانها: حزب الأشقاء بجناحيه (جناح إسماعيل الأزهري، وجناح محمد نور الدين) وحزب الاتحاديين، وحزب الجبهة الوطنية، وحزب وحدة وادي النيل، وحزب الأحرار الاتحاديين، ومؤتمر الخريجين العام، ومؤتمر السودان. انظر لتفاصيل ذلك: فيصل عبد الرحمن علي طه الحركة السياسية السودانية، والصراع المصري البريطاني بشأن السودان ١٩٣٦-١٩٥٣م دار الأمين- القاهرة- ١٩٩٨م. لاحقا انشق الحزب الوطني الاتحادي بخروج «حزب الشعب الديمقراطي» تحت رعاية السيد علي الميرغني.

ولكن على قلة كلامه لا يخلو من دعابة لطيفة، ذهب الساسة الحكوميون المذكورون لشراء بعض أغراضهم وذهبنا معهم مرافقين، ودخلنا متجرا فطلبوا جوارب فأحضرت لهم وقيل لهم: إن ثمن الجورب عشر جنيهات، وكان هذا السعر عاليا جدا في تلك الأيام فاستغرب السيد عبد الله خليل وقال: لماذا هذا السعر العالي؟!. قال له البائع ما معناه لأنه آخر صيحة because it is the last issue فقال عبد الله خليل: ماذا يجدي ذلك، فإن اشتريته وذهبت به للسودان وتفاخرت به على المحجوب[1] (يقصد السيد محمد أحمد محجوب وكان وزيرًا للخارجية ومشهورا بالأناقة بحيث لا يجاريه أحد في نوع وثمن ملبوساته).. لكشف لي محجوب عن جوربه، وقال هذه صيحة الغد أي إنتاج الغد this is not yet issued !.

❖ كان الشيخ محمد أحمد المرضي وهو أحد زعماء الحزب الوطني الاتحادي المعروفين قاضيًّا شرعيًّا، وكان يحكي لي كثيرًا من النوادر التي مرت به، وكان بالإضافة لمواقفه الوطنية مرحًا خفيف الظل، حكى لي أنه كان في زيارة لمنطقة الحلاوين وهم قبيلة أنصارية معروفة، وقال له بعض الناصحين يا مولانا إن هؤلاء القوم سوف يقدمونك لتصلي بهم فإذا صليت فلا تنس أن تتعوذ وتبسمل قبل قراءة الفاتحة في الركعة الأولى، وأن تقبض يديك وإلا اعتبروا الصلاة معك باطلة فسلموا أو أعادوها، قال: هيأت نفسي لذلك، وعندما قدموني تعوذت وبسملت ثم بدأت قراءتي ولكني بالرغم من ذلك سمعت المصلين يصيحون: سبحان الله! سبحان الله!

(١) محمد أحمد محجوب (١٩٠٨ - ١٩٧٦م) تخرج من كلية غردون التذكارية وعمل مهندسا بمصلحة الأشغال ثم تحول لدراسة القانون وصار من رجال القانون عمل بالقضاء أولا ثم المحاماة وصار نقيبا للمحامين عدة سنوات. شارك في الحركة الوطنية سياسيا بارزا، التحق بحزب الأمة واستقال عنه ثم عاد إليه، صار وزيرا لخارجية ثم رئيسا للوزارة وكان من أدباء السودان البارزين وله دواوين شعر وعدة كتب.

فسلمت، وسألت ماذا بعد؟ لقد تعوّذت وبسملت! قالوا: صحيح يا مولانا، ولكن سهوت عن الفاتحة نفسها!!.

وبهذه المناسبة، فإنني لا أفهم كيف يحتج الذين يسقطون التعوذ، والبسملة من الصلاة استنادا لآثار ظنية، مع إن التعوذ واجب بالنص القرآني: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (1) ولا يجوز إسقاط البسملة؛ لأنها برسم القرآن تتصدر الفاتحة، وتتصدر كل سور القرآن ما عدا سورة التوبة.

❖ في عام ١٩٧٧م عقدت المصالحة الوطنية مع جعفر النميري(2)، وخلافًا لما أشاع بعض الناس كان قرار المصالحة بإجماع آراء أعضاء الجبهة الوطنية المتحدة(3)، كما أن الحل السياسي لقضايا البلاد الوطنية الكبرى هو الأصل، لكن نظام مايو أبطله بالمجزرة الوحشية التي أقامها في الجزيرة أبا وود نوباوي(4) وقفل كل مجال للعمل السياسي بما اتخذ من إجراءات قمعية في سبتمبر ١٩٧٣م بعد انتفاضة شعبان. لذلك عندما قرر النظام فتح قنوات الحل السياسي لقضية الحكم في البلاد تجاوبنا، وبعد عودتنا للسودان في ظل المصالحة دعا جعفر النميري لاجتماع تعارف حضره عدد من قادة المعارضة وكان من بينهم المرحوم السيد عبد الماجد أبو حسبو، وفي الكلمة التي ألقاها نميري قال: إن المصالحة سمحت لنا أن نتعارف، فأنا قبل

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨.

(٢) جعفر محمد نميري (ولد ١٩٣٠م) سبقت ترجمته.

(٣) تفاصيل المصالحة الوطنية، والاتفاق حولها من جميع القيادات في الجبهة الوطنية في كتاب المصالحة الوطنية السودانية نشر عام ١٩٧٨م.

(٤) لقد قصفت الجزيرة أبا بالطائرات عصر الجمعة ٢٧ مارس ١٩٧٠م، واستمر القصف حتى الثلاثاء.. عدد قتلى الأنصار المحصورين ٧٤٥، والجرحى والمعوقين ٢٨٠، وكان قتلى الأنصار في أحداث ودنوباوي المتعلقة بأحداث أبا ١٦٢، والجرحى ٣٥.

هذا اللقاء كنت أظن أن الأخ أبو حسبو «أبيض» اللون (باعتبار أن هذا هو لون البشرة الغالب على أسرة أبو حسبو ولكن عبد الماجد كان شديد السمرة)، تضايق عبد الماجد من هذه الملاحظة ولذلك عندما جاء دوره ليتكلم قال: صحيح إن المصالحة أتاحت لنا فرصة التعارف، فأنا قبل أن أقابل نميري كنت أظن أنه مبرقع (أي: كلون النمر!!).

❖ نظام الفريق إبراهيم عبود[1] الذي حكم السودان من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤م، نظام أقام الأوتقراطية في تاريخ السودان الحديث، وقد رفضه الشعب في ثورة أكتوبر ١٩٦٤م ومع مآخذه فإنه أفضل الأتوقراطيات الثلاث التي عصفت بالسودان بعد استقلاله، وأهم منجزاته أنه ركز على التنمية الاقتصادية وحافظ على التوازن المالي الداخلي والخارجي وتجنب شعارات التثوير الصبيانية التي خرب بها نظاما مايو، ويونيو البلاد، وإحساسًا من نظام نوفمبر (نظام الفريق إبراهيم عبود) بإنجازاته كتب على بوابة القيادة العامة: (احكموا علينا بأعمالنا) ، ومررنا أمام القيادة العامة فقال المرحوم الشيخ الطيب السراج: حكمنا عليكم ، وكان رأي الشيخ الطيب الذي يكرره دائمًا أن

(١) إبراهيم عبود (ولد ١٩٠٠) رئيس جمهورية السودان(١٩٥٨-١٩٦٤م)، تخرج في كلية غردون عام ١٩١٧م، ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها عام ١٩١٨م، عمل بسلاح قسم الأشغال العسكرية بالجيش المصري حتى انسحاب القوات المصرية في عام ١٩٢٤م، حيث انضم إلى قوة دفاع السودان، عمل في سلاح خدمة السودان وفرقة العرب الشرقية وفرقة البيادة. عين قمنداناً لسلاح خدمة السودان عند السودنة ثم ترقى إلى رتبة أميرلاي عام ١٩٥١م. نقل إلى رئاسة قوة الدفاع كأركان حرب ثم ترقى إلى منصب نائب القائد العام عام ١٩٥٤م. قاد أول انقلاب عسكري بالسودان في نوفمبر ١٩٥٨م، وكان انقلابه في الحقيقة استلاماً للسلطة من رئيس وزرائها آنذاك السيد عبد الله خليل وفق اتفاق معين بتكوين حكومة قومية، وإجراء انتخابات لاحقة، ولكنه أطاح بالاتفاق وتنكر لبنوده وحل الأحزاب وأحل قياداتها حينما جاهروا بالمعارضة في السجون بمن فيهم السيد عبد الله خليل ، وقد أطاحت به ثورة أكتوبر الشعبية ١٩٦٤م.

الجاهل عدو نفسه!!. (الصحيح أن يقال احكموا لنا بأعمالنا).

❖ بعد قيام حركة ٣٠ يونيو ٨٩ كان قائدها وزملاؤه متحمسين لإدانة الديمقراطية الثالثة قائلين إنها ديمقراطية زائفة تسيطر على الأمور فيها أسرتان، صحيح أنه في كل البلاد المتخلفة يوجد نفوذ ديني وعشائري لبعض الأفراد والأسر لكن هذا النفوذ كان في السودان يمارس ضمن ضوابط الديمقراطية، ولا يسمح له بالتعدي على مكتسبات الدولة الحديثة مثل: حياد الخدمة المدنية - قومية القوات المسلحة - استقلال القضاء، حياد مؤسسات التعليم، حرية الصحافة وهلم جرا؛ وهي كلها مكتسبات تطيح بها النظم العسكرية في أول أعمالها. المهم أن رئيس النظام الجديد كان متحمسًا لأطروحته بأن الحكم في السودان كان فاسدًا؛ لأنه تحت نفوذ أسرتين، ولذلك عندما ذهب في زيارة لدول الخليج واصل هجومه على حكم الأسرتين في السودان بينما نظام الحكم لدي الدول المعنية يقوم على الولاء لأسرة واحدة. هكذا بدد رئيس النظام الجديد حماسته في الحديث لوسط لا يرى عيبا في نظام حكم تسيطر عليه أسرة أو أسرتان!!

❖ دعينا لمؤتمر إسلامي في الجزائر في عام ١٩٨١م، وقام أحد خطباء الوفد اليمني، وكان عالما تقليديًّا وألقى خطابه بكل جدية مركزًا على الآتي:

١. الإفرنج هم أعداؤنا، ويريدون إطفاء نورنا وصدنا عن الحق الذي نحن فيه، والدليل على ذلك أن تراثنا يدور حول الجامع، وهو مكان خير وبركة؛ وبرهان فضله أنه مذكر، لكن الإفرنج حرفونا عن ذلك ويريدوننا أن نلتف حول الجامعة وهي مكان شر وفساد؛ وبرهان فسادها أنها مؤنثة!!

٢. أننا نخاطب بعضنا البعض بألقاب فاضلة مثل الشيخ، الحاج، العالم، الفقيه وهلم جرا! ولكن الإفرنج حرفونا عن ذلك، وجعلونا نتسابق للتسمي باسمي

أحمق ذكرين هما الديك، والثور فنقول: ديكتور!!!

❖ السودانيون يتهمون إخوتهم المصريين بأنهم مع قرب الجوار والمصالح المشتركة لا يعرفون السودان وأهله بالقدر الكافي، وتكثر النكات التي تدل على أن السودانيين يعرفون عن مصر وأهلها أضعاف ما يعرف المصريون عن السودان وأهله، وأكثر ما يؤلم السودانيين أن يخطئ المصريون في أسمائهم، هذا يحدث باستمرار وقد يشفع لهم غرابة أسماء بعض السودانيين في أذن المستمع المصري، وفي هذا الصدد يحكي أن موظفًا مصريًّا اطلع على جواز السيد أبّو حسن أبّو، فقال له: أبو حسن أبو مين؟!.

❖ وفي عام ١٩٧١م كنت محبوسًا في مصر في كلية الشرطة، وكان يحرسني عدد من أفراد الشرطة يتناوبون على حراستي وعلى رأس الحراس ضابط من ضباط الشرطة، وكان هذا الحبس غريبًا لعله من الأشياء العملية القليلة التي حققها التعاون السوداني المصري في عهد مايو، وأثناء محاكمة المرحوم عبد الخالق محجوب بعد محاولة انقلاب يوليو ١٩٧١م جاء في الجريدة المصرية أن المتحري سأل عبد الخالق هل تشرب الويسكي؟ فرد عبد الخالق: أشرب ما تيسر. اطلع أحد ضباط الشرطة الذين معي على ما ورد في الجريدة، ثم قال لي: الله انتو عندكم في السودان مشروب اسمه ما تيسر؟؟!



الفصل الثاني

مواقف مدهشة

المواقف التي سأذكرها هنا لا تدخل في باب الفكاهة مباشرة، ولكنها مواقف نادرة وفيها عنصر إحراج وغرابة وربما عنصر إضحاك:

١. في أكتوبر ١٩٦٤م بلغ الرفض للنظام العسكري قمته، وبعد ندوة الجامعة الشهيرة كتبت القوى السياسية المعارضة مذكرات للنظام تدينه وتطالب بعودة القوات المسلحة لثكناتها واستعادة الديمقراطية، ونظمت القضائية موكبًا للمطالبة بإجراء تحقيق عادل في أحداث الجامعة وتصدت الشرطة لموكب القضائية وتحول الموقف من مجرد المطالبة بتحقيق إلى إعلان إضراب عام أيدته في حينه القوى السياسية والنقابية وانتشر الإضراب العام في العاصمة وفي الأقاليم وتحركت مظاهرات مستمرة تدين الديكتاتورية، وتطالب بالحريات الأساسية وبعد أربعة أيام من التوتر الشديد قرر الفريق إبراهيم عبود حل كل مؤسسات الحكم المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء والمجلس المركزي كوسيلة لاحتواء الانتفاضة وكانت المقاومة موزعة على مركزين: مركز في نادي أساتذة جامعة الخرطوم في الخرطوم، وفيه رئاسة جبهة الهيئات التي تكونت لتنظيم الإضراب العام ومركز آخر في بيت المهدي في أم د رمان وفيه رئاسة الجبهة القومية المكونة من الأحزاب السياسية المعارضة للنظام العسكري واختار الفريق إبراهيم عبود مخاطبتنا في أم د رمان، فأرسل إلينا في بيت المهدي اللواء عوض عبد الرحمن صغير، واللواء الطاهر عبد الرحمن المقبول لفتح باب التفاوض معنا رحبنا بهما في بيت المهدي،

وقلنا إننا نرى أن يكون التفاوض مع كل أطراف المعارضة، أي : بإضافة جماعة نادي الأساتذة إلينا، والغريب أن وفدا من جماعة نادي الأساتذة وصل إلي بيت المهدي بعد وقت قصير من وصول وفد الفريق إبراهيم عبود، فاتفقنا أن يذهب وفد جامع ممثل للمعارضة؛ لمقابلة الفريق إبراهيم عبود في القصر في الخرطوم وتكون الوفد من الإخوة مبارك زروق[1]، بابكر عوض الله[2]، حسن الترابي[3]،

---

(١) مبارك بابكر زروق (ت١٩٦٥ م) من أوائل المحامين السودانيين وكبار القادة السياسيين. خريج كلية غردون. عمل بالسكة الحديد ثم التحق بمدرسة الحقوق وزاول المحاماة، من قادة الحزب الوطني الاتحادي. انتخب في ١٩٥٣م عضوا في مجلس النواب عن دوائر الخريجين، عُين وزيرًا للمواصلات وزعيما لمجلس النواب في أول حكومة شكلها السيد إسماعيل الأزهري. بعد الاستقلال في ١٩٥٦ عين أول وزيرًا للخارجية. كان عضوا في برلمان ١٩٥٨م عن دائرة ريفي الخرطوم، كما كان زعيما للمعارضة في مجلس النواب. بعد قيام حكومة نوفمبر ١٩٥٨، واشتداد المعارضة السياسية له اعتقل في يوليو ١٩٦١م ونفي في جوبا مع عدد كبير من قادة الجبهة الوطنية المعارضة للنظام، وأفرج عنه في ٢٨ يناير ١٩٦٢م. بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م عين وزيرا للمالية في الحكومة الانتقالية.

(٢) بابكر عوض الله ولد (١٩١٧م) سياسي سوداني ولد بالقطينة وتخرج في مدرسة الحقوق بكلية غردون التذكارية عام ١٩٤٠م . نال ماجستير القانون. عمل رئيساً لمجلس النواب في ١٩٥٤م ،و تولى رئاسة المحكمة العليا ومنصب رئيس القضاء عام١٩٦٤م ،ثم منصب رئيس الوزراء إبان حكومة مايو في الفترة من ٢٥ مايو ١٩٦٩ وحتى أكتوبر ١٩٧٠م.

(٣) حسن الترابي- الدكتور (ولد في فبراير ١٩٣٢م) حسن عبد الله دفع الله الترابي، ولد بكسلا لوالد يعمل بالقضاء الشرعي، وأسرته من قرية ود الترابي يعود نسبها للشيخ حمد النحلان الذي ادعى المهدية في عهد الدولة السنارية. تخرج من كلية الحقوق جامعة الخرطوم، ثم تلقى الدراسات العليا في إنجلترا وباريس متخصصًا في القانون الدولي. انضم لتنظيم الإخوان المسلمون وصار من أبرز قياداته، وقد انشق التنظيم لاحقًا إلى جناحين أحدهما بقيادته، والآخر بقيادة الأستاذ صادق عبد الله عبد الماجد. تحول التنظيم تحت قيادته إلى جبهة الميثاق الإسلامي، ثم الجبهة الإسلامية القومية التي دبرت بقيادته انقلاب ٣٠ يونيو ١٩٨٩م، ودخل سجن كوبر مع غيره من قيادات تنظيمهم للتمويه، أطلق سراحه، وصار الأمين العام للمؤتمر الوطني الحزب الحاكم، وفي العام ٢٠٠١م انشق الحزب وصار أمينًا عامًا للمؤتمر الشعبي المعارض للنظام. له العديد من المؤلفات في الفقه، والفكر الإسلامي.

أحمد سليمان[١]، أحمد السيد حمد، عابدين إسماعيل وشخصي. وذهبنا لمقابلة الفريق إبراهيم عبود في القصر الجمهوري، وجلسنا في جانب، وجلس هو وزملاؤه في جانب. وسأل ماذا تريدون؟

توليت أنا الرد نيابة عن وفد المعارضة فقلت: حسن أنك قد قمت بحل أجهزة النظام الحالي، والآن نحن نطلب إعادة الدستور المؤقت لعام ١٩٥٦م؛ الذي عطل بقيام انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م، ولدهشتنا تساءل الفريق إبراهيم عبود: الدستور المؤقت؟ ما هو هذا الدستور المؤقت؟ وكان الرد محرجًا لجماعته وكان فيهم مستشاره القانوني السيد احمد متولي العتباني فهمس شيئًا في أذنه فقرر رفع الاجتماع على أن يستأنف في وقت لاحق وقد كان.

٢. دعيت في عام ١٩٦٦م، ورئيس مجلس السيادة آنذاك السيد إسماعيل الأزهري ووزير الخارجية السيد إبراهيم المفتي - رحمهما الله - إلى اجتماع قمة أفريقي في كنشاسا، وكان مخططا أن نلتقي على جانب المؤتمر بالسيد ملتون أبوتي[٢] رئيس

(١) أحمد سليمان- المحامي (ولد ١٤/ ١/ ١٩٣٤م) ولد بأم درمان، خريج كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة. من مؤسسي الحزب الشيوعي السوداني، ومن قادة الجبهة المعادية للاستعمار. فصل من عضوية الحزب الشيوعي عام ١٩٧٠، تقلد عدة مناصب وزارية وعمل سفيرا للسودان في عدد من العواصم. انضم للجبهة الإسلامية القومية بعد انتفاضة رجب/ أبريل ١٩٨٥م.

(٢) أبولو ملتون أبوتي Apollo Milton Obote (٢٨ ديسمبر ١٩٢٤- ١٠ أكتوبر ٢٠٠٥) ولد بقرية أكوروكو بشمال يوغندا، انتخب عضوًا بالمجلس التشريعي عام ١٩٥٨م، وقاد بلاده للاستقلال من الاستعمار البريطاني في ١٩٦٢، وكرئيسًا للوزراء منتخب قبل بدستور يجعل الرئيس منصبًا تشريفيًا بينما السلطات الحقيقية لدى رئيس الوزراء، كما يعطي الحق الفيدرالي لخمسة ملكيات تقليدية بها في ذلك مملكة بوغندا (بجنوب يوغندا) التي صار ملكها (الكاباكا) إدوارد موتيسي رئيسا ليوغندا، ولكن أبوتي أعلن حالة الطوارئ وعلق الدستور في ١٩٦٦م وصار رئيسًا للبلاد ورئيسًا لوزرائها في ذات الآن، ومنذ ذلك الحين صار منصب الرئيس هو الأهم بيوغندا، وأرسل قوات بقيادة الجنرال عيدي أمين لإخضاع حاكم بوغندا (موتيسي الثاني)، ثم ألغى لاحقا=

وزراء يوغندا لنشكره على تعاون حكومته معنا في مجال أمن السودان، واحتواء التمرد وكان معروفا أن أبوتي يتعاون معنا من وراء ظهر الكنيسة، ومن وراء ظهر المعارضة اليوغندية ولذلك اتفق أن يكون الحديث معه سريا وبعد انسحاب الإعلاميين. ولكن الخارجية لم تنقل هذا التنبيه لرئيس مجلس السيادة ربما، لأنها توقعت أن يكون المتحدث باسم السودان هو رئيس الوزراء، التقينا بالسيد أبوتي وبينما أجهزة الإعلام مسلطة على الوفدين تحدث السيد الأزهري قائلا: أيها الأخ نحن نريد أن نشكركم على الأشياء المفيدة التي تقوم بها يوغندا معنا!! وخيمت الحيرة على الجميع، لكن أبوتي أسرع بتغيير الموضوع قائلاً: نعم هنالك أشياء كثيرة تحدث في يوغندا فالكاباكا[1] مثلا يسبب لنا متاعب كثيرة (الكاباكا يحتل منصب وراثي كزعيمًا لقبيلة البقاندا أكبر قبائل يوغندا وعندما استقلت يوغندا اختير رئيسا

=جميع الملكيات، وقد أطاح به عيدي أمين في انقلاب عام ١٩٧١، وفي ١٩٧٩م عزل أمين، وعاد أبوتي ليوغندا وأقام حكما شموليا ثم أطيح به من جديد في ١٩٨٥م وفر لتنزانيا ثم استقر بزامبيا، توفي معانيًا من الفشل الكلوي بمستشفى بجوهانسبيرج بجنوب أفريقيا.

(١) الكاباكا: أي الملك وكان ملك بوغندا Buganda بجنوب يوغندا، وهو إدوارد موتيسا (١٩نوفمبر ١٩٢٤م- ٢١ نوفمبر ١٩٦٩م) السير إدوارد فريدريك وليام دايفيد والوقيمبي موتيبي لوانجولا موتيسا يلقب بالملك فريدي، كان ملكًا وزعيمًا لقبيلة غاندا القبيلة الأكبر في بوغندا، كان رئيسا ليوغندا من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦. صار ملكا على بوغندا في ١٩٣٩ خلفا لوالده (الملك داودي كوا الثاني) دخل جامعة كيمبردج بإنجلترا، واصل مجهودات أبيه بتحويل المملكة إلى ملكية دستورية، وعمل على جعل بوغندا مملكة مستقلة عن يوغندا ولكن مسعاه لم ينجح وقد عزل ونفي لفترة من الزمان. عاد موتيسا لعرشه في ١٩٥٥م. وفي ١٩٦٢م دمج حزبه (كاباكا ييكا :أي: الملك وحده) مع المؤتمر الشعبي اليوغندي ودخلا سويا انتخابات ١٩٦٢م، وفي ١٩٦٣ ألغى أوبوتي تبعية يوغندا لدول الكومونولث وانتخب موتيسا كرئيس –تشريفي السلطات- ليوغندا ولكن موتيسا لم يرض بهذا الوضع الصوري واستمر في الخلاف مع أوبوتي حول مستقبل بوغندا، وفي ١٩٦٦م عزله أوبوتي ونفاه لبريطانيا. توفي مسممًا بالكحول في شقته بلندن ما اعتبرته السلطات البريطانية انتحارًا، واعتبره البعض اغتيالًا.

للجمهورية على نمط الملك في بريطانيا يملك ولا يحكم)، واستمر أبوتي يتحدث عن الكاباكا ولا يعطي فرصة للسيد الأزهري ليوضح مقصده حتى انسحبت جماعات الإعلام.

٣. كان ميثاق ثورة أكتوبر ١٩٦٤م قد ألزم الحكومة الانتقالية التي كونت برئاسة السيد سر الختم الخليفة[١] بإجراء انتخابات عامة في البلاد في ظرف ستة أشهر، ولكن وقع خلاف بين أطراف الحكومة، وكان اتجاه الشيوعيين وحزب الشعب الديمقراطي عدم إجراء الانتخابات في موعدها، وكان موقف حزب الأمة والوطني الاتحادي (أزهري) وجبهة الميثاق الإسلامي أن تجري الانتخابات في موعدها واتضح أن عددًا من وزراء الحكومة الانتقالية قد دخلوا الحكومة باسم جبهة الهيئات (جبهة مكونة من النقابات) ولكنهم كانوا في الحقيقة أعضاء في الحزب الشيوعي، مما أخل بالتوازن الحزبي داخل الحكومة إذ كان الاتفاق أن تمثل الأحزاب بوزير واحد عن كل حزب على أن تكون بقية الحقائب الوزارية لشخصيات محايدة، اتضح أن عددًا من الشيوعيين دخلوا الحكومة بالصفة النقابية وباعتبارهم شخصيات محايدة!! كان هؤلاء يحاولون الإبقاء على عمر الحكومة الانتقالية أطول فترة ممكنة، واتضح جليًّا أن الحكومة بتكوينها غير المتوازن هذا لن تجري الانتخابات في موعدها. ورأينا ضرورة استقالة الحكومة الانتقالية، وتكوين حكومة أخرى موزونة لتجري الانتخابات في موعدها، وليزال منها عنصر المبالغة

(١) سر الختم الخليفة الحسن (١٩١٩ - ١٨ فبراير ٢٠٠٦) ولد بالدويم. والده الخليفة الحسن أحمد ووالدته نفيسة الفكي العبيد. تخرج في كلية غردون التذكارية مدرسة المعلمين عام ١٩٣٧، ثم كلية إكستر بجامعة أوكسفرد (١٩٤٦م). عمل بالتعليم في الجنوب. اختير رئيسًا لحكومة أكتوبر الانتقالية الاولى والثانية (١٩٦٤ -١٩٦٥)، ثم سفيرًا للسودان في عدة عواصم، ونال لقب (سير) من ملكة بريطانيا. تقلد عدة وزارات.

في الوجود الشيوعي. وتأزم الموقف السياسي في البلاد، والتهب الشارع السياسي السوداني وأحدق الخطر بالنظام الانتقالي الذي قام في البلاد بعد ثورة أكتوبر، وحلاً للأزمة اتفقت مع رئيس الوزراء السيد سر الختم الخليفة على أن يقدم استقالته مما سيؤدي تلقائيًّا لإقالة جميع وزراء الحكومة، ثم يعاد تكليفه بتكوين حكومة جديدة فيكون حكومة سليمة التوازن الحزبي، وكان من الضروري لنجاح هذه الخطة أن يوافق عليها مجلس السيادة وكان رئيس مجلس السيادة في تلك الفترة، وهو الشخص المنوط به قيادة المجلس وتحديد موقفه هو الدكتور التجاني الماحي[1]، وكان الدكتور التيجاني الماحي محسوبًا على الجانب الآخر الذي يرى تأجيل الانتخابات ومد عمر الحكومة الانتقالية، ولكنني راهنت على وطنية د. التيجاني وذهبت إليه وأوضحت له أن تأجيل الانتخابات سوف يلهب الشارع السياسي السوداني مما يعرض تطور البلاد الدستوري للخطر. كان د. التيجاني الماحي يستمع لي بإصغاء ثم ما لبث بعد أن انتهيت من حديثي أن بدت عليه أمارات التفكير العميق، وفجأة قام من مجلسه بجانبي وتوجه إلى بيانو في قاعة القصر دون أن يذكر لي أي شئ، وانهمك في عزف مقطوعة موسيقية - لعلها تساعده على التفكير - ثم جاء وقال لي بكل حزم: نعم civil coup يجب أن نقوم بانقلاب مدني لإنقاذ البلاد أنا أوافق على الإجراء التصحيحي وإذا لم يوافق أعضاء مجلس السيادة الآخرون على ذلك نستعين بأحزابهم عليهم.. وافق د. التيجاني بحماس شديد على إجراء التصحيح وتصرف بهمة وطنية لم تراع أية عوامل أخرى، ونفذت الخطة كما

(١) التيجاني الماحي (١٩١١ - ٨ يناير ١٩٧٠) من مواليد الكوة، تخرج من مدرسة كتشنر الطبية عام ١٩٣٥، رائد الطب النفسي في السودان، تقلد منصب رئاسة مجلس رأس الدولة بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، كان ذا ثقافة واطلاع واسعين، وكان يعد موسوعة متجولة. له عدة مقالات منشورة في كتاب «Selected Essays».

رسمت وأجريت الانتخابات في موعدها.

٤. في عام ١٩٦٥م زرت ضمن وفد حزب الأمة الجمهورية العربية المتحدة واجتمع بنا الرئيس جمال عبد الناصر[١]، وحكى لنا ضيق حكومته بأحداث اليمن وكيف أنه يتطلع لأي إجراء عربي يضع حدا للحرب الأهلية في اليمن، ويضع نهاية للوجود العسكري المصري هناك، وجرت مساع عربية أدت لاتفاق الملك فيصل[٢] والرئيس جمال أن يلتقيا في جدة لتصفية النزاع حول اليمن.

كنت متابعًا لظروف الحرب الإقليمية، والدولية وكان واضحا لي أن القيادة المصرية دخلت اليمن بحسابات غير صحيحة وأنها تريد إيجاد مخرج سليم لها؛ لذلك أرسلت برقية للرئيس جمال وللملك فيصل باسم رئيس حزب الأمة ورحبت باجتماعهما واقترحت لهما اتفاقا من أربع نقاط وبعد إرسال البرقية نشرتها الصحف السودانية وأخذ أحد الصحافيين السودانيين نص برقيتي المنشور ومر على زعماء الأحزاب السودانية يسألهم عن رأيهم فيها، فكان موقف الشيخ علي عبد الرحمن رحمه الله رئيس حزب الشعب الديمقراطي والقوى الناصرية في السودان هو إدانة برقيتي واتهامي بالسعي لتصفية ثورة اليمن. بعد يومين من هذه المداولات أذيع اتفاق جدة بين الملك فيصل والرئيس جمال وكان مطابقا تماما لما ورد في برقيتي، هل أخذوا بها أم هو وقع الحافر في الحافر؟ الله أعلم، ولكن الصحفي الذي سأل الأحزاب السودانية عن رأيهم في برقيتي، ذهب إليهم يسألهم عن رأيهم في اتفاق

(١) جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠م).

(٢) فيصل بن عبدالعزيزآل سعود الابن الثالث في سلسلة أبناء الملك عبدالعزيز آل سعود الذكور - (١٩٠٦ / ١٣٢٤ - ٢٥ مارس ١٩٧٥/ ١٣٩٥ هـ) ملك المملكة العربية السعودية، للفترة ١٩٦٤ وحتى ١٩٧٥ م. أقام عدة إصلاحات بالمملكة، واغتاله الأمير فيصل بن مساعد بن عبدالعزيز آل سعود مطلقًا عليه النار في مكتبه بالديوان الملكي. خلفه ولي العهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.

جدة قالوا جميعا : حتى الذين أدانوا البرقية نبارك اتفاق جدة قيل لهم: ولكن هذا الاتفاق مطابق لبرقية الصادق، وقد شجبتموها قالوا: الرئيس جمال عبد الناصر أدرى بمصلحة الثورة العربية؛ لذلك نؤيد ما اتفق عليه!!.

٥. التطور السياسي في السودان فيه دروس كثيرة ومفيدة. من أهم مبادئ الديمقراطية تحقيق استقلال القضاء ولكن كثيرًا من الناس وهم يحرصون على استقلال القضاء يهملون شرطًا لازمًا لاستقلال القضاء: حياد القضاء والقضاة. لقد لعب السيد بابكر عوض الله دورًا هامًا في ثورة أكتوبر، وعندما كنا نكتب ميثاق الثورة كان السيد بابكر عوض الله أحرص الناس أن يتولى رئاسة القضاء مجلس لا فرد، وقبلنا رأيه.. لم يكن السيد بابكر يتصور أنه سوف يصبح رئيسا للقضاء نتيجة للثورة، ولكن بعد نجاح الثورة صار رئيسًا للقضاء فعطل بند الميثاق الخاص بتولي مجلس لصلاحيات رئيس القضاء وصار يتصدى لكل من يحاول تنفيذ هذا البند من الميثاق داخل القضائية، أو خارجها وأهم من ذلك حرص على استقلال القضاء ولكن دون مراعاة لحياد القضاء، مما جعل رئاسة القضاء في عهده منبرًا لاتجاهات حزبية سياسية معينة.. منبرًا لعب دورًا ملموسًا في الانقضاض الثاني على الديمقراطية في السودان.

❖ كثير من الساسة الجنوبيين يأخذون على ساسة الشمال أنهم يتنصلون من التزاماتهم. قالوا: هذا عن مطلب الفدريشن الذي طالب به الجنوبيون في عام ١٩٥٥م وجعلوا الموافقة عليه شرطا لتصويتهم لجانب إعلان استقلال السودان داخل البرلمان، ووعدت الأحزاب الشمالية بالنظر في قضية الفدريشن عندما يوضع دستور البلاد، طبعًا لم ينظر في الأمر لوقوع انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م، والانصراف عن وضع الدستور. ولكن حتى قبل وضع الدستور كان الاتجاه داخل

لجنة الدستور القومية -التي تكونت لوضع دستور دائم - مضاد للفدريشن، فقد رفضت اقتراح الأعضاء الجنوبيين بتطبيق النظام الفيدرالي وأحالته للجنة فرعية، وفي ديسمبر ١٩٥٧م اتخذ غالبية أعضاء اللجنة قرارا باستبعاد النظام الفيدرالي من النظم التي سيكون عليها شكل الدولة السودانية[١]. كما كان هناك اتجاه شعبي قوي في الشمال ضد الفدريشن باعتباره فكرة أو صنيعة الاستعمار، وقد عبر عن ذلك العبادي[٢] بقوله:

الفدريشن دة حربة طرينا ما سكينا

التصميم إيدن وإخراج معامل كينا

من واجب الجميع نبحث بكل سكينا

قبال الحلاوا تذوب ونلقـــا الكينا

إن موقف العبادي كصوت شاعر فرد حر يمكن الدفاع عنه، ولكن موقف الأحزاب التي تتنصل من اتفاقاتها لا يمكن بالطبع الدفاع عنه. هناك موقف أشهد عليه، وهو أن الأحزاب السودانية كلها اتفقت في عام ١٩٦٧م على أن يكون للجنوب حكم ذاتي إقليمي تم الاتفاق عبر لجنة الاثنى عشر وعبر مؤتمر الأحزاب السودانية، ولكن عندما أُعلنت هذه القرارات عارضها اتحاد الإداريين السودانيين باعتبارها مدخلا لتفتيت السودان، وكانوا يرون ضرورة الاستمرار في حكم السودان مركزيًّا وأرسل اتحاد الإداريين وفدًا لمقابلة زعماء الأحزاب، فأعلن لهم كل الزعماء رفض الحكم الإقليمي، وأيدوا الاستمرار في المركزية رغم ما قررته

(١) محمد عمر بشير مشكلة جنوب السودان.

(٢) أحمد بابكر العبادي (١٨٩٤- يوليو ١٩٨١م).

أحزابهم، ولكنني وحسن الترابي[1] وعبد الخالق محجوب[2] أعلنا لوفد الإداريين التزامنا بتلك القرارات. وفي لقاء محرج مع السيد وليم دينق[3] قال لي: ما قيمة الاتفاقيات إذا كان أصحابها يتخلونْ عنها قبل أن يجف مدادها؟؟

٦. عندما وقع انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩ كنت في أم درمان، ولم تكن لي صفة رسمية في الحكومة لذلك لم أُعتقل في أول أيام الانقلاب، واجتمع جمهور من الناس في بيت المهدي وخاطبتهم قائلاً: لا بديل للنظام الديمقراطي ويحتمل تقلب

(١) حسن الترابي- الدكتور (ولد في فبراير ١٩٣٢م) سبقت الترجمة له.

(٢) عبد الخالق محجوب عثمان (٢٣ سبتمبر ١٩٢٧- يوليو ١٩٧١م) ولد بحي المكي بأم درمان درس في خلوة إسماعيل الولي؛ التابعة للطريقة الإسماعيلية، ثم مدرسة الهداية الأولية الأهلية؛ ومدرسة أم درمان الوسطي (المدرسة الأميرية) والتحق بكلية غردون، ثم هاجر لمصر لإكمال دراسته حيث انتسب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول؛ وهناك صار كادرا قياديا في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)؛ كبرى تنظيمات الحركة الماركسية المصرية حينها، وقطع دراسته بسبب المرض؛ وعاد للسودان عام ١٩٤٩ والتحق بالحركة السودانية للتحرر الوطني (حستو) التي تأسست عام ١٩٤٦؛ وقاد صراعا داخلها أسفر عن اختياره سكرتيرًا عاما للحركة. شارك في معارضة نظام عبود العسكري، وكان عبد الخالق من أبرز القيادات السياسية بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤ كسكرتير عام للحزب الشيوعي السوداني، حل حزبه في ١٩٦٦م بقرار من البرلمان وطرد نوابه، وقام الحزب بتأييد انقلاب مايو ١٩٦٩م، وشارك في وزاراته ومؤسساته المختلفة، ثم قرر الحزب الانقلاب على السلطة المايوية تحت قيادة الرائد هاشم العطا في ١٩ يوليو ١٩٧١م، ونفذ مذبحة في بيت الضيافة. فشل الانقلاب وقدم قادة الحزب والانقلاب لمحاكمات ميدانية صورية عاجلة أعدموا إثرها، وكان عبد الخالق على رأسهم. يعد من أبرز القيادات الفكرية للحزب الشيوعي السوداني، وله علاقات طيبة مع كثير من السياسيين السودانيين.

(٣) وليم دينق (١٩٢٩- ٥ مايو ١٩٦٨م) سياسي جنوبي، جمعته بالمؤلف صداقة وتحالف سياسي كان واعدًا في فترة الديمقراطية الثانية. كان زعيمًا لحزب سانو، ومن أوائل الزعماء الجنوبيين الذين استجابوا للتغيير الديمقراطي في الحكم إبان ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، وعادوا للسودان من دول الجوار الأفريقي. اغتيل في مؤامرة لم تكشف أبعادها حتى الآن.

نظم الحكم في محاولة لتحقيق الأحسن؛ لذلك فحدوث انقلاب إذا تعثرت المسيرة الديمقراطية لمراجعة الأداء وارد لكن هذا الانقلاب ليس لتصحيح مسار الديمقراطية بل لفرض رأي حزب أقلية هو الحزب الشيوعي على البلاد، وهذا مرفوض وواجب المسلمين والوطنيين مقاومته.

❖ أرسل النظام الجديد لي قوة بقيادة حسين أبو شيبة ومحجوب برير محمد نور[1]، وأُعطيت القوة تعليمات أن تهجم علينا وتقتلني إذا وجدت موقفي مناهضا للنظام الجديد أو وجدت أية ذريعة أخرى كأن أقاومهم مثلا، وتوجهت القوة إلى منزلي في الملازمين، وقبل مغادرتها مركز القيادة همس السيد بابكر عوض الله وقد كان رئيسا للوزراء في أذن محجوب قائلاً: لا تترك أبا شيبة يتصرف وحده؛ لأنه سوف يفتعل أي ذريعة ليقتل فتدخل معه فيما يقول ويفعل لتجنب القتل. وصلت القوة لمنزلي ودخل الضابطان لمقابلتي فقالا لي: لقد وقعت ثورة في البلاد لها أهداف وطنية وهي لا تسمح بأية معارضة لها فما قولك؟ قلت لهما: إذا كانت أهداف الثورة هي تصحيح مسار الديمقراطية فالتفاهم معها ممكن ولكن إذا كان هدفها هو فرض برامج حزب أقلية على الوطن فهذا مرفوض ولا أقبله. ويبدو أن هذا الرد أدهشهم المهم قالا لي: إنهما سوف يذهبان للقيادة ويذكران ما سمعا مني وتركاني دون فتك، أو اعتقال.. وحتى هذه اللحظة لا أدري كيف نجوت من خطة القتل هذه؟! وبهذه المناسبة أذكر أن خطط قتلى أثناء عهد مايو تكررت، ولكن الله صرفها عني، أذكر منها التدابير الآتية:

أمرت السلطات بتحويلي من منزل كنت معتقلاً فيه في جبيت إلى سجن

---

(١) محجوب برير محمد نور (عقيد م) (ولد ١٥/ ١٠/ ١٩٣٤م) ولد بمدينة سنجة، تخرج في الكلية الحربية السودانية ١٩٦٠م، ثم ليسانس الآداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم. كان ضابطًا بالقوات المسلحة السودانية، له عدة مؤلفات.

بـور تسـودان وعلمـت أن تعليـمات صـدرت بتصـفيتي في الطريـق إلى بـور تسـودان ولكن التعليمات وصلت بعدِ وصولي للسجن.

أثناء وجودي في بريطانيا منفيًّا قـرر رئيس النظام تصفيتي ولكـن مـدير الأمـن العام آنذاك علي نميري اعترض بأن الاغتيال السياسي إذا دخل السـاحة السـودانية سوف يصبح تقليدًا، ثم أسند النظام الأمر لأيد أجنبية ووصلنا الخبر كما وصـل لسلطات الأمن البريطانية فاتخذت إجراءً وقائيًّا، وأرسـلت ضـابطا ليقيم معي في منزلي للحراسة.

وكانت آخر تدابير النظام المايوي لابسة ثوبا قانونيا، ففي ١٩٨٣م أصدر نمـيري قوانين سبتمبر الجائرة، وأدخل قـانون أمـن الدولـة التعسـفي ضـمنها، وسـاوى بـين معارضة النظام، والبغي، والردة في الشريعة، ثم قرر نميري أن يكـون تعيين محـاكم العاصمة الجنائية مـن اختصاصـه الشـخصي ليعـين فيهـا الأشـخاص الـذين يضـمن طاعتهم.

بعد اتخاذ تلك الإجراءات قـرر نمـيري أن يـوقعني في الشرك، فأرسـل لي السـيد شريف التهامي في السجن برسالة أنه يريد مكتوبا يحوي رأيي في «قوانين الشريعـة»، ولكني استشففت المؤامرة، وقلـت لـه: إن رأيـي معـروف وقـد أُدليـت بـه في خطبـة شـهدها الملايـين، ولـو كـان يريـد مكاتبـة في الموضـوع فعليـه أن يرسـل هـذا الطلـب مكتوبًا لأرد عليه كتابة. ولما لم تنجح هـذه الخطـة قـرر النمـيري إطـلاق سراحـي أنـا وزملائي في ١٨ ديسـمبر ١٩٨٤م وكـان متوقعًـا أننـي بعـد إطـلاق سراحـي سـوف أقول ما يوقعني في طائلة قوانينـه فأقـدم للمحاكمـة باسـم البغـي أو الـردة. ولكننـي فطنـت إلى أن إطـلاق سراحـي لم يكـن إلا لأقـع في شرك، فتجنبـت الـتصريح بشيء واضح حول قوانين سبتمبر بعد الذي قلته في إدانتها؛ وسجنت بسببه، ونجوت من

الشرك.

ورأيت أن أنصح من بقي مسجونًا من الأخوة الجمهوريين الذين جمعتهم معنا أسوار كوبر لمعارضة قوانين سبتمبر، وكان قد دار بيننا وبينهم أثناء وجودنا بالسجن حوار هام. قلنا لهم أنتم أيدتم نميري تأييدًا مطلقًا في إهدار حقوق الآخرين الإنسانية فبطش بنا وبغيرنا بتأييد منكم فكيف تبررون هذا؟ وكيف تأمنون سفاحا أن ينقلب عليكم إذا اقتضت مصالحه السياسية، وقد فعل؟! ومع أننا نشجب الطائفية ألا توافقون أنها التزمت بالحريات العامة وحيدة الخدمة المدنية واستقلال القضاء بينما أهدرها نميري؟!

الشاهد أنني بعد خروجي من السجن طلبت زيارة السجن مبررًا؛ لذلك بجمع بعض أغراضي التي تركتها، والتقيت بالأستاذ محمود محمد طه وذكرت له ما أراه من شرك نصب للإيقاع بكل معارض ونصحته ألا يصدر عنه، أو عن جماعته في هذه الظروف أي تصرف يوقعه في الشرك، ولكنه رأى غير رأيي، خاصة وأن قراءتهم للأسباب الحقيقية لقوانين سبتمبر لم تكن متفقة مع قراءتنا، فقد كان الجمهوريون محتفين طوال العهد المايوي به وبرئيسه، ويعتبرون أنه كان الأداة الكفؤة للتخلص من الطائفية ثم بعد ذلك الشيوعيين، وكانوا يعتبرون ما وقع فيه من تحالف مع الإخوان أمر طارئ ويمكن استدراكه، وأن البلاء الحقيقي الذي أتى بالقوانين الخاطئة هو «الإخوان المسلمون».. بينما كنا نعتقد أن الإخوان لم تكن لهم يد فيما تم بل أبعدوا عن كل ترتيباته ولكنهم أيدوه كتحصيل حاصل خاصة وقد أعطاهم ذريعة جديدة للبقاء في نظام تنكر لكل المبادئ التي صالحوه على أساسها (الما عندها تيلة تسوي الحد حيلة!).. المهم لم يستمع الإخوة الجمهوريون لنصيحتنا، وكان ما كان.

هذه هي المؤامرات ضدي التي علمتها وهناك ما لم أعلم منها، وربما تكشف عنه

الأيام بعد معرفة كل خفايا النظام الذي عذب السودان ما بين ٦٩ و١٩٨٥م.

لعل السبب في هذا التركيز على قتلي هو أن النظم غير الشرعية التي تتسلط على حكم السودان تعتبرني رمز الرأي الآخر والشرعية الدستورية والاعتراض الشعبي، وتتصور أنها إذا قتلت هذا الرمز، فإن دعوتها لشرعية زائفة سوف تجد فرصة أكبر للقبول. إن موتي بأية وسيلة وارد، ولكن قبول الشرعية الزائفة في السودان غير وارد بل رفضها في ظروف السودان المعروفة، وفي المحيط الدولي الراهن حتمي.

❖ تمت المرحلة الأولى من المصالحة الوطنية في عام ١٩٧٧م، وأشرف عليها السيد فتح الرحمن البشير، وكنت قد وعدته أن ألتقي بجعفر نميري في أي مكان شاء إذا هو قبل شروط المصالحة. وجاءني الرد بالإيجاب، وأنه يدعوني لمقابلته في بور تسودان، وبينما نستعد للسفر جاءتني رسالة من أحد الناس -دون توقيع- من داخل السودان. فحواها: اتق مصير المماليك، واللبيب بالإشارة يفهم. الإشارة هنا للغداء الذي أعده محمد علي للمماليك في القلعة بالقاهرة ثم أحاط بهم هناك وقتلهم عن آخرهم) وكان زملائي منقسمين حول ذهابي للسودان لمقابلة نميري ولكن بعد وصول تلك الرسالة اتفقوا على رفض السفر وكنت قد أعطيت كلمة فما العمل؟ رأيت أنه لا سبيل لحسم الأمر عن طريق البحث العقلي فاستخرت الله.. جاءني في المنام أن رأيت نفسي منتعلاً حذاء أخضر ناعمًا وماهلاً. إن لي في الرؤى رموزًا فإن رأيت نفسي منتعلا حذاء مريحا فهو رمز أمان وخير، وإن رأيت منتعلاً حذاء ضيقا فهو رمز شر آت لذلك قررت أن السفر آمن وسافرت وكان بالفعل آمنا.

بهذه المناسبة إن لي رؤية في الأحلام صقلتها تجربتي، فالأحلام بعضها رغبات وبعضها مخاوف، وبعضها نذر وبشائر.. إن بعض الرؤى التي رأيتها صادقة وقد تحققت فعلا، ولذلك فإن الرؤى تلعب دوراً في حياتي الروحية.

❖ مثلما أن النظم الاستبدادية تفكر في قتلي، فإنها أيضا تفكر باستمرار في تلفيق التهم ضدي لإيجاد وسائل لمحاكمتي، وقد تعرضت لطائفة من هذه التلفيقات الرخيصة. أولها كانت المكيدة التالية: بعد وقوع انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩م وجدوا أن هناك بلاغًا بوجود مؤامرة عنصرية يقودها السيد فيليب عباس غبوش فرأت السلطات الجديدة أن تضيف اسمي للمؤامرة، واتهموني بأنني كنت على اتصال بالأمريكان وأننا خططنا لقتل السيد بابكر عوض الله، وقالوا: إنني حصلت على مسدس في شكل قلم لتنفيذ الاغتيال!! وبكل حماسة عقد فاروق حمد الله وزير الداخلية مؤتمرًا صحفيًا مذاعًا متلفزاً، وأعلن فيه تفاصيل المؤامرة وقدم معروضات تؤيد دوري في المؤامرة وحدد المواد لمحاكمتي، وأعلن الإدانة على الرأي العام السوداني ولكن الرأي العام السوداني استقبل إعلانهم بالسخرية والاستخفاف!! وبعد حين راجعوا أنفسهم وصرفوا النظر عن المحاكمة التمثيلية.

هذه طرفة من طرف ذلك العهد العجيب، ولكن بعد مرور سنوات أي: في عام ١٩٧٨م وبعد المصالحة كنت في لقاء مع نميري وأراد أن يحكي لي قصة تلك المؤامرة بصورة تثبت براءته وإدانة الآخرين قال لي: (المؤامرة عليك دبرها الروس ووزير الداخلية فاروق، وأنا لم أكن أعرف الطرف الأجنبي إلا بعد أن كشفت على المسدس، فوجدت فيه قطعة خشبية من خشب لا ينمو إلا في سيبيريا، من ذلك استنتجت أن العنصر الأجنبي هم الروس!!) لا يفوت على فطنة القارئ أن وزير الداخلية لا يمكن أن يمضي في هذا الشأن إذا لم يوافق عليه رئيسه، وأن مسألة خشب سيبيريا هذه أضحوكة. فقلت له: لماذا لا تعلن هذه الحقائق للرأي العام؟ قال: سأفعل ولكن تمر على الثورات ظروف كهذه هي بعض ثمن الثورة!

إن جعفر نميري عندما يتحدث بالسليقة يقول أشياء غريبة تتركك متسائلاً:

أحقا هو يصدق هذه السخافات؟ أم أنه يستخف بعقل المستمع ؟ ففي ذات يوم اعتدى جماعة أيلول الأسود على ضيوف في السفارة السعودية في الخرطوم ١/ ٣/ ٧٣م وهناك قتلوا دبلوماسيين أمريكيًّا وبلجيكيًّا ونتيجة لذلك الحادث أعلن نميري حملة ضد المقاومة الفلسطينية، وقال: سأجعل أيامهم كلها سوداء لا أيلول وحده هذا ما أعلنه وذات يوم قابلت نميري فقال لي: (لقد كنت جادا عندما قلت: إننا سنجعل كل أيامهم سوداء ففي بيروت حيث يعيش عدد كبير من الفلسطينيين البوابون كلهم سودانيون، وسوف نسلطهم عليهم وسوف يجعلون أيامهم سوداء)!. صدق أو لا تصدق!!.. هذا المستوى من الفهم هو الذي جعل المستشار الألماني السابق هلمت شمت(١) يقول لي: أنا لا أستبعد وجود حكام عسكريين في بلاد العالم الثالث فهذه بعض مظاهر التخلف الاجتماعي، ولكن الذي أدهشني هو كيف وصل شخص بمثل قدرات نميري العقلية ليصبح الشخص الأول في أي نظام؟!!.

❖ في فبراير ١٩٨٩م انسحبت حامية ليريا من موقعها، واستغلت ٦٣ شاحنة جديدة، ووضعت عليها العتاد العسكري واتجهت نحو جوبا. هذا الانسحاب لم يكن له ما يبرره من الناحية العسكرية، فالحامية تقع في مكان يسهل الدفاع عنه، وكان العتاد العسكري الموجود كافيا للدفاع. ولكن ظروفا أخرى أضعفت الروح القتالية، فكان الانسحاب، ودعيت للقيادة العامة وفي غرفة العمليات قدم لنا ضباط من العمليات والاستخبارات تنويرًا لتفسير ما حدث في ليريا، وكان التنوير ينصب على أن السبب الأساسي للانسحاب هو قلة العتاد العسكري، وأشاروا لأثر المناخ الإعلامي في الخرطوم على روح الجنود المعنوية، وطالبوا بضبط الخط

---

(١) هلمت شمت (ولد٢٣٢ ديسمبر ١٩١٨م) Helmut Schmidt سياسي ورجل دولة ألماني عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي، شغل عدة وزارات، وكان المستشار لألمانيا الغربية في الفترة ١٩٧٢-١٩٨٤.

الإعلامي ومزيد من العتاد العسكري.

بعد الاستماع للتنوير قمت، وخاطبت المجتمعين قائلاً: هنالك رأي آخر أحب أن تسمعوه، فإما أن تردوا عليه ردا مقنعا، أو أن تقبلوه. إن الانسحاب من ليريا لم يكن بسبب قلة العتاد بل إن العتاد الموجود لا يستخدم بالكفاءة المطلوبة، وعددت عددا من المواقف التي شهدت تقهقرًا مماثلاً أو تصرفًا انهزاميًّا رغم وجود عتاد كاف على الأقل يفوق ما عند العدو. ذكرت ما حدث للواء الردع، وللكتيبة ١١٨، ولمواقع أخرى، ثم قلت: إن ثمة ستة أسباب هي المسؤولة عن الأداء المتدني للقوات المسلحة هي:

- الاستخبارات مشغولة عن واجبها في معرفة أحوال، وتصرفات العدو بالأمن داخل القوات المسلحة وهي التي يجب أن تؤدي واجبها المطلوب قبل وقوع الحدث.

- التوجيه المعنوي لا يحدد قضية الحرب نفسها بالصورة المقنعة ويحشد لها التأييد.

- أسلوب القتال دفاعي مما يترك المبادرة للعدو في كل الأحوال.

- القيادة الميدانية ضعيفة، وكثير من القادة يرسلون عقابًا لهم لا؛ لأنهم الأنسب للمهام.

- الروح المعنوية متدنية جدًّا، ويصحبها شكوى عن مفاسد واشتغال بالتجارة والمنافع الشخصية.

- صحيح أن العتاد ليس موجودًا بالكميات المثالية، ولكن الموجود لا يستخدم بكفاءة .

بعد أن سمع الحاضرون هذه المآخذ وافقوا عليها، بل كان رئيس هيئة الأركان ونوابه حريصين على تأكيد توافر العتاد لدى الحامية، ثم قلت للحاضرين ما دامت

هذه المآخذ صحيحة: فإنني أرجو أن تجتمعوا في شكل قادة قيادات وتحددوا كيف يمكن علاجها فوافق المجتمعون على ذلك، ولكن عندما اجتمع القادة العسكريون وجه بعضهم الحديث بعيدا عن النقد الذاتي المطلوب، وفي اتجاه جعل الظروف السياسية كبش فداء.. هكذا حدث التحول المدهش من اجتماع مطالب أن يرد على مساءلات عسكرية اعترف القادة بها، إلى مساءلات سياسية لا يعرف كتابها أبعادها!. إن تجنب المساءلات العسكرية الحقيقية والتطلع لمساءلات سياسية فتح المجال للمغامرات العسكرية وبالفعل هذه الثغرة زائدا كيفية تنوير القيادات بالمذكرة التي كتبتها القوات المسلحة فتحت بابا دخل منه مدبرو انقلاب ٣٠ يونيو!!.

بعض المغرضين حاولوا أن يقولوا أنني اعطيت ضوءاً أخضر لانقلاب ٣٠ يونيو وأن تقارير وصلتني تجاهلتها لغيرتي من اتفاقية الميرغني / قرنق.

أولاً: يعلم جميع أعضاء حزبنا أنني كنت مؤيدا للاتفاقية ولكن طريقة إخراجها خلقت ردة فعل مضادة في أجهزتنا وكان واجبي أن أحتوي هذا وقد فعلت بعد حين. وكان السيد محمد عثمان الميرغني نفسه يعلم هذه التفاصيل. ويشهد على ذلك السيدان على حسن تاج الدين وأحمد سعد عمر.

ثانيًا: كنت أنا الخاسر الأول بحدوث الانقلاب، وكنت قد وفقت بين كافة التناقضات بموجب برنامج العقد الانتقالي الذي وقع عليه ٢٩ حزبا ونقابة وبموجب ذلك صارت الجمعية التأسيسية كلها مؤيدة لحكومتي ماعدا جماعة الجبهة الإسلامية القومية.

ثالثًا: لم يصلني أي تقرير من أية جهة باحتمال الانقلاب. ولكن مع ذلك اجتمعت بالقائد العام ورئيس هيئة الاركان وقلت لهما: إن مذكرة القوات المسلحة

وما صحبها من تنوير للقيادات فتحت الطريق لأية مغامرة عسكرية فماذا أعددتما لهذا الاحتمال؟ قالا لي: إذا تحركت نملة فنحن قادرون على ردعها. (الرجلان هما الفريقان فتحي أحمد على، ومهدي بابو نمر). وطلبت من وزير الداخلية تقريرا أمنيا حول المذكرة وتداعياتها واحتمالات الانقلاب، ولكن التقرير الذي وصلني، والذي وجد طريقه مؤخرًا لأجهزة الإعلام باعتباره دليلاً على تنبيهي بالانقلاب، كان على عكس ذلك يؤكد خلو الساحة من أي تدبير انقلابي. صحيح أن بعض المتنفذين في السلطة وصلتهم معلومات تشكك حول انقلاب يخطط له، وللأسف علمت من المرحوم صلاح عبد السلام[1] مؤخرًا جدًّا أنه استلم تلك المعلومات ووجهها للأجهزة المعنية في الجيش وفي وزارة الداخلية للتحقق منها، ولم يشأ أن يزعجني بها على حد تعبيره.

رابعًا: الانقلاب عندما وقع جعلني هدفه السياسي الأول حتى قبل استهدافه للديمقراطية ودبج ضدي ماشاء من الاتهامات وعاملني أسوأ معاملة وبدأ بي بيوت الأشباح.

خامسًا: استطاع النظام حتى الآن -بصورة أو أخرى- أن يطوع بدرجات متفاوتة كافة القوى السياسية إلا حزبنا!.

كل هذا يرد على هذه التهم الباطلة، ولكنه لا ينفي أن يكون التعامل غير السوي داخل القوات المسلحة مع المسئولية العسكرية، وإقحام المسألة السياسية فيها كان خطأ دفعت قيادة الجيش نفسها ثمنه، ودفع غيرها أثمان باهظة بل كل الشعب

---

(١) صلاح عبد السلام الخليفة (ت ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦م) ولد بمدني ودرس الثانوي بمدرسة حنتوب الثانوية، ثم التحق بالكلية الحربية (الدفعة ٢) وتخرج ضابطًا بالقوات المسلحة، بعد تقاعده التحق بالعمل السياسي داخل حزب الأمة واعتقل في السجون المايوية، والإنقاذية، تولى منصب وزير شئون الرئاسة في الديمقراطية الثالثة، دفن بقبة الإمام المهدي بأم درمان.

السوداني وبلادنا أجمع تعاني من المصيبة التي نفذت من تلك الثغرة.

❖ في عهد الديمقراطية كان الأخ أبو حريرة قد رفع قضية ضد جريدة «السياسة» وصاحبها خالد فرح، وعندما عقدت المحكمة للنظر في القضية كان انقلاب ٣٠ يونيو قد أسقط النظام الديمقراطي وأقام نظاما بديلا، وكان الأخ خالد فرح قد طلبني شاهد دفاع دون أن يخبرني وكنت في السجن، وكانت سلطات النظام الانقلابي الجديد تريد أن تتخذ من المحاكمة وسيلة لمراشقة رجال النظام الديمقراطي، فوافقوا على ذهابي للمحكمة للشهادة وأعد المسرح في محكمة الخرطوم بحري لمواجهة كلامية بيني وبين الأخ أبو حريرة.

❖ كنت قد هيأت نفسي للاعتذار عن الإدلاء بأية شهادة، ولكن قبل أن أقول شيئا قام الأخ محمد أبو حريرة وقال: لقد تغيرت الظروف التي قدمت فيها بلاغي، ولذا فأنا أسحب الدعوي من أساسها.. هكذا استغني عن الشهادة وفاتت الفرصة التي كان الانقلابيون يطمعون فيها.

❖ الشعب السوداني شعب متسامح، وأقرب إلى التعايش السلمي بين الملل والنحل المختلفة، لعل طريقة انتشار الإسلام سلميًّا في السودان ساهمت في خلق هذا المزاج، ولعل وجود حضارة عريقة في بلاد النوبة أورثتنا هذا المزاج، ولعل كثرة المجاملات الاجتماعية في الأفراح والمآتم من آثار هذا التسامح والتعايش، ثم صارت من وسائل الحفاظ عليهما.

لقد كان أصحاب الاتجاهات الفكرية ذات الفروع في السودان وفي غيره يلاحظون وبعضهم علق لي أنهم يلمسون ترخصا في آراء وتصرفات رصفائهم من السودانيين لا يرضونه.. هكذا كان يعلق إسلاميون، واشتراكيون، وقوميون، عرب على رصفائهم من السودانيين. وذات مرة في عام ١٩٥٩م كنت في رحلة بالقطار من

لندن إلى أكسفورد، وصادف أن ركب معي طالب إنجليزي هو سكرتير الحزب الشيوعي في جامعة أكسفورد، وفي الطريق تبادلنا أطراف الحديث فقال لي: أنا أعرف كثيرًا من الشيوعيين السودانيين ولكنني لا أعتقد أن السوداني يمكن أن يكون شيوعيا جيدًا؛ لأن السودانيين غير غاضبين بالدرجة الكافية. وفي سلوكهم مقدار من التبسط لا يتماشى مع الفكرة الثورية الجذرية التي يدعو لها حزبنا!!.

وبهذه المناسبة فقد كنت في رحلة لبيروت في عام ١٩٦٨م، وفي الطائرة كان معي عبد الرحمن الوسيلة - أحد الشيوعيين السودانيين البارزين - ونزلنا معا لمطار بيروت. وفي المطار قابلني عدد من الصحفيين وكان أحدهم من الشيوعيين اللبنانيين البارزين وسألني الصحفيون عن بعض أحوال السودان وأجبتهم، ولكن الصحفي الشيوعي أراد إحراجي فسألني سؤالاً هجوميًّا عن الرجعية السودانية وخدمتها للاستعمار..إلخ. فأدهشني أن أجد عبد الرحمن الوسيلة يتصدى له بهجوم مضاد ويؤاخذه على أسلوبه السمج الذي من شأنه أن يخرب علاقات القوى السياسية السودانية!!. وكان الصحفي اللبناني يعرف من هو الوسيلة، فألجمته الدهشة!.



كاركاتير عمرو فهمي من كتابه ضحكات غاضبة





الجزء الثالث

حلقات الخميس في الرياض



هذا الجزء من الكتاب هو تجميع لما أدليت به لأفراد أسرتي في أيام الخميس بالإقامة الجبرية في منزل د. الشيخ محجوب جعفر وزوجه عمتي إنعام عبد الرحمن المهدي بحي الرياض بالخرطوم، وقد استمر اعتقالي هناك في الفترة من ٨ يناير ١٩٩٠ وحتى ٣٠ أبريل ١٩٩١م. حيث كان يسمح لأسرتي بمرافقتي أحيانًا ويمنعون عنها أخرى، وكنا في فترات السماح بوجودهم نضع برنامجًا صارمًا لاستثمار الوقت بأفضل الوسائل الممكنة.

كان البرنامج يبدأ صباحًا مع صلاة الفجر نؤديها جماعة، مع الراتب وتلاوة حزب القرآن، ويتبادل في قراءة الراتب فجرًا وعصرًا أبنائي وبناتي كما نتناوب جميعنا في تلاوة حزب القرآن بحيث يشارك الجميع. وفي حوالي الساعة السادسة والنصف صباحا كنا نؤدي التمارين الرياضية في شكل جماعي أيضًا لمدة نصف ساعة.

ثم يكون وقت تناول الشاي الذي نجتمع عليه جميعا. وفيما عدا فترات تناول وجبات الطعام، والصلوات كان على كل فرد منا أن يشغل وقته بما يفيد، سواء بالاطلاع العام، أو المذاكرة للطلاب منهم.

أما بالنسبة لي فقد كنت أبرمج وقتي الخاص وأوزعه بين الاطلاع، والكتابة، والاستماع للإذاعات العالمية. في تلك الفترة كتبت كتابي «تحديات التسعينيات» الذي هُرّب من المعتقل سرًا وطبع بالقاهرة، إلحاقا بكتاب «الديمقراطية في السودان عائدة وراجحة» الذي فرغت منه قبلها وسرب سرا إبان فترة المعتقل بكوبر. ثم شرعت بعد ذلك في الاهتمام بالسيرة النبوية حيث اطلعت على عشرات الكتب المؤلفة حولها، ووضعت هيكلاً لإعادة كتابة السيرة النبوية انتصارًا للإسلام ولرسوله من الكثير مما خالط غالبية الكتابات الموجودة في السيرة.

هذا العمل المضني كان يتخلله وقت للراحة هو ظهيرة يوم الخميس، فقد

خصصناه للترويح عن أنفسنا على أن يحضّر كل منا ما يقدمه للآخرين في يوم الخميس، وكان دوري في أيام الخميس أن أقص بعض النوادر، والملح، والغرائب وأن أنشد بعض عيون الشعر العربي.

هذا الجزء هو تجميع لما قصصته على الأسرة في أيام الخميس المذكورة حسب تواريخها الواردة هنا:

الحلقة الأولى: الخميس ٤ أكتوبر ١٩٩٠م

أقص عليكم اليوم بعض طرائف القصص السودانية:

❖ كانت المنافسة بين السيدين (عبد الرحمن المهدي[1] وعلي الميرغني[2]) شديدة في الثلاثينات، والأربعينات، والخمسينات من هذا القرن، وكان الطرفان يتباريان في الترويج للنوادر، والنكت، والإشاعات التنافسية، وكان هناك من يستغل هذا التنافس لأغراضه ومصالحه، وكان هناك من حفظوا علاقتهم بالطرفين وربما استفادوا منها، إلى هؤلاء ترجع هذه النادرة.

***

(١) عبد الرحمن المهدي (١٨٨٥م- ٢٥ مارس ١٩٥٩م) سبق تعريفه في الجزء الثاني من الكتاب.

(٢) علي الميرغني- السيد (١٨٧٣-١٩٦٨م) زعيم ديني. سليل أسرة الميرغنية المعروفة، وزعيم طائفة الختمية. درس المرحلة الابتدائية بكسلا. ذهب إلى عمه السيد محمد سر الختم بمصر، وهناك انتسب للأزهر وعمل على معارضة المهدية، وعند الغزو الثنائي عاد للسودان. بعد الخلاف بين جماعة الأشقاء والسيد عبد الرحمن المهدي عام ١٩٤٤م صار هو الراعي لحزب الأشقاء ورفعا سويا الدعوة للاتحاد مع مصر حتى تم توحيد جميع الأحزاب الاتحادية بمصر عام ١٩٥٢م تحت لواء «الحزب الوطني الاتحادي» بقيادة السيد إسماعيل الأزهري، ثم حدث الاختلاف، وانقسم الحزب الاتحادي ووقف السيد علي مع حزب الشعب الديمقراطي. أنشأ جريدة «صوت السودان». توفي بالخرطوم بحري، ودفن بها.

ذهب جماعة للسيد على الميرغني يطلبون المساعدة في نكبة، واجهتهم فاستمع إليهم وعزاهم وقرأ لهم الفاتحة. ثم ذهبت الجماعة للسيد عبد الرحمن المهدي فعزاهم وتبرع لهم تبرعًا ماليًا سخيًّا وفي النهاية قال قائلهم مُلخصا التجربة: فاتحة «أبو علوة» تصرف عند «أبو عبدة»!.

❖ في الأربعينيات جاء نقيب الطرق الصوفية المصري للسودان لزيارة الطرق والاقتراح عليهم أن يكونوا تنظيمًا مماثلًا لما هو في مصر، ولعل الشريف يوسف[1] كان يعتقد أن هذا الموضوع غير مناسب ويتنافى مع العفوية المطلوبة في هذه المجالات الاختيارية، أو لعله لمس أن هذه الفكرة ربما فتحت مجال هيمنة جماعة الصوفية في مصر على الصوفية في السودان. مهما كان السبب الحقيقي فالشريف يوسف لم يستجب لنداء نقيب الطرق الصوفية المصري، وأراد أن يصرف نظره عن تكوين تنظيم للطرق الصوفية بالسودان، فقال للنقيب المصري الزائر: الطرق الصوفية بالسودان نشاط عفوي، ولا يمكن إخضاعه لأي نظام، أترى هذا الفانوس؟ - مشيرا لفانوس كان قريبًا منهما -إذا أنت سترته بقماش وألفت دعوات لراج بين الناس أن هذه هي الطريقة الفانوسية، ولوجدت أتباعا!!.

❖ اشتد التنافس بين الاستقلاليين والاتحاديين في انتخابات عام ١٩٥٨م، وتنافس السيدان عبد الرحمن علي طه[2] وحماد توفيق[1] على دائرة الحصاحيصا، وعند

---

(١) يوسف الهندي الشريف مؤسس الطريقة الهندية في السودان، وأحد القادة الروحيين الثلاثة الذين لمع نجمهم في سماء السودان في القرن العشرين.

(٢) عبد الرحمن علي طه (١٩٠١-الأحد ٢/ ١١/ ١٩٦٩م) ولد بعمارة الجعليين (سبعة كيلومترات جنوب الحصاحيصا)، والده العمدة علي كان يدير قرى الجعليين بشمال الجزيرة، أرسل لخلوة ود التويم ومنها انتقل إلى خلوة الشيخ طه البطحاني. دخل مدرسة المسلمية الأولية، ثم مدرسة رفاعة. ثم كلية غردون بالخرطوم، حيث درس الوسطى والثانوي بقسم المعلمين وتخرج منه عام ١٩٢٢م،=

فتح باب الطعون طعن بعض شيعة الأول في الثاني بأنه غير سوداني ووافد من مصر، بينما طعن بعض شيعة الثاني في الأول بأنه غير سوداني ووافد من الحبشة، وكانت حجة جماعة (حماد) مستمدة من شعر الأستاذ محمود الفكي الذي كانت بينه وبين الأستاذ عبد الحليم علي طه مراشقات بالشعر القومي (الشعبي) أشرنا لها في المقدمة، وكان البيت الذي استشهد به (حماد) هو قول (محمود) ينتقد عبد الرحمن علي طه عندما كان وزيرا للمعارف في عهد الجمعية التشريعية:

الحبشي القام يتفلهم

نفخ جضومه وتمتم

ما فيش أولاد يتعلم

وبعد تراشق أمام القضاء شطب القاضي الدعوتين وجرت الانتخابات بين المتنافسين.

❖ كان أحد العلماء من خريجي الأزهر جالسًا، فجلست إلى جانبه سيدة أُمية، وفي يدها خطاب من ابنها، وطلبت منه أن يقرأ لها الخطاب، فأطلع عليه ووجده بخط رديء لا يقرأ فقال لها: لم أستطع قراءته قالت له : كيف وأنت تلبس ما تلبس

=التحق بمصلحة المعارف معلمًا، وفي ١٩٣٧ التحق بمعهد بخت الرضا وارتبط منذ حينها بتدريب المعلمين والمناهج، وقدم خدمات جليلة للتعليم في السودان. أول وزير للمعارف سوداني (١٩٤٨-١٩٥٣م). من أبرز قادة حزب الأمة ومؤسسيه، صدر له كتاب «السودان للسودانيين» عام ١٩٥٥م. اعتزل العمل السياسي بعد قيام انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م، وتفرغ لتطوير مدينة أربجي وتوفي بها.

(١) حماد توفيق، من رواد مدرسة أبوروف الأدبية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، لاحقًا كون جماعة الاتحاديين داخل مؤتمر الخريجين التي شكلت إحدى روافد الحزب الوطني الاتحادي المكون في ١٩٥٢م.

من زي العلماء وعلى رأسك عمامتهم (الطربوش المغربي)؟ فنزع الطربوش وناوله لها قائلًا: هاك البسيه أنت واقرئي الخطاب!

❖ كانت الإدارة في السودان أيام الاستعمار تقوم على ثلاث حلقات أعلاها الإنجليز ثم المصريون ثم السودانيون، وكان الإنجليز يجتهدون في تشويه العلاقة بين مرؤوسيهم من المصريين والسودانيين. وذات يوم أهدى المفتش (إنجليزي) ساعة للناظر (شيخ عرب الشكرية) في حضرة المأمور (مصري)، وقام المصري بشرح كيفية عمل الساعة للناظر السوداني وكرر الدرس مرات ثم سأل شيخ العرب بعد حين: كم الساعة؟ فأجاب إجابة صحيحة، فقال له معلقا: ها أنت قد فهمت بسرعة، ولعل شيخ العرب استاء من موقفه فقال له: يا أخي أنتم علمتم القرد، أيغلبك تعليم أمثالي؟!.

❖ الدناقلة في كثير من بقاع السودان مشهورون بالدهاء، ويروي منافسوهم القبليون نوادر، وأمثالا في هذا الصدد. كذلك الدناقلة مشهورون بحب الملاح الأخضر (خضرة، ورق الخ)، وقد كان أحدهم يناول زوجه إناءً فيه خضرة وطفله الصغير المسمى محمد، وأثناء المناولة بدا أن الإناء والطفل سوف يسقطان، فقال لزوجه: أمسكي كتوش (إناء) الخضرة، وخلي محمد لربه!.

❖ الجعليون مشهورون بالحماسة، وقد روى الإمام عبد الرحمن أن ناظر الجعليين (إبراهيم حاج محمد) قال له عندما ذهبوا في وفد لبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى: تعرف يا فلان، شطارة أبوك دي كلها جابها من أمه[1] (وكانت جعلية)!، متحمسًا للجعليين ومنكرًا أن تكون هناك أية شطارة (شجاعة) في غيرهم! وعلى هذا النمط تروى نوادر كثيرة منها: أن أحد الجعليين كان يوم

(١) وهي السيدة زينب بنت نصر بن محمد بن نصر بن سراج بن شقلاوي.

مصلين، فمرت بهم إحدى النساء وصاحت معجبة: (أهلي الجعليين في الصلاة بينين)، فهز الإمام يده مبشرا!.

❖ بعد بروتوكول صدقي[1] بيفن[2] الاتفاقية التي بموجبها وافقت الحكومة المصرية على وضع للقوات البريطانية في قناة السويس، مقابل وضع لمصر في السودان) احتدم النزاع الاستقلالي الاتحادي في السودان واشتبك متظاهرون من الطرفين، فقال أحد الأنصار البدويين لجماعة من الاتحاديين كانت متظاهرة في مكان بالخرطوم: عيال فاجوغ، ها عيطوا قولوا سودانكو ليكو . أي: يا عيال فاروق[3] صيحوا قائلين السودان للسودانيين!.

❖ قال لي الشيخ الطيب السراج مستدلًا على ضياع المعرفة باللغة العربية: إنه

---

(١) إسماعيل صدقي باشا (١٨٧٥- ٩/ ٧/ ١٩٥٠م) سياسي مصري، ورجل دولة إبان حكم أسرة محمد علي لمصر. ولد بالإسكندرية، تقلد منصب رئاسة الوزراء لمرتين: ١٩٣٠- ١٩٣٣و ١٩٤٦م. توفي بباريس.

(٢) إيرنست بيفن (٩/ ٣/ ١٨٨١- ١٤ أبريل ١٩٥١م) سياسي ورجل دولة بريطاني، قيادي في حزب العمال. عمل في حكومة تشرشل الائتلافية إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠- ١٩٤٥م) كوزير للعمل، وفي ١٩٤٥ في وزارة أتلي كوزير للخارجية.

(٣) الملك فاروق الأول (١٩٢٠م - ١٩٦٥م) فاروق بن الملك أحمد فؤاد ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي. آخر من حكم مصر من أسرة محمد على، وآخر ملك. ولد بالقاهرة، أرسل للندن لاستكمال دراسته عام ١٩٣٥، وعندما توفي والده في أبريل ١٩٣٦، عاد وخلف أباه ملكًا على مصر، وعُين ابن عمه الأمير محمد علي وصيًا على العرش حتى بلغ فاروق سن الرشد في ٢٩ يوليو ١٩٣٨ . انغمس فاروق في حياة الترف واللهو، مستغلًا سلطته في زيادة ثروته. قامت جماعة الضباط الأحرار بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأجبرته على التوقيع على وثيقة التنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد يوم ٢٦ يوليو.١٩٥٢ . وطلب منه مغادرة البلاد، فغادر هو وأسرته قصر رأس التين بالإسكندرية إلى المنفى في أوروبا مساء يوم ٢٦ يوليو١٩٥٢ ، ثم أُلغيت الملكية وقامت الجمهورية في ١٨ يونيه ١٩٥٣ . كان السودانيون الاتحاديون ينادون به ملكًا على مصر والسودان.

قابل أحد الوجهاء ومعه ابنه فقدمه له فحياه قائلًا: كيف أنت يا بُـنيَّ؟ فبادره أبوه قائلا: لا يا شيخ الطيب، ده وليد ما بنية.. أي ليس بنتا!.

❖ الماحي ود حسب النبي من السودانيين الذين اشتهروا بالتطفل مثل أشعب في التراث العربي، وذات يوم طرق باب أحدهم، فقال: من الطارق؟ وبما أنه كان يعلم أن الرجل لن يفتح له إذا تعرف عليه فقد رد عليه قائلًا: أنا ود بنت النبي - موحيا بأنه من الأشراف من نسل فاطمة ففتح صاحب المنزل مسرعًا ، ولما فوجئ بالماحي واقفًا قال: ده أنت؟ الله لا يبارك فيك، أنت ود بنت النبي، فرد عليه الماحي: نعم أنا كما قلت لك، وهل تشك في نبوة آدم؟!.

وفيما يلي بعض النكات الإنسانية:

❖ السادي هو الذي يحب تعذيب الآخرين، والماشستي هو : الذي يحب عذاب نفسه، فالتقى ماشستى بسادي وقال له اضربني بربك!. فاستشف السادي حب الماشستي للتعذيب من لهجته، وتلذذ بتعذيبه قائلا: لا والله لن أفعل!.

❖ زار أحد الرؤساء الأفارقة إحدى المستشفيات في بلاده وكان من الذين يرددون ضرورة تشجيع المنتجات المحلية Local Products لدعم الصناعات الوطنية وزار مريضًا في إحدى الغرف وسمع أنه قد أجريت له عملية جراحية ببنج محلي أو موضعي: Local Anesthesia فقال فورًا: نعم ينبغي أن نشجع المنتجات المحلية!.

❖ ذهب خرتشوف[1] (الرئيس السوفيتي) يصطاد مع بعض زملائه، فصوب على بطة وأطلق عليها النار، فاستمرت في طيرانها، فقال أحد زملائه: لقد شهدت الآن أغرب مشهد، بطة تطير بعد أن ماتت (غير متصور أن يكون الزعيم السوفيتي

(١) نيكيتا خرتشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١م) سبق تعريفه في الجزء الأول.

قد أخطأ الهدف فالتفسير الباقي هو أن تكون البطة طائرة وهي ميتة!!.

❖ دخل طارق عزيز على صدام حسين رافعًا علامة النصر بإصبعيه فقال له صدام: انتصرنا؟ فقال له طارق عزيز: لا ... بل باقى أنا وأنت.

❖ الرئيس الأمريكي فورد كان مشهورًا بأنه لا يستطيع معالجة أمرين في الوقت نفسه حتى أنه مرة زلت قدماه في سلم الطائرة؛ لأنه كان يجب عليه نزول الطائرة وتحية المستقبلين في ذات الآن، وكان الناس في أمريكا يقولون تندرا من هذه الخاصية: إنه لا يستطيع أن يمشي ويمضغ لبانة في الوقت ذاته!.

❖ في حصة الرياضه : سأل المعلم تلميذًا: من هو أحسن لاعب كرة في العالم في نظرك ؟ فقال : بوش ، لأنه الوحيد الذي يلعب بالكرة الأرضية.

❖ الأوروبيون الآخرون يرمون الإنجليز بالبرود، ويحكون من النوادر ما يصور ذلك مثلا: كان أوروبيون فرنسيون، إيطاليون ألمان وإنجليز.. إلخ في مركب وقد غرقت، فنجوا وسبحوا إلى جزيرة قريبة، وهناك فتح الإيطاليون مطعمًا وفتح الفرنسيون ملهىً وكون الألمان طابورًا عسكريًا أما الإنجليز فقد بقوا يتبادلون النظرات، ولا يتحركون لعمل شئ؛ لأن أحد لم يعرفهم على بعضهم بعضا!!..

الحقيقة إن برود الإنجليز المشهور ليس صحيحًا، وإن صح فهو ظاهري.

❖ في السودان (بَسَطه) بمعني سره، وفي العراق معناها طرحه أرضًا وضربه، وقيل: إن أحد السودانيين ذهب للعراق، وفرح عندما سمع آمرًا يقول لآخر: خذه وابسطه فما أفاق من توقعاته السعيدة إلا بعد أن أكل علقة شديدة!.

❖ **الطبيب للمريض** : لا تخف ، فنجاح العملية مضمون ١٠٠ ٪ المريض : بس يا دكتور، كل الدكاترة قالو لي: إن العملية هذه بالذات نجاحها ١ ٪ الطبيب : مظبوط ، بس أنا عملتها لـ ٩٩ واحد قبلك ، وكلهم ماتوا!.

نكات من التراث الإسلامي العربي:

❖ تنافس امرؤ القيس[1] وعلقمة بن عبدة الفحل[2] في وصف فرس واحتكما لزوج امرئ القيس (أم جندب الطائية)، فقال إمرؤ القيس يصف الفرس وما فعله معه وسرعة جريه:

فللصوت ألهوب وللساق درة

وللسوط منه وقع أربد موجع

أي أنه بصوته، وسوطه وساقه دفع الفرس للجري السريع، قال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

أي: أنه يجري مسرعًا دون مجهود من الراكب وتزيد سرعته مع طول المسافة. فحكمت للنابغة، فغضب امرؤ القيس وطلقها.

❖ هنالك أشعار صورها مضحكة: هجا أحدهم بني تميم قائلًا:

ولو أن برغوثا على ظهر نملة تهدد أشياخ تميم لولّت

وهجا آخر بني تغلب قائلا:

والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

---

(١) امرؤ القَيس (نحو ١٣٠ق.هـ/ ٤٩٧م - ٨٠ ق . هـ/ ٥٤٥م) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارِث الكندي، من بني آكل المُرار يماني الأصل. يلقب بالملك الضليل، من أشهر شعراء العصر الجاهلي، وفارس من الشجعان، وصاحب المعلقة الشهيرة. ولِد في نَجْد وكان مَلِكًا على بني أسَد وغطفان. سار إلى القسطنطينية قاصِدًا القَيصَر يوستنيانس الأول، فأكرَم وفادَته وولّاه إمرة فلسطين. فَرَحَل يريدها، إلاّ أنه أُصيب في بعض الطريق بقُروح في جسمه، وتوفي على مقربة من أنقرة.

(٢) علقمة الفحل علقمة بن عَبَدة (بفتح العين، والباء) بن ناشرة بن قيس، من بني تميم. شاعر جاهليّ. كان معاصرًا لامرئ القيس، وبينهما مساجلات شعرية.

وقال آخر:

قـوم إذا اسـتنبح الأضـياف كلـبهمُ قـالوا لأمهـمُ بـولي عـلى النـار

فتمنـع البـول شـحا أن تجـود بـه ولا تجـود بـه إلا بمـقدار

وقال آخر:

يقتـرّ موسـى عـلى نفسـه ولـيس ببـاق ولا خالـد

ولـو اسـتطاع لتقتيـره تـنفس مـن منخـر واحـد

وقال آخر يصف رجلا أبخر: **والله لا أدري أفسى أم تنفسا؟**

❖ وذهبت امرأة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب تلتمس طلاق زوجها لبخره فقالت:

ومنهن من تسقي بعذب مبرد

نقاخ فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقي بأخضر آجن

أجاج فلولا خشية الله فرت

(أي: بعض النساء تسقي من فم ماؤه راكد كريه لولا الشرع لفرت)

❖ كان موقف بعض رجال الأزهر محل نقد لموالاتهم الإنجليز في مصر فقال الشاعر مندِّدًا بهم:

ألا ليت اللحى كانت حشيشا فتطعمها خيول المسلمين!.

الحلقة الثانية: الخميس ١١ أكتوبر ١٩٩٠م

نوادر وملح:

❖ قال أحدهم: لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم في نفسه من سوء فالله قد

أجاب دعوة شر خلقه إبليس، إذ ﴿قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قال إنكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[1]. وقد روي أن أحدهم اقترب من الكعبة وهو يدعو: اللهم اغفر لي، ولكن لا أظنك فاعلًا فقال آخر: لا تقطع الرجاء فالله غفور رحيم، فأصر على موقفه، فسأله ماذا فعلت؟ قال: زنيت، فقال له الله غفور رحيم. قال في يوم جمعة فواساه، قال بكلبة فواساه، قال كلبة ميتة فقال له: نعم قطعت نفسك من المغفرة!.

❖ قيل في بعض الروايات إن طول اللحية أمان من العقل، أي: من طالت لحيته قل عقله: ورويت نوادر كثيرة في هذا الشأن صاغها أحد الشعراء قائلًا:

إذا عظمت للفتى لحيته

فطالت وجاوزت سرته

فنقصان عقل الفتي عندنا

بمقدار ما طال من لحيته

ويروى أن أحدهم قرأ في أحد الكتب «طول اللحية أمان من العقل»، ورأى أن يختبر ذلك، فأطال لحيته حتى بلغت طولا بالغا، وبقي على ذلك فترة من الزمان، ولم يلحظ بتفكيره شيئا، فقرر التخلص من اللحية باعتبار أن الاختبار قد انتهى إلى نفي الجملة المقررة في الكتاب. فأتى بشعلة نار وحرق بها لحيته فاستشاطت، وكادت تقضي عليه حتى أنقذ منها. وبعد أن شفي من حروقه عاد للكتاب وكتب بقرب تلك الجملة: صحّ وجُرِّب!.

وبهذه المناسبة فإن ضابطًا في سلاح الطيران السوداني أرسل لحيته عندما أعلن جعفر نميري[2] تطبيق برنامج الافتراء على الشريعة لترويع أهل السودان في

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٤ و١٥

(٢) جعفر محمد نميري (ولد ١٩٣٠) سبقت ترجمته .

سبتمبر ٨٣ فاحتار قائده العسكري أمام هذا التصرف؛ لأن لوائح القوات المسلحة تعتبر اللحية تخليًّا عن الانضباط، وقبل أن يتصرف استفتي بعض العلماء وكانوا من المتشددين فرووا أحاديث تدل على أن حلق اللحية تشبه بالنساء وحرام في الشريعة الإسلامية فرفعت المشكلة لنميري ومعها الفتوى، فأغضبته لأنه حليق وأجرود، فرفض الفتوى وأمر الضابط بحلق لحيته أو ترك القوات المسلحة وقد كان.

❖ تنازع شخصان وذهبا إلى جحا – وكان قاضيًا – فقال المدعي : لقد كان هذا الرجل يحمل حملا ثقيلا ، فوقع على الأرض ، فطلب مني أن أعاونه ، فسألته عن الأجر الذي يدفعه لي بدل مساعدتي له ، فقال : لا شيء، فرضيت بها وحملت حمله . وهاأنذا أريد أن يدفع لي اللا شيء . فقال جحا : دعواك صحيحه يا بني ، اقترب مني وارفع هذا الكتاب . ولما رفعه قال له جحا : ماذا وجدت تحته ؟ قال : لا شيء . قال جحا : خذها وانصرف.

❖ اصطحب أحمقان وبينما هما يمشيان في الطريق يومًا قال أحدهما للآخر: تعال نتمنى . فقال الأول: أتمنى أن يكون لي قطيع من الغنم عدده ١٠٠٠ وقال الآخر أتمنى أن يكون لي قطيع من الذئاب عدده ١٠٠٠ ليأكل أغنامك ، فغضب الأول وشتمه ثم تضاربا، مر جحا وسألهما فحكيا له قصتهما، وكان جحا يحمل قدرين مملوءين بالعسل فأنزل القدرين وكبهما على الأرض وقال لهما أراق الله دمي مثل هذا العسل: إن لم تكونا أحمقين!.

❖ كثير من الشعراء يمدح أهل الجاه والسلطان وربما عدل قصيدة قالها في مدح أحدهم ليمدح بها آخر ومعلوم أن كثيرًا من هذه الأشعار خالية من الصدق والإخلاص هذا ما قاله أحدهم:

ألم تر أني أزور الوزير

فأمدحــه ثم أستغفرُ

فأثنى عليه ويثني علي

وكـل بصاحبه يسخرُ

وبعــض الشــعراء يبــالغ في مــدح الســلاطين، كالــذي كــان مــن منصــور النمري[1] للرشيد[2]:

إن المكارم والمعروف أودية

أحلّك الله منهـــا حيث تجتمع

إذا رفعت أمرا فالله رافعـــه

ومن وضعت من الأقوام متضع

من لم يكن بأمين الله معتصما

فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله

أو ضاق أمر ذكرناه فيتســع

(١) منصور بن الزبرقان بن سلمة النمري: (ت قبل ١٩٣هـ) من مشاهير شعراء العباسيين. أصله من رأس العين بالجزيرة، كان في شبابه تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته، أشهر قصائده العينية التي قالها في مدح الرشيد.

(٢) هارون الرشيد (١٤٩ هـ/ ٧٦٦م- ١٩٣هـ ٨٠٩م) هارون الرشيد بن محمدالمهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر. خامس خلفاء الدولة العباسية وأشهرهم. ولد بالري عندما كان والده أميرًا عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، بويع هارون بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ. وكان شجاعًا كثير الغزوات وعندما أعيت علته الأطباء عهد بالخلافة إلى أبنائه الأمين، ثم المأمون، ثم المؤتمن. توفي في سناباذ في بلاد فارس، وبها قبره

وقيل: إنه حين اجتمع الشعراء بباب المعتصم[1] بعث إليهم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النمري في الرشيد دخل!.

❖ ووصف أحدهم صاحب الحشيش، فأجاد في بيان الأحوال التي تطرأ على الحشاشين، فقال:

إن الحشيشة التي هام الخليع بها

وزاده حبهــا شجوا على شجنه

خضراء في كفه حمراء في عينه

صفراء في وجهه سوداء في بدنه

❖ والناس يروون عن المحششين نكاتا كثيرة يصفون جلساتهم، وحواراتهم بصور مضحكة، منها مثلًا:

○ محشش سأل واحد «كم الساعة» فقال له خمسة وخمسة، قال: ألا تعرف تقول عشرة؟.

○ واحد مسطول يطالع آخر فوق عينه خال. ويقول له: بالله عليك هذه عين ولا غين؟.

○ مسطول سودانى قاعد مع مسطول مصري قال له: «تعرف .. الدنيا دى كلها مآسى» المسطول المصري قال له: «ليه .. هو مقاسك أدّ إيه».؟

○ اثنين محششين مساجين خططوا لأن يقتلوا الحارس ويهربوا، وجدوا الحارس غير موجود رجعوا قالوا: خربت الخطة!.

(١) المعتصم (١٧٩هـ/ ٧٩٥م- ٢٢٧هـ/ ٨٤١م) الخليفة- محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور،المعتصم بالله، أبو إسحاق، من عظماء خلفاء بني العباس وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية. ومات بسمراء.

○ مسطول كان سائقًا وكاد أن يدهس السيارة التي أمامه، فنزل وقال له: «شنو.. ماشايفني؟» قال: والله شايفك.. بس ما أتذكر وين؟!.

❖ وقال أحدهم يصف الحبيب وصفًا طريفًا:

نح الكؤوس عن المحب فإن
في وجه الحبيب مدامة تكفيه
أفعالها في مقلتيه ولونها في
وجنتيه وطعمها في فيه

❖ ومن مبالغات بشار بن برد[1] في ذلك:

سلبت عظامي لحمها فتركتها
عواري في أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فجعلتها
أنابيب في أجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري
ضنى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها
ولكنها نفسي تذوب فتقطر

(١) بشار بن برد (٩٥هـ/ ٧١٤م- ١٦٨هـ/ ٧٨٤م) بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد، العقيلي بالولاء، أبو معاذ. أصله فارسي ولد في البصرة، وعاش في بغداد، من أشهر شعراء القرن الثاني للهجرة، ولد مكفوفًا، ولكنه كان يجيد التشبيه والتصوير والوصف. اتُهم بالزندقة، ومات ضربًا بالسياط ودفن في البصرة.

❖ إن أذى الخمر يعود لكونها تحدث آثارًا نفسية تخرج صاحبها من همومه وتوهمه بذهاب ما يعاني من شقاء وآلام، لذلك فإنه مستعد أن يقبل في سبيلها التضحية بالمال والاحترام والكرامة.. إلخ. وقد كنا نسمع في صغرنا أن رجلا يدمن الخمر ويشرب حتى يسكر، وكان ابنه يلح على هدايته دون جدوى، وذات يوم وجد شخصًا سكرانًا ملقي في الطريق وعليه روث بهائم وهو غارق في غيبوبته، فقال الولد لأبيه:انظر هذه الحالة المنكرة، وهي ما يحدث لأمثاله، فقال الوالد : هذه الحالة هي غاية المنى يا ولدي!!

وقال أحدهم:

ألا فاسقني حتى ترى السكر غالبي … فلا خير في شرب المدام بلا سكر

يقولون إن الخمر للعقل مذهب … ولولا ذهاب العقل تبت من الخمر

وكل هذه دلائل على حالة الإدمان، وهي حالة مرضية تصيب المداومة على الخمر. وقد قال فيلسوف الشعراء أبو العلاء مقولة حكيمة وصائبة في أمر الخمر:

أيأتي نبي يجعل الخمر حلًا … فتذهب شيئا من همومي وأحزاني؟

كلا وربي ما كنت يوما شاربًا … مقللة في العقل كفة ميزاني

❖ وقال أبو نواس[1] شعرا طريفًا في الغزل جمع بين أوصاف حسية ومعان سلوكية، قال:

لا تقولي لا فمكتوب على … وجهك المشرق نورًا نعم

بحروف خلقت من قدرة … ما جرى قط عليها قلم

(١) أبو نواس (١٢٩ هـ/ ٧٤٧م- ١٩٨هـ/ ٨١٤م) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح، الحكمي بالولاء. ولد بالأهواز بالعراق، ونشأ بالبصرة. من أعلام شعراء القرن الثاني الهجري، مدح الخلفاء والوزراء، وجالسهم، وله كثير من شعر المجون.

نونهـــا الحاجـــب والعـــين بهـــا　　طرفـــك الفتـــان والمـــيم فـــم

❖ قال المتنبي[1] يهجو الذهبي القاضي:

لمـا نسـبت فكنـت ابنـا بغـير أب　　ثـم اختـبرت فلـم ترجـع إلى أدب

سـميت بالـذهبي اليـوم تسـمية　　مشـتقة مـن ذهـاب العقـل لا الـذهب

وقال المتنبي يهجو قوما:

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم

إذا رأى غيـــر شئ ظنه رجلًا

وقال يهجو إسحاق بن كيغلغ[2]:

مـا زلـت أعرفـه قـردا بـلا ذنـب　　خلـوا مـن البـأس مملـوءا مـن النـزق

كَرِيشـةٍ فـي مَهَـبِّ الـرِيحِ سـاقِطَةٍ　　لا تَسـتقِرُّ عـلى حـالٍ مِـنَ القَلَـقِ

تستغــــرق الكـف فوديـه ومنكبـه　　فتكـتسي منـه ريـح الجـورب العـرق

فسائلـوا قاتليـه كيـف مـات لهـم　　موتـا مـن الضـرب أم موتـا مـن الفـرق

أي: أنـه قبـيح كـالقرد إذا صفــعته استغرقت الكـف خديـه ومنكبـه لقماءتـه!!

---

(١) أبو الطيب المتنبي (٣٠٣هـ/ ٩١٥م - ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) أحمد بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب. سيد شعراء القرن الرابع الهجري بلا منازع، ينتهي نسبه إلى كهلان من اليمن،. ولد بالكوفة في (كندة) وإليها نسبته. ونشأ بالشام، وكان أبوه سقاء بالكوفة، قيل: إنه لقب بالمتنبي لادعائه النبوة في بادية السّماوة - بين الكوفة والشام فتبعه كثيرون. وقبل أن يستفحل أمره، خرج إليه أمير حمص (لؤلؤ) فسجنه حتى تاب، وعرف بالطموح والجرأة والإقدام وتأثره بالفلسفة ظاهر في شعره.. مات مقتولًا بالنعمانية، في الجانب الغربي من سواد بغداد.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ، أديب وشاعر، كان أمير حمص عن الإخشيديين، وقد تلا في الإمارة لؤلؤ الذي أسر المتنبي، وقد استرحم المتنبي بن كيغلغ فاشترط عليه إعلان التوبة وأطلق سراحه بعد عامين قضاهما مسجونا.

فتكتسب منه ريحًا كريهًا ويسأل الذين قتلوه هل مات من الضرب أم الخوف؟!

❖ في مجلس سيف الدولة[1] أمير حلب ألقى المتنبي إحدى قصائده الخالدة واستغرق في الفخر، والاعتداد بنفسه حتى قال:

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم

وكان في المجلس أبو فراس الحمداني[2] وكان من أقارب سيف الدولة وكان لا يحب المتنبي فرماه بدواة مستنكرا اعتداده بنفسه فارتجل المتنبي مخاطبا سيف الدولة:

إن كان سركمُ ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكمُ ألمُ

وبعد إلقاء القصيدة قال أبو الفرج السامري،[3] مخاطبًا سيف الدولة: دعني أسعى في ذمه وسمع المتنبي ذلك فقال هاجيًا السامري:

أسامري ضحكة كل راء ... فطنت فكنت أغبى الأغبياء
صغرت عن المديح فقلت أهجي ... كأنك ما صغرت عن الهجاء

وما فكرت قبلك في محال ... ولا جربت سيفي في هباء

(١) سيف الدولة الحمداني (٣٠٣/ ٩١٥-٣٥٦هـ / ٩٦٧م)علي بن عبدالله بن حمدان التّغلبي الرّبعي، أبو الحسن. سيف الدولة، صاحب المتنبي وممدوحه. ولد في ميافارقين بديار بكر، ملك واسط، وما جاورها، وكذلك دمشق وحلب سنة ٣٣٣هـ. وهو أول من ملك حلب من بني حمدان، وحكم أكثر من عشرين سنة.

(٢) أبو فراس الحمداني (٩٣٢-٩٦٨): هو الحارث بن سعيد الحمداني. شاعر وفارس وأمير عربي. ولد في الموصل (العراق) ومات قرب حمص (سوريا). قتل أبوه ٩٣٥ فرباه ابن عمه وزوج أخته، سيف الدولة الحمداني، أمير حلب. ولاه سيف الدولة على حمص، ولما مات سيف الدولة وقعت الحرب بينه وبين ابنه أبي المعالي؛ فقتل قرب حمص.

(٣) من كبار كتاب سيف الدولة.

وقال المتنبي يهجو كافور الإخشيدي[1] مثيرا صورا حية:

وتعجبني رجلاك في النعل إنني

رأيتـــك ذا نعل إذا كنت حافيًّا

ومثلـــك يؤتى من بلاد بعيدة

ليضحك ربات الحجال البواكيا

وبالطبع فإن هجاء المتنبي لكافور لم يكن يخلو من عنصرية ذميمة حيث عيره بسواد لونه وبماضي الرق وكل ذلك غير مقبول، وقد لطخ سيرة كافور مع أن كثيرًا من المؤرخين رووا عنه خلاف ما قاله المتنبي حوله. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام: «كافور الإخشيدي الحبشي الأستاذ السلطان أبو المسك اشتراه الإخشيد من بعض رؤساء مصر كان أسود بصاصًا» وقال: إنه تقدم لدى الإخشيد لعقله ورأيه، ولم يقر المتنبي في هجائه. وقال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: كان كافور شجاعًا مقدامًا جوادًا يفضل على الفحول. وقال أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة: ما رأيت أكرم من كافور!.

وعلى العموم فقد وجدت في الدولة الأموية، والعباسية وما بعدهما حرب كلامية بين العرب والموالي، ومثلما وجد بين شعراء العرب من أساء للآخرين

(١) كافور الإخشيدي الأستاذ أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي (ت ٢٠ جمادي الأولى ٣٥٧هـ)، صاحب مصر والشام والثغور، اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيد ورباه وأعتقه ثم رقاه حتى جعله من كبار القواد. ولما مات الإخشيد في ٣٣٥هـ اضطربت الأحوال في مصر فاصطحب كافور ابني الإخشيد للخليفة المطيع لله ببغداد والتزم له بأمر مصر، وعاد بهما وقاتل «غلبون» الذي تولى الأمر في غيابهما، فولى أنوجور بن الإخشيد (بتدبير من كافور) حتى مات سنة ٣٤٩هـ، ثم ولي أخاه أبا الحسن بتدبيره أيضًا، إلى أن مات سنة ٣٥٥هـ فاستقل كافور بالأمر، وبعد موته ولي أحمد بن علي حفيد الأخشيد.

بأصولهم، فقد أساء بعض شعراء الموالي للعرب إساءات بالغة، وبلغ تيار (الشعوبية) مبلغًا كبيرًا لدى شعراء أمثال أبي نواس:

عاج الشقي على رسم يسائله

وعجت أسأل عن خمارة البلد

تبكي على طلل الماضين من أسد

لا در درك قل لي من بني أسد

ومن تميم ومن قيس ولفهما

ليس الأعاريب عند الله من أحد

فالعنصرية تخلق بالفعل ورد الفعل مخزونًا مرًا من الإساءات المتبادلة يجعل التعايش بين الإثنيات المختلفة أمرًا مستحيلًا.

❖ وقيل: إن بعض علية القوم في الشام تناولوا سيرة المتنبي بكل قبيح، وكان أبو العلاء المعري[1] في المجلس، وكان معجبًا بالمتنبي خائفًا من بطش الجالسين وسلطانهم فقال معلقا على أقاويلهم: إن ما قلتم في المتنبي صحيح لولا قصيدته التي مطلعها:

لك يا منازل في القلوب منازل

أقفرت أنت وهن منك أواهل

وكان المعري يقصد أحد أبيات تلك القصيدة تعليقًا على ما نالوا به من سمعة المتنبي، والبيت المقصود هو قوله:

(١) أبو العَلاء المعَرّي (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م- ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) سبقت ترجمته بالجزء الأول

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل.

الحلقة الثالثة: الخميس ١٨ أكتوبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم عبر أربعة أقسام:

القسم الأول: مسابقة:

جاء في مقال بجريدة الشرق الأوسط هذا الأسبوع أن الذين أيدوا موقف العراق من القادة العرب أربعة هم: القابض، والخائف، والدلدول، والذي ليس في العير، ولا في النفير فمن هم المقصودون بهذه الأوصاف؟.

لقد تبارى حينها الموجودون من أفراد أسرتي للوصول للإجابة، وكانت غالبًا صحيحة، فما قولك أنت؟.

القسم الثاني: نوادر وملح:

❖ التقي: نفر في أرض مسبعة (فيها سباع) وطلبوا من أحدهم -وقد كان فقيها- أن يحصنهم ب«يس» ففعل وأثناء التحصين سأل أحدهم: يس ده حيوان أسنانه بارزة وشعره كثير، وعيونه حمر؟ قالوا: لا بل هذه أوصاف الأسد، فالتفت الفقيه فرآه يقترب منهم، فصاح فيهم ده الأسد، يللا، يللا وهب جاريًا، فقال له القوم. وماذا عن يس؟ قال: يس دايرالها جكة!! وصار قوله مثلًا!.

❖ في مصر الناصرية مرت فترة كممت فيها الأفواه بصورة محكمة، وقيل: إن كلبًا مصريًا سمينًا عبر الحدود إلى ليبيا، وقابله كلب ليبي فسأله لماذا تترك النيل وتأتي للصحراء؟ فقال: أنا رايح أهوهو وأرجع!.

❖ كان جعفر نميري يقرأ نصوص الخطب التي تكتب له دون فهم لما يقرأ،

ولذلك كان يقرأ نصوصًا عجيبة، مثلًا: النص يقول: نشكر العامل على حسن سلوكه ولكنه قرأه : نشكر المزارع علِي حَسَن سلّوكة، وقرأ صحراء كلاهاري: صحراء كلّها ري!. وقرأ النص: نشجب سُلطة البِيض في جنوب أفريقيا، كالآتي: نشجب سلَطَة البَيْض في جنوب أفريقيا. وهكذا.

❖ كنت قد ألقيت محاضرة عن مطالب الأصل والعصر، وكنا في ليبيا وكان معنا الأخ عبد الله زكريا، وبينما نحن جلوس أشعل سيجارة ودخن، ثم أخرج علبة تمباك وتناول منها، فقلت له: ما هذا الإسراف في تعاطي المكيفات؟ فقال: إنه حسب ما قلت، مطالب الأصل (التمباك)، والعصر (الدخان)!!.

القسم الثالث : من نوادر الأدب

❖ كتب أحدهم على قبره: أنا ابن من كانت الريح طوع يديه، يحبسها إن شاء ويطلقها إن شاء. قال الراوي: فعظم في نفسي مصرعه، ثم التفت إلى قبر آخر بجانبه فقرأت ما كتب عليه وهو: لا يغترن أحد بقوله، فما كان أبوه إلا بعض الحدادين، يحبس الريح في كيره ويتصرف!.

❖ قال الخليفة المهدي[1] لأبي دلامة[2]، وكان عنده جماعة من بني هاشم: إن لم تهج أحدا ممن في مجلسي ، قطعت لسانك!! فأجال أبو دلامة نظره في الحضور وكان

(١) المهدي العباسي (١٢٧ هـ/ ٧٤٤م-١٦٩هـ/ ٧٨٥م) محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبدالله، المهدي بالله. من خلفاء الدولة العباسية. ولد في إيذج من بلاد فارس، وولي بعد وفاة أبيه (سنة ١٥٨هـ) وأقام في الخلافة عشر سنين وشهرًا. مات ودفن بالرصافة (مدينة سورية قديمة في بادية تدمر).

(٢) أبو دلامة (ت ١٦١هـ- ٧٧٨م) هو زند بن الجون شاعر عباسي مشهور، سمي بذلك لسواده، وكان أبوه زنجيًا، ، نشأ في الكوفة، لمع نجمه في عهد السفاح، وكان خلاعيًّا، كثير المجون، مثيرًا للضحك بالجواب المسكت.

كلما نظر إلى أحدهم هابه مما زاد في حيرته، فلم يجد بدا من أن يهجي نفسه بقوله:

ألا بلغ لديك أبا دلامـــة

فلست من الكرام ولا الكرامة

جمعت دمامة وجمعت بؤسًا

كذاك اللـــؤم تتبعه الدمامة

إذا لبس العمامــة قلت قردًا

وخنزيرا إذا نزع العمامـــة

فضحك الحاضرون وأجازوه .

❖ وقيل: إن الجاحظ كان دميمًا، فقال أحدهم يهجوه:

إذا مسخ الخنزير مسخا ثانيًّا

ما كان إلا دون قبح الجاحظ

ومع هذه الدمامة، فقد كان أديبًا مرموقًا وكاتبًا عظيمًا، وكان يرى نفسه جميلًا! وذات يوم أمسك بالمرآة، ونظر في وجهه فقال: الحمد لله الذي أحسن خلقي، وكان معه غلام رومي يخدمه، فطرق الباب، فذهب يفتح للطارق، فسأله الزائر: أين سيدك؟ قال: تركته داخل الدار يكذب على ربه!.

❖ كتب أحد الثقلاء الى ابن المقفع[1]، يستأذنه في الدخول عليه قائلا:

هل لذي حاجة إليك سبيل وقليل تعطينني لا كثير

(١) ابن المقفع (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م) هو فارس أبو عمرو (روزبة) عبدالله بن المقفع (داذَوية). فارسي من أعلام المؤلفين في القرن الثاني للهجرة .وُلد في البصرة، وبها نشأ نشأة عربية، وتأثر بثقافة أسرته الفارسية، وكان يتقن اللغتين، العربية والفارسية، له عدة مؤلفات أشهرها «كليلة ودمنة» الذي ترجمه عن الفارسية.

فوقع له ابن المقفع على رقعته قائلا :

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل   وقليل من الثقيل كثير!

❖ كان الشعراء يتبارون في مدح الحجاج بن يوسف الثقفي، وقال فيه الشاعر الفحل جرير ما قال، ورويت أبيات من شعره أذكرها منها:

دعا الحجاج مثل دعاء نوح   فأسمع ذا المعارج فاستجابا[(١)]

وقال آخر:

من سد مضطلع النفاق عليكم   أو من يصول كصولة الحجاج

وهنالك من هجا الحجاج بضد هذا المعنى، قال عمران بن حطان[(٢)] مخاطبا الحجاج:

أسد علي وفي الحروب نعامة

ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى

أم كان قلبك في جناحي طائر؟

مشيرا لقائدة الشبيبية (غزالة)[(٣)] وقد حاربوا خلفها جيوش بني أمية بقيادة

---

(١) جرير (٢٨هـ/ ٦٤٠م- ١١٠هـ/ ٧٢٨م) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي، من تميم. أبو حَزْرة. ولد بنجد. من شعراء العصر الأموي، مدح خلفاء بني أمية وتميز بالغزل والهجاء، وكانت له معركة هجائية شهيرة مع الفرزدق، وأخرى مع الأخطل التغلبي، وله ديوان مطبوع

(٢) عمران بن حطان (ت ٨٤هـ/ ٧٠٣م) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي. رأس القعدة الصفرية وخطيبهم وشاعرهم.

(٣) غزالة الحرورية (ت ٧٧/ ٦٩٦م) هي امرأة شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الحروري، من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية. وأشهر أخبارها فرار الحجاج منها في إحدى الوقائع أو تحصنه منها حين أرادت دخول الكوفة.

الحجاج. وكانت غزالة امرأة فارسة مشهود لها بالعلم والتقوى والإقدام حتى صارت شجاعتها مثلا.

❖ أما مدح الأمراء بما ليس فيهم فدليل على صحة التعبير المأثور «إن العبيد يصنعون الطغاة». وبهذه المناسبة، لقيت الأستاذ عبد الكريم ميرغني[1] ذات يوم أثناء الحكم العسكري الثاني (عهد نميري) وكان قد اشترك في حكومة نميري الأولى وزيرًا للتجارة ثم أقيل بعد الخلافات التي طرأت بين نميري والشيوعيين، فقال لي: نحن المدنيين المثقفين مسؤولون عن إيهام نميري ومن معه من الضباط بأنهم ملهمون وعظماء، فصدقوا ذلك فتحولوا لدكتاتوريين لا سيما نميري نفسه. عندما بدأنا معهم كانوا يحترموننا ويتطلعون إلينا لنرشدهم، ولكن كثيرًا منا كان يقول لهم: تأهيلنا هو تأهيل العلم والكلام، أما أنتم فتأهيلكم تأهيل الحسم والعمل، فأنتم صناع التاريخ، وما تفقدونه من معلومات تستطيعون الحصول عليه بقراءة كتب محدودة وعن طريق الاستشارات هكذا أوهمناهم فصدَّقوا نحن الذين صنعنا الطاغية، ونستحق أن نحاسب على ذلك عندما ينتهي هذا النظام علقونا من أطول عمود!.

❖ وهذا المعنى نفسه كرره السيد مرتضى أحمد إبراهيم في مذكراته بعنوان «الوزير المتمرد» حيث حكى عن تفاصيل ما كان يدور في أروقة الحكومة المايوية

(١) عبدالكريم ميرغني محمد : (١٩٢٥-١٩٩٥م) من مواليد أم درمان، خريج كلية غردون التذكارية. عمل فى سلك التعليم ثم التحق بوزارة الخارجية وابتعث لبريطانيا لدراسة الاقتصاد بجامعة برستول، بعد الاستقلال أصبح السكرتير الثانى للسفارة السودانية بالمملكة المتحدة وتنقل بعدها سفيرا للسودان فى عدة عواصم. وزير التجارة فى عهد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م- ووزير التخطيط في العهد المايوي. أقيل من منصبه بعد انقلاب هاشم العطا واعتقل بعدها، ثم اعتزل العمل السياسى وتفرغ لدراسة علم الأعشاب والتداوي به وتفسير القرآن الكريم والتصوف. توفى بمستشفى النيل الأزرق بأم درمان.

الأولى، وحمل «المثقفين السودانيين في تلك الحقبة المسئولية الكبرى في التطبيل للعسكر وإيهامهم بأنهم الآلهة والمنقذون حتى تجبروا وتكبروا وفسدوا» مع تركيزه على الدور الكبير الذي قام به بعضهم في ذلك (ص١٦١). والمذكرات مملوءة بالقصص والروايات التي تؤكد كيف كان هؤلاء الوزراء مجرد طبالين لنميري وسلطانه، خائفين مرتجفين منه، مثلًا روى حادثة إقرار الحكم الشعبي وتفاصيلها داخل مجلس الوزراء، وقد قدم مشروع الحكم بشكل متعجل وبدون تنوير كاف للوزراء، ولكن سئل الوزراء هل لديهم تعليق؟ ونترك الرواية لصاحبها: «وفجأة سأل النميري موجهًا حديثه إليّ: إيه يا مرتضى ما عندك تعليق؟ فابتسمت قائلًا: لا يا ريس معقول أنا أعلّق!، فسألني في استغراب : لماذا؟فرديت ساخرا: أنا خائف منك. قال في دهشة واستغراب «ما معقول! إنك خائف مني؟» قلت ساخرًا مرة أخرى «أنا لوحدي؟ كل الجماعة دول خايفين منك» فانفتحت أسارير وجهه فرحا كالطفل وانتفخ يتلفت يمنة ويسرة سائلا : صحيح الكلام ده؟ إنتو خايفين مني؟» وجاءه الرد من هنا وهناك «أيوة يا ريس خايفين» فانفجر نميري يقهقه ضاحكًا مسرورًا لما سمع، ودوت القاعة بالضاحكين وانتهى الاجتماع والكل مسرور وهكذا أصبح حال وزراء الشعب المسكين، وهكذا أقر نظام الحكم في الأقاليم!» [١].

وأنا رأيت بعيني وزيرًا يأخذ منديلًا من جيبه ويهوي لحذاء نميري ويمسح به بقعة علقت به!!

❖ أعجب الحجاج بما سمع من مدح جرير له، فقال لا أجد ما أكافؤه به إلا أن أزكيه للخليفة، فذهب فمدح عبد الملك بن مروان [٢]، فأنشد:

---

(١) مرتضى أحمد إبراهيم الوزير المتمرد ص ١٨٠.

(٢) عبدالملِك بن مروان (٢٦هـ/ ٦٤٦-٨٦هـ/ ٧٠٥م): عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية الأموي القرشي، أبو الوليد. الخليفة الأموي الخامس. من كبار خلفاء بني أمية ودهاتهم. =

أتصحو أم فؤادك غير صاح

عشية همّ صحبك بالرواح

قال عبد الملك وقد استنكر هذا النوع من الخطاب: بل فؤادك أنت يا ابن الفاعلة، فواصل جرير قصيدته حتى قال:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

فاستوى عبد الملك -وكان متكئًا- وقال: نعم من أراد أن يمدحنا فليمدح بمثل هذا أو ليصمت! وكافأه مكافأة كبيرة.

القسم الرابع: غرائب التوراة

الكتاب المقدس لدى المسيحيين (الإنجيل) يشتمل على جزئين :العهد القديم، أي التوراة وهي مشتركة بين المسيحين واليهود، والعهد الجديد الذي يختص بالمسيحيين وحدهم.

تعني كلمة «التوراة» بالعبرية: التعليم أو التوجيه (الترئية بالمعنى الحرفي) وخصوصًا فيما يتعلق بالتعليمات والتوجيهات القانونية، وترمز التوراة للأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس اليهودي.

هناك غرائب في التوراة والإنجيل المتداولة بين اليهود والمسيحيين اليوم، أذكر بعض غرائب التوراة اليوم وأترك غرائب الإنجيل للحلقة القادمة:

=ولد بالمدينة ، بويع بالخِلافة سنة (٦٥ هـ ٦٨٥م) في حياة أبيه. وبقِيَ خليفة على الشام ومصر سبع سنين، وعبدالله بن الزبير خليفة على باقي البلاد. ثم انتقلت الخلافة إليه بعد مقتل عبدالله بن الزبير سنة ٧٣ هـ- ٦٩٢ م. توفي بدمشق.

❖ **الاعتقاد السائد** هو أن التوراة كتاب الله الذي كتبه موسى نفسه واصطلح على تسميتها (أسفار موسى الخمسة) بيد أن التوراة مليئة بالشواهد أن كاتبها ليس موسى نفسه، مثلا نقول الآية :«وأما الرجل موسى فكان حليمًا جدًا» وأيضا الآية المتحدثة عن موت موسى «فمات هناك موسى عبد الله في أرض موآب حسب قول الله ودفنه في الجواء في أرض موآب» وفيها إشارات لملك بني إسرائيل الذي قام بعد أربعة قرون من زمن موسى!! وهكذا.

❖ **وفي التوراة تناقضات كثيرة في قصة الخلق وفي قصة نوح وغيرهما**، مثلا في قصة يوسف نجد يهوذا أحد الأسباط هو صاحب اقتراح بيع يوسف للاسماعيليين بعشرين مثقالا (تكوين ٣٧: ٢٦-٢٨) بينما في موضع آخر نجد رأوبين أخاهم يقترح إلقاءه في الجبّ (تكوين ٣٧: ٢١، ٢، ٢٤) ما يخلق تضاربًا في مصير يوسف هل بيع أم ألقي في الجب؟!

❖ ومن الأخطاء العلمية: زعم التوراة أن الأرض لها أعمدة، وأنها مسطحة، ولها زوايا، موافقة بذلك المستوى العلمي السائد حين كتابتها، فتقول وهي تتحدث عن الشمس التي تغرب على الأرض، ثم تذهب مسرعة إلى شرق الأرض لتشرق من جديد: «والشمس تشرق، والشمس تغرب، وتسرع إلى موضعها حيث تشرق» (الجامعة ١/ ٥)، فكاتب السفر لا يعرف شيئًا عن كروية الأرض ، ولا عن دورانها حول محورها ليحصل الشروق والغروب، إنه ليس الله العظيم العليم الذي ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[1] .

❖ وتقول التوراة واصفة الله: إنه «المزعزع الأرض من مقرها، فتتزلزل أعمدتها» (أيوب ٩/ ٦) فالأرض لها أعمدة، قد ثبتت الأرض فوقها ، وهذا الفهم

(١) سورة الزمر الآية (٥).

الخاطئ يؤكده كاتبو الأسفار؛ فيزعمون أن الله قال لأيوب: « أين كنت حين أسست الأرض؟ أخبر إن كان عندك فهم: من وضع قياسها. لأنك تعلم؟ أو من مدّ عليها مطمارًا؟ (في توراة الكاثوليك: مد عليها الخيط). على أي شيء قرّت قواعدها؟ أو من وضع حجر زاويتها؟» (أيوب ٣٨/ ٤-٦)، وفي سفر صموئيل: « لأن للرب أعمدة الأرض، وقد وضع عليها المسكونة» (صموئيل (١) ٢/ ٢)

❖ قصة الطوفان تقوم على تصور أن ما فوقنا سقف صلب يحجز ماء منذ بدء الخلق: «قال الإله: ليكن حاجزًا فكان وعند الطوفان فتح ذلك الحاجز فتدفق الماء»!.

❖ هنالك قصص بابلية عن طوفان، وحسب نصوص التوراة فإن الطوفان قد حدث في ٢١ قرنا قبل المسيح. ولكن في ذلك الزمان تسجل الآثار وجود حضارات زاهرة في العراق وفي مصر وهي حضارات استمرت بلغاتها وأديانها وآدابها فكيف التوفيق بين نص توراتي بوجود طوفان عام للعالم كله وبين وجود حضارات استمرت دون انقطاع؟!.

❖ النص القرآني يُفهم منه أن الطوفان أصاب قوم نوح أي أن الكارثة قومية وليست عامة. إن النص القرآني صريح في أن الله بعث المرسلين إلى قومهم وبعث محمدا ﷺ للناس كافة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [1].

❖ جاء في التوراة أن البشر كانوا يتحدثون لغة واحدة، فقرروا أن يبنوا مدينة بابل، وأن يبنوا فيها حصنًا عاليًا بحيث يبلغ السماء وقدر يهوا (الإله) أنهم إذا تركوا وشأنهم قادرون على تحقيق ذلك، لذلك بلبل ألسنتهم فجعلهم يتحدثون لغات شتى فتفرقوا وتوقف عملهم المذكور! صحيح أن اختلاف الألسن قد يكون مدعاة للتفرق ولكن القصة بهذه الصورة لا تسندها حقائق التاريخ ولا علم اللغات، فهي

(١) سورة الأنبياء الآية (١٥).

من نسج الخيال!!

مؤخرًا، ساد العالم الاعتقاد بأن اختلاف الثقافات واللغات يؤدي للتفرقة والنزاع إذا سعى البعض للهيمنة على الآخرين وفرض ثقافتهم ولسانهم عليهم، ولكنه يصير قوة داخل المجتمعات لو أحسن التعامل معها والاعتراف المتبادل فيما بينها. والقرآن تعامل مع اختلاف اللغات والإثنيات بشكل أقرب للأفكار الحديثة وباعتباره من سنن الكون وآياته، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم:٢٢]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات:١٣]، وفي الحالتين فليس من مقاصد الله في اختلاف الألسنة والألوان خلق بلبلة بين الناس.

❖ وقصة أخرى طريفة في التوراة وهي أن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام كبر سنه وضعف نظره فنادى ولده العاص وقال له: اذهب واتني بصيد واصنع لي طعامي المفضل ثم تعال لأباركك. فذهب العاص لشأنه وكانت أمه تسمع ما دار بينه وبين أبيه، وكانت تحب أخاه الأصغر يعقوب، فقالت ليعقوب: اذهب وهات حملين وسأصنع لأبيك طعامه المفضل ليظنك العاص فيباركك قال لها: أنا أملس وأخي مشعر فسيفرق بيننا باللمس قالت له لا تهم، وألبسته جلد الحملين في مكان الرقبة واليدين، وألبسته من أزياء العاص فذهب يعقوب بالطعام لوالده، وظنه العاص ولمسه فإذا هو مشعر فباركه ويعقوب هو إسرائيل الذي تنتسب إليه بنو إسرائيل!!

❖ ومعني إسرائيل نفسه غريب في فهمهم، فالتوراة تقص الآتي:

«لقي يعقوب يهوا «الإله» ليلًا وتصارعا، وتغلب يعقوب على يهوا وأمسكه مسكة شديدة بحيث لا يستطيع أن يفلت منه قال له يهوا: فكني، فالصبح قريب

ولعلها ضرورة أن يعود يهوا إلى مكانه قبل الصباح، قال له يعقوب: لن أفكك حتى تباركني قال له يهوا : ما اسمك؟ قال اسمي يعقوب قال له يهوا: لا بل أنت إسرائيل، ومعناه: الذي تفوق على الإله عندما صارعه ثم قال له لقد كنت قويا في صراعك معي وستكون قويًّا على البشر، وباركه!

❖ **وقصة أخرى:** كان أحد إخوة يوسف بن يعقوب يسمى جودا بن يعقوب، تزوج من كنعانية والدها اسمه شوا وولدت له الكنعانية : إير ثم أونان ثم صلاح. تزوج إير بنتًا اسمها تامار، وكان إذا ضاجعها عزل، فغضب منه يهوا لذلك قتله، ثم تزوجها أخوه الثاني أونان فكان أيضا يعزل فغضب عليه يهوا فقتله وكان صلاح صغير السن فأرسلت تامار إلى أهلها حتى يكبر فيتزوجها، ولكن بعد أن كبر لم يتزوجها! وذات يوم علمت تامار أن جودا ذاهب لبعض أغراضه فجلست في الطريق في هيئة عاهر فضاجعها ووعدها بأن يعطيها حملًا، وحتى تسليمها الحمل رهن عندها عصاه وخاتمه، وحملت تامار واقتيدت للعقاب فكشفت الحقيقة فاعترف لها بحقها (من عقائد بني إسرائيل أن الزوجة تصير ملكا للأسرة التي تزوجت فيها فإذا ترملت تزوجها الأخ التالي لزوجها المتوفى وهكذا وأن من حقها أن تلد منه فعندما تخلى صلاح عن واجبه كان لها حق البحث عن بديل وكان البديل والدهم وقد احتالت لنيل حقها كما ذكرت القصة) والعجيب أن التوراة مليئة بالقصص التي يذكر فيها الأنبياء بأقبح الأفعال، وهذه القصة خير دليل فجود هذا هو أحد الأسباط!.

❖ وعلى هذه القصة يمكن قياس العديد من القصص حول أنبياء وقادة بني إسرائيل كما تصورهم التوراة، فراحيل زوجة يعقوب غادرت بيت أبيها مع زوجها وسرقت الأصنام من أبيها عشقا في عبادتها (تكوين ٣١:١٩) وتزوج عمران من

عمته يوكابد (خروج ٦:٢٠) وأوعز الرب لموسى بسرقة ذهب النساء المصريات (خروج ٣: ٢١، ٢٢) كما أقر الرب قتل موسى وهارون لأنهما قاما بخيانته (التثنية ٣٨:٥٠) وتم اختيار شاول أول ملك لإسرائيل لطوله وجماله، كذلك اختير داؤد لأنه كان أشقر وحلو المنظر (صموئيل الأول ٩:٢، ١٠:٢٣، ١٦:١٢، ١٧:٤٢)، وقامت علاقة شاذة بين داؤد والصبي يوناثان بن شاول ، أيضا دواؤد بدأ حياته مطبلا للزار ومزمرا لإخراج العفاريت التي ركبت شاول، وسليمان قتل أخاه الأكبر صاحب الحق في العرش، وهكذا. إن بعض القصص في التوراة جنسية فاضحة بشكل لا يمكن روايته بدون جرح الذوق العام أو بدون إشاعة الفحش فما معنى الدعوة للانضباط الجنسي والفضيلة إذا كان الأنبياء أنفسهم يخوضون فيها كما تروي قصص التوراة؟ وهذا ما جعل المجامع الكنسية تستبعد كثيرا من تلك القصص، ربما مصداقًا لقول بولس رسول المسيحية العالمية يقول بولس : « كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر » (تيموثاوس (٢) ٣/ ١٦). وقد استشهد الداعية الإسلامي أحمد ديدات رحمه الله بهذه الحقيقة ليثبت أن الإنجيل المتداول اليوم ليس كلمة الله بل فيه تحريف كثير، وقارنه بلغة القرآن التي لا تتطرق للعلاقة بين الرجل والمرأة إلا بأسلوب رصين بعيد عن الفحش، بل لقد حذر القرآن من القذف واعتبر الحديث عن أعراض المؤمنين إشاعة للفاحشة بينهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(١)]، فكيف يكون الحال إذا كان المقذوفون هم الأنبياء؟!

الأساطير في التوراة

قصة جودا وتامار الواردة آنفًا تدل على شريعة غريبة على الأديان الإبراهيمية

(١) سورة النور الآية (١٩).

وعندنا في السودان موجودة بين القبائل النيلية وهي أن الزوجة تصير لإخوة المتوفي بعد وفاته. والتوراة مليئة بالقصص والشرائع التي أظهر الباحثون أنها مقتبسة من ديانات وضعية قديمة في ثقافات الشرق الأدنى . يقول الدكتور منقذ بن محمود السقار في كتابه (هل العهد القديم كلمة الله؟) أن فيها – أي التوراة- الكثير من ثقافات الأمم الوثنية المجاورة لبني إسرائيل، فالكثير من القصص التوراتية نحلها كُتاب العهد القديم من أساطير الأمم السابقة لبني إسرائيل، وظهر صداها واضحًا في أسفار العهد القديم. **ويورد كمثال على ذلك التالي:**

❖ ما ذكره سفر التكوين عن مضاجعة لوط (التكوين ١٩/ ٣٠ – ٣٧) والتي انتحلها العهد القديم وكتابه المجهولون من أسطورة مصرية تتحدث عن إلهة الموت (أفروديت) التي كانت تتمنى أن تنجب طفلًا من أخيها الأكبر أوزوريس، فأسكرته وضاجعته، فولدت منه الإله أنوبيس.

❖ وقصة سفر استير والذي يذكر قصتها وابن عمها مردخاي، حيث يذكر انتقامها من هامان وزير ملك الهند وفارس أحشويرس، فالقصة مشابهة لما جاء في التراث البابلي في ملحمة البابليين والعيلميين، ولكل بطل من أبطال القصة التوراتية مقابل في الأسطورة البابلية، فاستير اليهودية هي عشتر البابلية، وهامان هو إله العيلميين، ومردخاي هو مردوك البابلي. ومما يؤكد هذا الاقتباس أن التاريخ الفارسي لا يذكر شيئًا عن أبطال القصة التوراتية وخاصة استير والملكة فشني. وأما المزامير فتتشابه مع الأناشيد والتراتيل المصرية وغيرها، فالعالم أرمان في بحثه القيم (مصدر مصري لأمثال سليمان) والذي قدمه عام ١٩٢٤م تابعه فيه العالم برستيد، يريان بأن المزمور ١٠٤ منقول بشكل شبه حرفي من نشيد إخناتون الكبير، وخاصة الفقرات (٢٠- ٣٠). وهذا ما أكدته دائرة المعارف الكتابية في مادة (المزامير)حيث

تقول: «البحث الأركيولوجي في بابل وفي مصر قد كشف عن أناشيد متقدمة... كما أن الكشف عن آداب الكنعانيين في أوغاريت... قد أمدنا بقصائد هامة مشابهة للمزامير منذ عصر موسى».

❖ **كما يرى المحققون** أن المزمور التاسع والعشرين مقتبس عن قصيدة من أوغاريت « للبعل » مع استبدال اسم (البعل) باسم (يهوه).

❖ وأما المزمور ١٩ فمقدمته هي عينها الابتهالات التي كانت تقدم لإله الشمس. وأما سفر نشيد الإنشاد فيرى ول ديورانت أنه من وضع شعراء عبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي وصلت مع غزو الإسكندر، وقد يكون السفر مأخوذًا من آداب مصرية بدليل أن العاشقين كان يخاطب أحدهما الآخر : أخي، أختي، وهو أسلوب مصري قديم.

❖ ويؤكد العالمان (أرمان وبرستيد) أن سفر الأمثال منقول بشكل فاضح من كتاب (الحكم) لأمنحوبي المصري القديم، وكان قد قسم كتابه إلى ثلاثين فصلًا واشتهر باسم (ثلاثون فصلًا من الحكمة) ونقل كاتب السفر التوراتي هذه الحكم مع تغيير بسيط.

❖ ويذكر مصطفى محمود في كتابه «التوراة» بعضًا من صور التشابه، إذ يقول أمنحوبي: « الكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه أهلًا للعمل في رجال البلاط » ويقول سفر الأمثال ناقلًا عنه: « أرأيت رجلًا مجتهدًا في عمله إنه يقف أمام الملوك » (أمثال ٢٢/ ٢٩).

❖ وأيضًا يقول أمنحوبي: « لا تصاحب رجلًا حاد الطبع، ولا ترغب في محادثته »، وفي سفر الأمثال: «لا تستصحب غضوبًا، ومع رجل ساخط لا تجيء » (الأمثال ٢٢/ ٢٤).

❖ وأما سفر الجامعة فلا يمكن أن يصدر من نبي للروح التشاؤمية، والنظرة السوداوية التي تسيطر على كاتبه الذي اقتبس من الأساطير البابلية، ومنها أن الآلهة نصحت جلجامش بقولها: «أي جلجامش، املأ بطنك، وكن مرحًا بالليل والنهار، كن مبتهجًا، راضيًا، طهر ثيابك، واغسل رأسك بالماء، وألق بالك إلى الصغير الذي يمسك بيدك. واستمتع بالزوجة التي تضمها إلى صدرك».

❖ ويشبه هذا ما جاء في سفر الجامعة وفيه «اذهب. كُل خبزك بفرح، واشرب خمرك بقلب طيب؛ لأن الله منذ زمان قد رضي عن عملك، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء، ولا يعز رأسك الدهن، إلتذّ عيشًا مع المرأة التي أحببتها» (الجامعة ٩/ ٧).

❖ كما نقل كتاب التوراة قصة الطوفان من السومريين، وتعود مخطوطاتهم إلى ٣٠٠٠ ق.م، حيث يتشابه العمود الثالث والرابع من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش كما أوردهما فراس سواح في كتابه (كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش)، حيث جاء في الملحمة: «وما أن لاحت تباشير الصباح، حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء... اقتلع أريجال الدعائم، ثم أتى ننورتا وفتح السدود،... بلغت ثورة حدد تخوم السماء، أحالت كل نور إلى ظلمة، والأرض (الفسيحة) قد تحطمت (كما الجرة)، ثارت العاصفة يومًا (كاملًا)، تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال، أتت على الناس، (حصدتهم) كما الحرب، عمي الأخ عن أخيه، وبات أهل السماء لا يرون الأرض، حتى الآلهة ذعرت من هول الطوفان... ستة أيام وست ليال، الرياح تهب، والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض. ومع حلول اليوم السابع. العاصفة والطوفان، التي داهمت كجيش، خفت شدتها، هدأ البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان... واستقرت السفينة على جبل نصير... أتيت بحمامة وأطلقتها... طارت الحمامة بعيدًا ثم عادت إليَّ... أتيت بغراب وأطلقته... طار الغراب بعيدًا، فلما

رأى الماء قد انحسر، حام وحط وأكل. ولم يعد).

❖ وهذه المقتطفات من الملحمة تشبه كثيرًا ما جاء في قصة الطوفان في سفر التكوين، حيث جاء فيه: « وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه. وتعاظمت المياه كثيرًا جدًّا على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. وانسدّت ينابيع الغمر وطاقات السماء. فامتنع المطر من السماء. ورجعت المياه عن الأرض رجوعًا متواليًا. وبعد مائة وخمسين يومًا نقصت المياه. واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط. وأرسل الغراب. فخرج مترددًا حتى نشفت المياه عن الأرض... ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجه الأرض. فلم تجد الحمامة مقرًا لرجلها. فرجعت إليه إلى الفلك. لأن مياهًا كانت على وجه كل الأرض. فمد يده وأخذها، وأدخلها عنده إلى الفلك. فأتت إليه الحمامة عند المساء، وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلّت عن الأرض. فلبث أيضًا سبعة أيام أخر، وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضًا». (التكوين ٧/ ١٨- ٨/ ١٢).

❖ وقد قارب الحقيقة صبري جرجس حين وصف التوراة في كتابه «التراث اليهودي الصهيوني : «بأنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة، مجاف للعقل والمنطق، غاص بالمتناقضات، مشبع بالسخف».

❖ ويعترف بأثر هذه الأمم على التوراة المدخل الفرنسي للتوراة: «لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يرون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولاسيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر، والمنطقة الفينيقية الكنعانية».

❖ وتتشابه كثيرًا الشرائع التوراتية مع قوانين حمورابي، والذي سبق ظهور اليهود وكتبهم بعدة قرون، وصور التشابه كثيرة، حتى يخيل للناظر إلى كثرتها أن التوراة بشرائعها نسخة من قوانين حمورابي الوثني، ومن صور التشابه ما جاء في الأسفار بخصوص الثور النطاح: « إذا نطح ثور رجلًا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئًا. ولكن إذا نطح ثورًا ناطحًا من قبل وأشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلًا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه يقتل أيضًا...إن نطح الثور عبدًا أو أمة. يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة، والثور يرجم». (الخروج ٢١/ ٢٨- ٣٢).

❖ ويقابل ذلك ما جاء في قوانين حمورابي« مادة ٢٥٠ -٢٥٢ » وفيه: «إذا نطح ثور أثناء سيره في الشارع رجلًا فقتله، فلا وجه لتقديم مطالبات من أي نوع. أما إذا كان الثور ناطحًا من قبل، وتبينت لصاحبه هذه الحقيقة، ومع ذلك لم يكسر قرونه أو يربطه، فإذا نطح هذا الثور رجلًا حرًا فقتله، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلاثين شاقلًا من الفضة. أما إذا نطح عبدًا فيعطى سيده عشرين شاقلًا من الفضة». ومثله التشابه بين (الخروج ٢٢/ ٧) والمادة ١٢٤ من قوانين حمورابي. وكذا التشابه بين (الخروج ٢٢/ ١٠- ١٢) والمواد ٢٤٤- ٢٤٦- ٢٦٦ من قوانين حمورابي، وكذا (الخروج ٢١/ ١٨- ١٩) والذي يشبه المادة ٢٠٦ من شريعة حمورابي، في حين يتشابه (الخروج ٢١: ٢٢) مع مادة ٢٠٩ من شريعة حمورابي.

❖ وتعقب دائرة المعارف الكتابية: « وهكذا نجد العديد من المشابهات في المواضيع والأحكام، بين شريعة موسى وقوانين حمورابي... لا نستطيع الجزم بأن التوافقات التي عرضناها قد جاءت نتيجة مصادفة عشوائية...وعندما اتصل الإسرائيليون بالحضارة البابلية بعد دخولهم إلى أرض كنعان، كان من الطبيعي أن

يستخدموا ما أفرزته تلك الحضارة، مما وجدوه فيها نافعًا لهم».

الحلقة الرابعة : الخميس ٢٥ أكتوبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم حديثًا ذا ثلاثة أجزاء: الأول مسابقة، والثاني عن طرائف مسيحية، والثالث عن المرأة في نظر ظالميها في الدين والأدب.

الجزء الأول: مسابقة

عندما حضرت نزار بن معز الوفاة أوصى بنيه وقسم ماله بينهم (أبناؤه هم مضر وربيعة وأياد وأنمار) وقال لهم : «إذا اختلفتم فاحتكموا إلى الأفعى الجرهمي[1]» فاختلفوا فتوجهوا إليه وفي الطريق رأوا كلأ قد رعته إبل فقال مضر: البعير الذي رعى هذا الكلأ أعور، وقال ربيعة: هو أيضًا أزور (أعرج)، وقال أياد: هو أيضا أبتر (لا ذيل له) وقال إنمار : هو أيضًا شرود.

ولم يسيروا قليلاً حتى لقيهم رجل فسألهم عن بعير له مفقود، فسألوه: أهو أعور، وأزور وأبتر، وشرود؟ قال : نعم هذه هي صفات بعيري فدلوني عليه، قالوا لم نره! فاتهمهم ببعيره ولم يخلصهم منه إلا الأفعى الجرهمي!.

المسابقة: كيف عرف هؤلاء صفات البعير دون أن يروه؟

الجواب الصحيح : عندما سُئل الإخوان الأربعة قال مضر: إنه أعور لأنه يرعي جانبا ويدع جانبا، وقال ربيعة: عرفت أنه أزور؛ لأني رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره، وقال أياد: عرفت أنه أبتر؛ باجتماع بعره ولو كان ذيالاً لمصع به (حركه وضرب به) أما إنمار فقال: عرفت أنه شرود؛ لأنني رأيت أنه يرعى المكان الكثير النبت ثم يجوزه إلى مكان آخر

(١) الأفعى الجرهمي: حكيم من نجران في زمان الجاهلية ، كان يُرجع له للفصل في الأمور.

أرق منه نبتًا وأخبث فعرفت أنه شرود.

الجزء الثاني: طرائف من الإنجيل

لقد سقت في الخميس الماضي طرائف من التوراة، وهنا أقص طرائف من الإنجيل.

هنالك أربعة أناجيل اعتمدها المسيحيون صحيحة، وهي كلها مدونة بعد عشرات السنين من انتقال المسيح بيانها:

١- الإنجيل الأول هو الذي كتبه القديس مرقس[1] بعد حوالي ٧٠ سنة من انتقال المسيح، وصاغه من مذكرات نقلها إليه القديس بطرس.

٢- الإنجيل الثاني هو الذي كتبه القديس متى[2] بعد حوالي ٩٠ عاما من انتقال المسيح. كما أن إنجيل متى لم يكتبه متى الحواري بدلالة الآية التاسعة من الفصل التاسع

(١) القديس مرقس (مارمرقس الرسول- أول باباوات الإسكندرية) (ت ٢٣/ ٩/ ٧٥م) كان اسمه يوحنا. ولد في ترنا بوليس (من الخمس مدن الغربية بشمال أفريقيا) من أب إسرائيلي ذي جاه اسمه أرسطو بولس وأم أسمها مريم . تعلم الآداب اليونانية والعبرانية ولقب بمرقس بعد نزوح والديه إلى أورشليم حيث كان بطرس (وهو متزوج من قريبته) قد تتلمذ للسيد المسيح، كان مرقس يتردد علي بيته، ومنه درس التعاليم المسيحية. هو ابن أخت القديس برنابا. ويعتبر مرقس من السبعين رسولاً. في بيته كان الفصح. خرج مع بولس وبرنابا للتبشير ثم رجع، ثم بعد الاختلاف بين بولس وبرنابا خرج مع برنابا إلى قبرص، لاحقًا اعتمد بولس تعاليمه. جاء إلى مصر (الإسكندرية) سنة ٥٥م للتبشير فيها ورسم إنيانوس أسقفًا. سافر للتبشير، ولما عاد إلى الإسكندرية وجد المسيحيين قد ازدادوا وبنوا لهم كنيسة، ولكن عارضه أتباع الديانة المصرية القديمة وقُتل وهو يحتفل بعيد الفصح.

(٢) القديس متى الإنجيلي: أحد الاثنى عشر رسولاً (حواريًا) وكان اسمه لآوى. وقد بشّر في أرض فلسطين وفى صور وصيدا. ثم ذهب إلي الحبشة مبشرًا وإلى بلاد أخرى ثم عاد إلى أورشليم وقيل: إنه بدأ كتابة إنجيله إلا أنه لم يتمه، وقيل: إنه كمله أثناء كرازته في الهند وكان استشهاده رجمًا بالحجارة على يد فسطس الوالي ودفن جسده في قرطاجنة قيسارية بواسطة.

من إنجيل متى والتي تدل على أن أحدًا غير متى كتب هذا الإنجيل ، ومن أهم ما اكتشفوه عن هذا الإنجيل هو أن مؤلفه أيًا كان اقتبس ٥٠٪ من إنجيل مرقس.

٣- الثالث هو الذي كتبه القديس لوقا[١] في العقد الأخير من القرن الأول.

٤- الرابع هو الذي كتبه القديس يوحنا[٢] بعد ذلك. وقد اتفق أغلب علماء اليوم بأن كاتبه ليس بيوحنا الحواري وذلك؛ لأن يوحنا الحواري توفي في الستينات وأما هذا الإنجيل فقد كُتب في أواخر القرن الأول ، كما أن يوحنا الحواري كان صياد سمك غير متعلم فما كان لشخص مثله أن يقوم بتأليف سيرة تاريخية، ومن أهم الأسباب لرفض الاعتقاد من كون يوحنا قد كتبه هو نص الإنجيل نفسه فإنه يحمل كلمات فلسفية تدل على أن كاتبها درس في أحد المدارس الفلسفية الهلينية، كما أن هناك نصوصًا تتحدث عن يوحنا الحواري كشخص آخر بوصفه «الحواري الذي أحبه يسوع».

(١) القديس لوقا الإنجيلي القديس لوقا الإنجيلي الطبيب هو من السبعين رسول الذين ورد ذكرهم في الإصحاح العاشر من إنجيله وكان يصحب بطرس وبولس ويكتب أخبارهما . وبعد نياحة هذين الرسولين مكث هذا القديس يبشر في نواحي رومية فاتفق عابدوا الأوثان واليهود فيما بينهم وتوجهوا إلى نيرون الملك ووشوا له بأنه قد رد بسحره جماعة كثيرة الى تعليمه فأمر باحضاره. وقتله هو من تبعه.

(٢) القديس يوحنا الإنجيلي: (ت حوالي ٩٨م) ولد بمدينة على شاطئ بحيرة طبرية، يقال إنها بيت صيدا. وكان أبوه زبدى صيادًا وكانت أمه سالومه من النساء اللواتي تبعن المسيح وساعدنه باموالهن. وكان أخوه يعقوب صديقًا حميًا للمسيح، وقد عمل يوحنا وأخوه يعقوب مع ابيهما زبدى في صيد السمك. وكانا شريكي سمعان بطرس. وتتلمذ يوحنا ليوحنا المعمدان، ثم دعاه المسيح مع أخيه يعقوب على شاطئ بحيرة طبرية فتركا أباهما والسفينة والشباك وتبعاه. من الحواريين الاثنى عشر. هيأ العشاء الأخير مع بطرس. كان في أورشليم. وتركها إلى أفسس في تركيا سنة ٦٠ . ونفاه الإمبراطور الروماني دوميسيان إلى جزيرة بطمس ثم عاد إلى أفسس أيام الإمبراطور نرفا سنة ٩٦.

هنالك أناجيل أخرى غير الأربعة المحتواة في الكتاب المقدس مع أن كثيرا من المسيحيين لا يعلمون بها ومنها : إنجيل بطرس، وإنجيل الحق، وانجيل فيلبس وانجيل توما وانجيل يعقوب ورسالة الرسل، ورسالة برنابا ورؤيا الراعي ورؤيا بطرس ورؤيا بولس، ولكن المجاميع المسيحية الأولى انتخبت هذه الأناجيل الأربعة فقط من بينها لمطابقتها لعقيدتها التي ابتدعها بولس، وهنالك إنجيل برنابا هو واحد من تلك الأسفار التي لم تحظ باحترام الكنيسة لاحتوائه على الرواية الحقيقية لقصة السيد المسيح والبشارة بظهور النبي العربي، كما سنبين لاحقًا.

ومن غرائب ما ورد في الأناجيل الأربعة المعتمدة الآتي:

❖ الاعتقاد السائد لدى اليهود ولدى المسيحيين هو أن المسيح سيكون من نسل داؤد، وبما أن الاعتقاد السائد بين المسيحيين هو أن المسيح عيسى بن مريم لا أب له، فالتوقع أن يكون نسبه لداود عن طريق مريم، ولكن الغريب هو أن كلا من إنجيل متى ولوقا يرويان للسيد المسيح نسبا متصلاً لداود عن طريق يوسف النجار كأن يوسف النجار هو أبوه!! والرواية كالآتي: متى يروي ١٤ أبا من إبراهيم لداؤود، و١٤ أبًا من داود حتى النفي لبابل، و١٤ أبا من النفي لبابل حتى المسيح أي إن جملة الآباء من إبراهيم لعيسى يبلغ ٤٢ أبًا. أما لوقا فإنه يروي ١٩ أبًا من آدم لإبراهيم و٥٧ أبًا من إبراهيم لعيسى، وبما أن تاريخ إبراهيم هو ١٨٥٠ قبل المسيح فيمكن حساب تاريخ وجود آدم.

❖ الحقائق الواردة في الأناجيل تختلف كثيرًا، فمثلاً: متى ومرقس ولوقا لا يروون حادثة وداع أخير فيه أعطى المسيح وصية طويلة للحواريين، ولكن يوحنا يرويها ويروي فيها تعاليم أساسية.

❖ عقيدة أن كل إنسان يرث خطيئة آدم لا أساس لها في الأناجيل الأربعة،

وإنما هي من أفكار القديس بولس[1] يجعلها أساسًا لتفسير روحي لموت المسيح على الصليب باعتبار أن الموت على الصليب هو تكفير عن خطيئة البشر الموروثة من آدم (الخطيئة الأولى)، لقد قال القديس بولس بهذا الرأي مع أن توارث الخطيئة يتناقض مع مبدأ خُلقي ثابت في كل الأديان الإبراهيمية وهو: لا تزر وازرة وزر أخرى.

❖ بل إن فكرة المخلص هذه موجودة في الأديان الوثنية القديمة. مثلاً: إن أوزيريس في الديانة المصرية القديمة ماتت لتفدي بموتها البشر. ذكر السيد آرثر فندلاى[2] في كتابه «صخرة الحق» أن هناك ١٦ مخلصا قيل إنهم ماتوا من أجل تخليص العالم من خطاياه، منهم: أوزيريس في مصر (١٧٠٠ ق. م)، وبعل في بابل (١٢٠٠ق.م)، وكرشنا الهند (١٠٠٠ ق. م)، ومذرا الفرس (٤٠٠ ق. م)، وهلم جرا.. إذن فكرة القتيل المخلص التي ألحقها القديس بولس بالمسيحية مخالفة للتراث الديني الإبراهيمي، ومواكبة لتراث ديني آخر!!

❖ ويقول السيد آرثر: اكتشفت لوحة أثرية في بابل عام ١٢٠٠ ق. م يشبه فيها كثيرا مما في سيرة المسيح عليه السلام كما دونها إنجيل متى، وهذا يدل على اقتباس

---

(١) بولس: (القديس- الرسول) Paul (ت ٦٨م)، واسمه الأصلي شاول Saul. كان مناهضا للحواريين وأتباع المسيح في البداية –الذين كانوا يعتبرون أنفسهم جماعة إصلاحية داخل اليهودية ويسمون باليهود النصارى- في عام ٣٥م تحول شاول بعد تجربة روحية، قال: إنه تعرض لها وصار اسمه «بولس» وأنشأ المسيحية كدين منفصل عالمي مبشرًا به بين غير اليهود من الشعوب المتوسطية. بعد اجتياح الجيش الروماني للقدس عام ٧٠م تشتت أتباع المسيح «اليهود النصارى» وصارت حركة بولس هي المهيمنة. تعاليم بولس تشكل أغلب أسفار «العهد الجديد» في الإنجيل وهي أعماله وأعمال «الرسل» من بعده.

(٢) آرثر فندلاي Arthur Findlay (١٨٨٣- ١٩٦٤م) كاتب ومفكر بريطاني كتب في الاقتصاد، والفلسفة، والأديان، وعلم النفس، والتاريخ، والعلوم، والمسيحية، وقد أجرى في كتابه : THE ROCK OF TRUTH المقارنة بين المسيحية والعقائد البابلية.

التفاصيل القديمة، إذ يصعب مع تطابق التفاصيل كما سنرى أن يكون الأمر صدفة.

العقائد البابلية كما في اللوحة الأثرية	العقائد المسيحية كما في إنجيل متى
أُخذ بعل أسيرا.	أُخذ المسيح أسيرا.
حُوكم بعل في قاعة المحكمة .	حُوكم عيسى.
ضُرب بعل.	ضُرب عيسى.
أُخذ بعل إلى الجبل.	أخذ عيسى إلى الجمجمة.
أُطلق سراح مجرمين وأخذ معه بعضهم	أطلق سراح مجرم وأخذ معه مجرمين
بعد وفاة بعل تهدمت المدينة.	بعد موت عيسى تهدم الهيكل.
أُخذت ملابسه.	اقتسم الجنود ملابسه.
خرج من القبر.	ذهب إلى الجبل واختفى من الحياة.
ذهبت امرأة تبكي عند القبر.	ذهبت مريم المجدلية تبكي.
عاد إلى الحياة.	ارتفع حيًّا.

يقول السيد آرثر فندلاي: إن العقائد الآتية أصولها في الأديان القديمة غير الإبراهيمية، وهي:

- الولادة من عذراء –مثلاً– أوزيريس.
- الصليب شغل مكانة مرموقة في الديانة المصرية القديمة وديانات آشور وفارس والهند.
- التثليث عقيدة لا توجد في الأناجيل الأربعة المعروفة.

كذلك أورد الشيخ محمد أبو زهرة[1] في كتابه «مقارنات الأديان: الديانات

(١) محمد أبو زهرة (الشيخ): عمل أستاذًا بكلية أصول الدين بالأزهر وكلية حقوق القاهرة، وعمل وكيلًا لمعهد الدراسات الإسلامية وكان من مؤسسيه وعمل أستاذًا زائرًا بجامعات السودان وسوريا وليبيا والجزائر والعراق، واشترك في تأسيس وعضوية العديد من الجمعيات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي. من أشهر مؤلفاته (تاريخ التشريع الإسلامي).

القديمة» جداول مماثلة منقولة عن كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، لصاحبه محمد طاهر التنير[1] .. فقد عقد مقارنات بين معتقدات المسيحية في المسيح ابن الله [2] وأقوال الهنود في كرشنة[3] بن الله، كالتالي:

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
كرشنة: « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الأب والابن وروح القدس».	يسوع المسيح: « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني».
قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنة ابن الله، وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة.	دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها : سلام لك أيها المنعم عليها، الرب معك.
عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء.	لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في الشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.
لما ولد كرشنة سبحت الأرض	لما ولد يسوع المسيح رتلت الملائكة فرحا

(١)طبع في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٣، وطبع في مصر سنة ١٩١١ م.

(٢)رجوعًا لأناجيل لوقا، ومتى، ويوحنا.

(٣)رجوعا لكتب مختلفة: تاريخ الهند- فشنوبورانا- دوان- الديانات الشرقية- التنقيبات الآسيوية- ترقي التصورات الدينية- ودين الهنود (لمورس وليمس).

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحًا وطربًا، ورتل السحاب بأنغام مطربة	وسرورًا وظهر من السحاب أنغام مطربة.
كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر.	كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه « ملك اليهود» ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار.
لما ولد كرشنة أضيء الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة نور ومجد.	لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار.
ومن بعد ما وضعته صارت تبكي وتندب عاقبة رسالته فكلمها وعزاها.	وقال يسوع المسيح لآمه وهو طفل:يامريم أنا يسوع بن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي إليك وقد أتيت لأخلص العالم.
وعرفت البقرة أن كرشنة إله وسجدت له.	وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له.
وآمن الناس بكرشنة واعترفوا	وآمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته وأعطوه

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب.	هدايا من طيب ومر.
وسمع نبي الهنود «نارد» بمولد الطفل الإلهي كرشنة فذهب وزاره في « توكول» وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد.	ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك أن المجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟
لما ولد كرشنة كان « ناندا» خطيب أمه ديفاكي غائبًا عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ماعليه من الخراج للملك.	ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبًا عن البيت وأتى كي يدفع ماعليه من الخراج للملك.
ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية.	ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية.
وسمع ناندا خطيب أمه ديفاكي والدة كرشنة نداء من السماء يقول له: قم وخذ الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول وأقطع نهر جمنة لأن الملك طالب إهلاكه.	وأنذر النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر؛ لأن الملك طالب إهلاكه.

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الإلهي وطلب قتل الولد، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنة.	وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهي وطلب قتله وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح.
واسم المدينة التي ولد فيها كرشنة «مطرا» وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود والعابدين للأوثان والقائلين عن كرشنة أنه ابن الله وأنه الله إلى يومنا هذا.	واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية المطرية، ويقال: إنه عمل فيها آيات وقوات عديدة.
كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة في الناسوت بزمن قليل وقد سعى فانسا ملك البلاد في إهلاك القديس راما وإهلاك كرشنة أيضًا.	وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس في إهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشرًا بولادة يسوع المسيح.
وربى كرشنة بين الرعاة ولما جييء به إلى مطرا كان في احتياج عظيم إلى التعليم فأتى له بمعلم خبير	وأرسل يسوع المسيح إلى المعلم زاخوس كي يعلمه فكتب له حرف ألف، وباء وقال ليسوع قل: ألف ؟ فقال الرب يسوع

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
وفي وقت قليل فاق على أستاذه في العلوم وأعياه في المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة.	أخبرني أولاً عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول حرف الباء فتهدد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتي لها نقط وحركات والتي ليس لها نقط ولماذا وضعت في هذا الترتيب أي بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبر عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب.
وفي أحد الأيام كان كرشنة سائرًا مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة إلى المكان الذي عينه لها هذا الملك.	وفي شهر آذار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم وإذا مر بهم أحد كانوا يأخذوه غصبا ويأمرونه بالسجود للملك.
وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إليهم بعين الوهيته فقاموا سريعا من الموت وعادوا أحياء.	وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون في غار فخلق كرشنة أصحابًا وعجولاً مثلهم في الشكل والهيئة.	وأخفى الأولاد الذين كانوا يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن فبدلوا إلى هيئة جداء فناداهم يسوع تعالوا إلى هنا يأيها الأولاد لنلعب فأعيدت تلك الجداء هيئتم الأولى صبيانًا.
وأول الآيات والعجائب التي عملها كرشنة شفاء الأبرص.	وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.
وأتى كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة مخصوصة وسكبت الباقي على رأسه.	وفيما كان يسوع في بيت عتيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ.
كرشنة صُلِب ومات على الصليب.	يسوع صُلِب ومات على الصليب.
لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت	لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفُتحت القبور وقام

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
السماء نارًا ورمادًا وتأججت أشعة نـار حامية وصـار الشـياطين يفسدون في الأرض وشاهد الناس ألوفًا من الأرواح في جو السماء يتراوحون صباحا ومساء وكان ظهورها في كل مكان.	كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم.
وثُقب جنب كرشنة بحربة.	وثُقب جنب يسوع بحربة.
وقال كرشنة للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة.	وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صُلبا معه الحق أقول لك إن اليوم تكون معي في الفردوس.
ومات كرشنة، ثم قام من بين الأموات.	ومات يسوع، ثم قام من بين الأموات.
ونزل كرشنة إلى الجحيم. وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدًا.	ونزل يسوع إلى الجحيم. وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدًا.
ولسوف يأتي كرشنة في اليوم	ولسوف يأتي يسوع في اليوم الأخير كفارس

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.	مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.
وهو – أي كرشنة- يدين الأموات في اليوم الأخير.	ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير.
ويقولون عن كرشنة: الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي.	ويقولون عن يسوع المسيح: إنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي.
كرشنة الالف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شي.	يسوع الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء.
لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كأحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى وإعادة المخلوع	لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات، كإحياء الميت وشفا الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض، ونصرة الضعيف على القوى

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
كما كان أولاً. ونصرة الضعيف على القوي، والمظلوم على ظالمه وكانوا إذ ذاك يعبدونه. ويزدحمون عليه ويعدونه إلهًا.	والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدوه إلهًا.
كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ.	كان يسوع يحب تليمذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ.
وفي حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع في الآلهة فأحنى أرجونا رأسه تذللاً ومهابة وتكتف تواضعًا وقال باحترام: الآن رأيت ثانية حقيقتك كما أنت وإني أرجو رحمتك يا رب الأرباب فعد وأظهر في ناسوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت.	وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل: هذا هو ابن الحبيب الذي سررت له أسمعوا ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدًا.
وكان كرشنة خير الناس خُلقًا وخُلقا وعلمًا وبإخلاص ونصح هو الطاهر العفيف مثال الإنسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل	كان يسوع خير الناس خُلقًا وعلمًا وبإخلاص وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت.	القادر ظهر لنا بالناسوت.
كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية.	يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من أسرار العظمة الإلهية
كرشنة الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود القائلين بألوهيته.	يسوع الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى.
وأمر كرشنة كل من يطلب الإيمان بالإخلاص أن يترك أملاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم ويذهب إلى مكان خال من الناس ويجعل تصوره في الله فقط.	وأمر يسوع كل من يطلب الإيمان بالإخلاص أن يفعل كما يأتي وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.
وقال كرشنة لتلميذه الحبيب أرجونا : إن مهما عملت أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قربت من قربان مهما فعلت من الأفعال	فإذا كنتم تأكلون وتشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شيء لمجد الله.

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
المقدسة فليكن جميعه بإخلاص لي أنا الحكيم والعليم ليس لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ. قال كرشنة: أنا علة وجود الكائنات في كانت وفي تحل وعلي جميع ما في الكون يتكل وفي يتعلق كاللؤلؤ المنظوم في خيط.	
وقال كرشنة: أنا النور الكائن في الشمس والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس في ظلمة.	من يسوع وفي يسوع وليسوع كل شيء « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان».
قال كرشنة: أنا الحافظ للعالم وربه ملجأه وطريقه.	ثم كلمهم يسوع قائلا : أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة.
قال كرشنة: «أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدي وخالق كل شيء وأنا فناؤه ومهلكه».	قال يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي الآب إلا بي.
وقال كرشنة لتلميذه الحبيب:	وقال يسوع أنا هو الأول والآخر ولي

أقوال الهنود في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
لاتحزن يا أرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها، فقط ثق بي وتتوكل علي وأعبدني وأسجد لي ولا تتصور أحدًا سواي لأنك	مفاتيح الهاوية والموت.
هكذا تأتي المسكن العظيم الذي لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما مني.	وقال يسوع للمفلوج: ثق يا بني مغفورة لك خطاياك يا بني أعطيني قلبك والمدينة لا تحتاج إلى شمس ولا إلى قمر ليضيئا فيها الحروف سراجها.

كذلك أورد أبو زهرة مقارنة مماثلة بين العقائد المسيحية والبوذية كالتالي:

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
كان تجسيد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.	كان تجسيد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء.
لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا؛ صار رحمها كالبللور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة.	لما نزع يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء؛ صار رحمها كالبللور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة.
وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه « نجم بوذا».	وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق وقال دوان: من الواجبات أن يدعى «نجم المسيح».
ولما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد	لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمدًا للواحد

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
للمولود المبارك قائلين :ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة ويهب بصرًا للعمي.	المبارك قائلين: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة.
وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إلها.	وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة.
وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة.	وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر.
لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا: إنه أعظم الناس جميعًا.	لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم: « أنا ابن الله».
كان بوذا ولدا مخيفا وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقى حيًّا.	وكان يسوع ولدًا مخيفًا سعى الملك هيرودس وراء قتله كيلا ينزع الملك من يده.
لما أرسل بوذا إلى المدرسة أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس من قبل وفاق الجميع في الكتابة والرياضيات	لما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف: «لقد أتيتني بولد لأعلمه مع أنه أعلم

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
والعلوم العقلية والهندسية والتنجيم والكهانة والعرافة.	من كل معلم».
ما صار عمر بوذا اثنتي عشرة سنة دخل الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه.	لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤوا به إلى أورشليم وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع.
ودخل بوذا مرة أحد الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجودًا له.	وكان يسوع مارًّا قرب حاملي الأعلام فأحنت الأعلام رؤوسها سجودًا له
ويصلون نسبة كوتاما بوذا من أبيه «صدودانا» في أناس كلهم من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا وهو زعمهم أول ملك صار في الدنيا. والحوادث والأنساب المذكورة في كتاب «بيوراز» البرهمي وتجد في أنسابه غير أنه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك؛ هو أن مؤرخي البوذية اخترعوا فيها أسماء تمكنهم من إعلاء نسب حكيمهم فوق اعتبارهم	ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم أبي البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالته مذكورة في التوراة كتاب اليهود. لما شرع يسوع في التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه.

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
إياه إلها.	
لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه «مارا » أي الشيطان، كي يجربه. وقال مارا « الشيطان» لبوذا : لا تصرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا.	وقال : «أي إبليس» له : «أي يسوع» أعطيك هذه «أي: الدنيا» جميعها إن خررت وسجدت لي. فأجابه المسيح وقال: اذهب يا شيطان.
فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له اذهب عني!	ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه.
ولما ترك مارا «أي الشيطان» تجربة بوذا أمطرت السماء زهرًا وطيبًا وملأ الهواء طيب عرفه. وصام بوذا وقتًا طويلاً.	وصام يسوع وقتًا طويلاً.
وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرًا وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسيد كوتاما لما حل على العذراء مايا.	ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسيده عند ما حل بالعذراء مريم فهو الأب والابن وروح القدس.

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
ولما كان بوذا على الأرض في أواخر أيامه بدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل «بندافا» أي الأصفر المبيض في « سيلان» ونزل عليه بغتة نور وأحاط برأسه على شكل إكليل ويقولون إن جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضئ كالشمس أو القمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التحول في هيئته قالوا: ما هذا بشر! إن هو إلا إله عظيم.	لما كان يسوع على الأرض بدلت هيئته، وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور.
وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه وحاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره.	وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره.
وفي صلاتهم لبوذا يتأمل المؤمنون دخول الفردوس.	وفي صلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس.
لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان	ولما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
وفُتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية «أي بقوة إلهية».	وفتح القبر بقوة إلهية.
وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.	وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما أكمل عمله في الأرض.
ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.	ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.
وسيدين بوذا الأموات.	وسيدين يسوع الأموات.
وبوذا الألف والياء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم، والواحد الأزلي.	يسوع الألف والياء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم، والواحد الأبدي.
قال بوذا فلتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا علي، ليخلص العالم من الخطيئة.	يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها، ويخلص العالم قال يسوع: اخفوا الأعمال الحسنة التي تفعلونها، واعترفوا بذنوبكم علانية.
قال بوذا: اخفوا الأعمال الحسنة التي تفعلونها، واعترفوا بذنوبكم علانية.	ويصفون يسوع: إنه ذات من نور غير طبيعة، شمس بر وعدوه الشياطين الحية القديمة.

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
ويصفون بوذا : إنه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا «ويدعونه أيضًا الحية» ذات مظلمة غير طبيعية.	وفي أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد أن سار مسافة، حتى كان ينهكه التعب، وبينما هو قرب البئر عند مدينة السامرة أتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر، فقال لها يسوع: اسقني شربة ماء فقالت له المرأة السامرية أنت يهودي وكيف تطلب مني شربة ماء فإن اليهود لا يستحلون معاملة السامريين.
وفي أحد الأيام التقى أناندا تلميذ بوذا وهو سائر في البلاد بالمرأة «ما جي» وهي سبط الكندلاس المرذولين قرب بئر ماء، فطلب منها قليلاً من الماء فأخبرته عن سبطها وأنه لا يجوز له أن يقترب منه، لأنها من سبط محتقر، فقال لها: يا أختي إني سألتك شربة ماء وصارت من ذاك الحين تلميذة بوذية.	قال يسوع لا تظنوا أني جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل.
قال بوذا: إنه لم يأت لينقص	وقال يسوع: أحبوا أعداءكم، باركوا

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
الناموس كلا بل أتى ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء.	لاعنيكم، أحسنوا مبغضيكم.
وبحسب تعاليم بوذا يجب أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى.	وفي أوائل أيام يسوع التي عُلِّم وبُشِّر فيها ذهب إلى المدينة كفر ناحوم، وعلم فيها فتبعه من ذاك الحين أربعة رجال صيادين، وصاروا تلاميذ له ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون يؤمنون به .
وفي أوئل أيام بوذا التي عُلِّم وبُشِّر فيها ذهب إلى مدينة بينارس وعلم فيها فتبعه كونديا ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلامذة له، ومن ذلك الحين صار أينما علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويصيرون من أتباعه وتلاميذه.	وقال يسوع للذين صاروا تلامذة له ليتركوا غناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة.
وقال بوذا للذين صاروا تلاميذه ليتركوا الدنيا وغناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة.	وجاء في كتب النصارى المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع آية كي يؤمنوا به.
وجاء في كتاب البوذية القانونية	لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
والمقدسة أن الجموع طلبوا من بواذ علامة « أي آية» ليؤمنوا به.	أخبر عن الحوادث التي ستقع من بعد وقال لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.
لما أقترب انتهاء أيام بوذا على الأرض وعلم الحوادث المقبلة التي ستقع قال لتلميذه أناندا مايتي: يا أناندا مايتى أنا ذهبت لا تظن أنه لم يعد لبوذا وجود، كلا فالكلام الذي قلته والفرائض التي افترضتها تكون خلفًا عني وهي لك كذاتي أنا. وجاء في التعاليم البوذية أن إنفاق الإنسان لماله من أعظم الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه بمن يهب روحه؛ لأن النفس تبخل بالمال وتتمسك به، وبوذا قد وهب ونذر حياته شفقة وحنوًّا لخير الناس، فلماذا نتمسك بغناء الدنيا الزهيد؟! ولما تخلص بوذا من حب المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الإلهية	وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح (أي صلاح) أعمل ليكون الحياة الأبدية. قال يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني، لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل أكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون.

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
وصار الرأس فليعمل الرجل الحكيم الهاجر لملذات الدنيا الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه فداء عن الغير، عندها يصل إلى المعرفة الحقيقية.	
وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية أي مملكة سماوية.	ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه اقترب ملكوت السموات.
وقال بوذا: الآن أجيبت إدارة دولاب الشريعة العظيم ومن أجل هذا فإني ذاهب إلى مدينة بينارس لأهب نورًا للتائهين في الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية.	من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ يسوع بتأسيس مملكة دينية من أجل هذا الغرض ذهب إلى مدينة كفر ناحوم ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه اقترب ملكوت الله، الشعب الجالس في ظلمة أبصر نورًا عظيمًا، والجالسون في كوة الموت وظلاله أشرق عليهم نور.
وقال بوذا للتلميذ الحبيب أناندا: إن كلامي لا ريب فيه فلا يزول قطعيًا ولو وقعت السموات على الأرض وابتُلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعًا.	الناموس أعطى لموسى، أما النعمة والحق لكم من السماء فبيسوع المسيح صار، الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامي لا يزول.

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
قال بوذا: لا يوجد شيء أعظم فعلاً في الإنسان من الاشتهاء والهواء الشهواني ولحسن الحظ والسعادة لا يوجد سوى اشتهاء شهواني واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم في النساء، وإن كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن وإذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم.	قال يسوع: قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى قلبه.
وقال بوذا: الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنى.	فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزويج أصلح من التحرق.
ومن جملة التعاليم البوذية قولهم: إذا أصاب الإنسان حزن وآلام وبؤس وقنوط فإن ذلك يدل على أنه ارتكب آثامًا، والآلام جزاء عليها. وإذا لم يكن ارتكب شيئًا من الآثام في هذا الدور الحاضر من حياته	وفيما هو مجتاز رأى إنسانًا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم، من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى.

أقوال الهنود في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
لا بد أن يكون قد ارتكبه في أحد الأدوار السابقة من ظهوره «أي في أحد أدوار تقمصه».	
كان بوذا يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها.	كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم وأنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها.
وجاء في كتاب الصوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوذيين أنه قلع عينه ورماها لأنها شككته.	قال يسوع: فإن كانت عينك اليمين تعثرك فأقلعها وألقها عنك.
لما عزم بوذا على التنسك كان راكبًا جوادًا يدعى كنتاكو ففرشت الملائكة طريقه بالزهر.	لما كان يسوع داخلاً أورشليم راكبًا على حمار فرشت له الجموع الطريق بأغصان النخيل.

كما أن الحقائق التاريخية تؤكد أن الصليب قد دخل الديانة المسيحية في القرن الثالث الميلادي بأثر من الثقافات المذكورة، فهو رمز وثني. ويروي أصحاب هذا القول داخل المسيحية أن المسيح لم يصلب بل قتل مربوطا على عمود. أما بالنسبة للمسلمين فإنه لم يقتل ولم يصلب بل قتلوا من شبه لهم ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾[1].

هنالك إنجيل برنابا[2]، وهو أحد الحواريين، وقد اختلف مع بولس؛ لأنه اعتبر بولس مبتدعًا وفي إنجيل برنابا يوجد الآتي:

- إن الله واحد.
- إن عيسى بشر رسول.
- إن الختان ملزم للمسيحيين.
- إن الخنزير حرام.

(١)سورة النساء الآية ١٥٧

(٢)القديس برنابا (ت حوالي ٦١م) أحد الحواريين الاثني عشر، ولد بقبرص لأبوين يهودين واسمه يوسف بن لاوي، وحينما باع كل ممتلكاته وأعطى المال للحواريين غير اسمه لبرنابا (أي ابن البذل son of exhortation) ولما ادعى بولس أنه رأى المسيح وعاد إلى أورشليم تولى برنابا تقديمه إلى التلاميذ، ذهب برنابا للدعوة في أنطاكية ..ثم خرج إلى طرسوس ودعا فيها مع شاول (بولس) سنة كاملة، ثم تشاجر مع بولس وافترقا، وبعد هذا الشجار اختفى ذكر برنابا من العهد الجديد. قتله الوثنيون بقبرص رجمًا بالحجارة ودفنه ابن أخته مرقس الإنجيلي. وقد صدر عام ٣٦٦م أمر من البابا دماسس بعدم مطالعة إنجيل برنابا ؛ وكذلك من مجلس الكنائس الغربية عام ٣٨٢م، كما صدر مثله عن البابا أنوسنت ٤٦٥م، كما وقد حرَّم البابا جلاسيوس الأول عام ٤٩٢م مطالعة بعض الأناجيل، فكان منها إنجيل برنابا. واليوم يحاول البعض اتهام المسلمين بأنهم واضعوه.

إن عيسى لم يُصلب بل الذي صلب هو يهوذا الاسخربوطي[1].

يأتي نبي اسمه محمد بعد عيسى.

هذا الإنجيل استبعد بأمر البابا جلاسيوس[2] في أواخر القرن الخامس الميلادي أي قبل بعثة محمد بأكثر من قرن. وجاء في مقدمة هذا الإنجيل هجوم على بولس بأنه هو الذي جاء بعقائد وتعاليم غريبة على المسيحية مثل:

- أن عيسى ابن الله.
- منع الختان.
- أكل الخنزير.

لقد عثر كريمر مستشار ملك بروسيا على نسخة من هذا الإنجيل بالإيطالية وأهداها للأمير يوجين سافوري، وتوجد الآن في مكتبة البلاط الملكي في فيينا.

كذلك توصل علماء الإنجيل اليوم إلى استنتاج وجود إنجيل قديم وهو الإنجيل الأول الذي كان أحد مصادر إنجيلي متى ولوقا، وأطلقوا عليه اسم «إنجيل Q» وكلمة «Q» هنا هي اختصار للكلمة الألمانية «Quelle» أي المصدر، ويذكر أحد هؤلاء العلماء بأمريكا «ماك بورتن» في كتابه «كتاب Q الإنجيل الضائع» بأن إنجيل Q أو الإنجيل المصدر كان ملزمة صغيرة يحملها الحواريون معهم أينما ذهبوا إلا أنها ولظروف غامضة ضاعت مع انتهاء القرن الأول، ولعلها ضاعت حينما احتل

---

(١) يهوذا الاسخربوطي (ت ٢٩/ ٤/ ٣٣م) من الحوارين الاثنى عشر، يذكر في إنجيل متى أن يهوذا بعد أن خان المسيح واستلم الرشوة أعادها للحواريين وانتحر شعورا بالذنب، أما في أعمال الرسل، فيذكر أنه استلم الرشوة واشترى بها حقلاً ولكنه مات فيه وخرجت أحشاؤه. أما ما جاء لدى إنجيل برنابا فيتفق مع ما جاء في القرآن (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم).

(٢) البابا جلاسيوس الأول – القديس: (ت ١٩/ ١١/ ٤٩٦م) أفريقي الأصل، ولد بروما (أو العكس) انتخب كبابا في مارس ٤٩٢م، وحتى وفاته بروما.

الروم القدس عام ٧٠ م.

الجزء الثالث: المرأة في نظر ظالميها:

الرجل والمرأة هما نصفا الإنسان، والفهم الصحيح أنهما نفسيًّا وفسيولوجيًّا وعاطفيًّا واجتماعيًّا يكملان بعضهما بعضا. هنالك أكثر من نمط ممكن لإقامة العلاقة بينهما:

- نمط يقوم على التسليم لكل بحقوق الإنسان كاملة، وإقامة العلاقة بينهما على أساس انهما يكملان بعضها بعضًا، وهو النمط الذي اتجه إليه الفكر الإنساني بعد طول تجارب.

- نمط يقوم على اعتبار المرأة كائنًا أدنى من الرجل وإقامة العلاقة بينهما على أساس هيمنة الرجل على الحياة، وهذا هو النمط الغالب في التاريخ القديم.

- هنالك أنماط تقع بدرجات متفاوتة بين هذين النمطين.

وفي الإسلام يوجد ما يدل على المساواة بين الرجل والمرأة، وما يفرق بينهما في مجالات معينة. ولكن جمهور الفقهاء، وكثير من الأدباء يركزون على نمط يجعل الرجل مهيمنًا على المرأة ويعتبرها إنسانًا من درجة أدنى. إنني أعتقد أن مقاصد الإسلام تقتضي أن يكون للرجل والمرأة حق إنساني كامل، وأن يكمل بعضهما بعضًا على نحو ما جاء في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [1]. و﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [2]، و﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ

(١)سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢)سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[1].

ولكن جمهور الفقهاء، وجمهور الأدباء اختاروا استنباط موقف آخر كما يلي:

الفقه:

في الفقه سيقت أحاديث مثل:

- «**لا يسأل الرجل فيما ضرب زوجته**». إذا صح هذا الحديث فأين حقوق الإنسان؟ وقول النبي ﷺ: «**لتؤدين الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»؟!!.

- «**لولا حواء ما خانت أنثى زوجها الدهر**». إن نسبة الخطيئة لحواء من قصص التوراة، ولكن القرآن نسبها لآدم فقال: « ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2].

- «**لو كنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها**» هذا أبعد ما يكون عن مقاصد الإسلام التي تقتضي ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[3] والأقرب أن يقال هذا في شأن الوالدين لا سيما الأم فالمطلوب في العلاقة بين الزوجين في الإسلام أن تقوم على المودة والرحمة لا التألية والعبودية!.

- «**النساء ناقصات عقل ودين**» هذا يناقض نصوص القرآن ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾[4]بل يناقض عمليا الدور الكبير الذي قامت به خديجة رضي الله عنها ثم عائشة رضي الله عنها في الإسلام.

---

(١)سورة التوبة: الآية ٧١.

(٢)سورة طه : الآية ١٢١.

(٣)سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤)سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

○ «**ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» المرة الوحيدة التي أشار إليها القرآن الكريم لقوم ملكتهم امرأة هي ملكة سبأ. وقد ذكر القرآن حالها بكل خير أما المرأة التي قيل إن النبي ﷺ قال هذا الحديث عندما سمع بأمرها، فقد روى الطبري[1] عنها الآتي: «ثم ملكت بوران بنت كسرى، فذكر أنها قالت يوم ملكت: البر أنوي وبالعدل آمر وأحسنت السيرة في رعيتها وبسطت العدل فيهم» هل يعقل أن يقول النبي مثل هذا الحديث أمام هذا الواقع؟!.

الأدب:

إن بعض الشعراء والأدباء تضافروا مع جمهور الفقهاء في الازدراء بشأن المرأة انتصارًا لنمط الهيمنة الرجالية المذكورة.

الخيانة من طبع المرأة

قال المتنبي:

يقولون هند لها الغدر وحدها ... سجية نفس كل غانية هند

وأن مولدها نفسه منقصة:

قالوا:

قد كنت أرجو أن تكون ذكرا ... فشقها الرحمن شقا منكرا

مثل الذي بأمها أو أكبرا

ووظيفتها الطبيعية نفسها عيب:

(١)الطبري (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) هو أبو جعفر محمد بن جرير. ولد في طبرستان جنوب بحر قزوين ورحل إلى بغداد لتلقي العلم، كان محدثًا ومؤرخًا، أشهر كتبه «تاريخ الرسل والملوك». كما له تفسير للقرآن يقع في ثلاثين جزءًا.

قال أحدهم:

ألا حييا ليلى[1] وقولا لها هلا ... فقد ركبت أيرا أغر محجلا

وقد ردت عليه ليلى بالبيت التالي:

تعيرني أمـــرًا بأمــك مثله ... وأي جواد لا يقال لها هلا

أيضا: ومن كثرة عيبهن فالموت أستر لهن. وفي هذا المجال فقد حدثوا عن النبي ﷺ حديثا يتعارض تمامًا مع روح الحملة القرآنية القوية ضد وأد البنات، قالوا إنه ﷺ قال للمعزين عندما دفن بنته رقية: «**الحمد لله، دفن البنات من المكرمات**»! وقال شاعر مشبع بروح الوأد هو الباخرزي:

القبر سترة للبنات ودفنها ... يروى من المكـــــــرمات

أما رأيت الله عز اسمه قد ... وضع النعش بجنب البنات

مشيرًا إلى الأجرام السماوية المسماة بنات نعش، مشتقا من الأسماء معاني بعيدة عنها!

ونسب للمأمون مع علمه وأدبه أنه قال: النساء شر كلهن ، وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن !! أيعقل أن يقول مثل هذا من ولدته امرأة، وولد امرأة، وخرجت معه من بطن واحد امرأة؟!

وقال أحدهم مجمعًا شعرًا تناثر على ألسنة آخرين:

---

(١)ليلى الأخيلية: (ت ٨٠هـ) ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية من بني عامر بن صعصعة . شاعرة فصيحة ذكية. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. وكان بينها وبين النابغة الجعدي مهاجاة. وسألت الحجاج وهو في الكوفة أن يكتب لها إلى عامله بالري ، فكتب ورحلت فلما كانت في (ساوة) ماتت ودفنت هناك. سميت (الأخيلية) لقولها أو قول جدها: نحن الأخايل ما يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا.

توقوا النساء فإن النســـاء

نقصن حظوظا وعقلا ودينا

وكل به جاء نص الكتـاب

وأوضح فيه دليلاً مبـــينا

فأما الدليل لنقص الحظوظ

فإرثهن نصف إرث البنـــينا

ونصف العقول فأجزاؤهـن

بنصف الشهادة في الشاهدينا

وحسبك من نقص أديانهـن

ما لست تزداد فيه يقـــينا

فوات الصلاة وترك الصيام

في مدة الحيض حينا فحـــينًا

فلا تطعـــهن يوما فقــــد

تكون الندامـــة منه سـنينا

هـذه المفـاهيم والاسـتنباطات عالجتهـا في كتـابي « المـرأة وحقـوقهـا في الإسـلام» الصادر عام ١٩٨٥م ، والنسخة الجديدة المزيدة منه الصـادرة عـام ٢٠٠٦م بعنـوان «الحقوق الإسلامية والإنسانية للمرأة»، بما ينفي هذا التفسير الجائر لحقـوق ومكانـة المرأة في الإسلام، وماذا يقول هذا الشاعر الذي جعل في طاعتهن الندامة إذا قيل لـه إن النبي ﷺ عرض ما طرأ له أول الوحي على خديجة وأخذ برأيهـا؟!! وأنـه عنـدما

خالفه الناس في الحلق وذبح الهدي في الحديبية شاور أم سلمة[1] وأخذ برأيها؟؟!.

من كتاب عمرو فهمي ضحكات غاضبة



(١)أم سلمة : (أم المؤمنين) (٢٨ ق . هـ/ ٥٩٦م ـ ٦٢هـ/ ٦٨١م) سبقت ترجمتها.

الحلقة الخامسة : الخميس ١ نوفمبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم في قسمين:

القسم الأول : بعض عقائد الهند

هذه عقائد طريفة جدًا في حد ذاتها، وأهم ديانة في الهند الديانة الهندوسية. إذا نظرنا للخريطة الدينية في الهند لوجدنا الأديان المنتشرة فيها هي الهندوسية، الإسلام ، البوذية، المسيحية، السيخية، وأقليات دينية متنوعة.

٦٠٪ أو نحو ذلك من سكان الهند يتبعون الديانة الهندوسية، وحوالي ٢٥٪ مسلمون، والـ ١٥٪ الباقية موزعة بين الأقليات الدينية الأخرى.

أما من الناحية الإثنية (العرقية) فسكان الهند مكونون من : سكان أصليين ودارفيديين وآريين، ومغول.

إن عقائد الهند الدينية تبدو غريبة في نظرنا نحن أصحاب الأديان الإبراهيمية؛ ولذلك محتاجون لكثير من التعمق لمعرفة ديانة الهند.

الهندوسية :

هنالك تعددية إلهية. الإله الأعلى اسمه براهما، وإلى جانبه آلهة آخرون مثل:

أندرا وهو إله الصاعقة

أقني وهو إله النار

فارونا وهو إله السماء

ورودا وهو إله الشر، كالشيطان

إن وظائف هؤلاء الآلهة وعلاقاتهم ببعض وبالناس معضلة في الأدب الهندي المقدس. أهم جزء من الأدب الهندي المقدس ـ وهو الفيدات ـ هي عبارة عن:

فيدا الرج، أي الفيدا الملكية، وهي مكونة من ١٠ كتب فيها ١٠٢٨ نشيدًا. تواريخ تأليفهما ما بين ١٥٠٠-١٠٠٠ عام قبل المسيح.

فيدا ساما، وهي عبارة عن أناشيد تنشد أثناء تقديم القرابين.

فيدا فاجور، وهي دعوات تردد أثناء العبادات.

فيدا أثارفا، وهي عبارة عن رقى وتوسلات.

الجزء الثاني من الأدب المقدس مكون من الأبانشيدات، وهي تعاليم للاتصال الروحي ألفها رجال الدين. التعاليم التي تقول بها هذه المراجع المقدسة تتلخص في الآتي: البراهما يوجد الأتمان (النفس)، وهو الجزء غير المرئي من الشخص، هذا الأتمان في حقيقته واحد وإن تعددت مظاهره. إذا تفكرنا في واقعنا وجدنا:

أن النفس الحقيقي واحد، والأنفس الفردية أجزاء منه، إنها تعددية خادعة.

أن أنفسنا الجزئية لا تستطع أن تدرك النفس العظمى ولا أن تدرك حقيقة الوجود؛ لذلك فإن أفضل ما يصنع الإنسان الفاضل بنفسه هو أن يمضي وقته متأملا ليسيطر على نفسه الفردية عن طريق التجرد.

ومن التعاليم:

مبدأ الكارمة، ومعناها أن يجد الإنسان جزاءً مناسبًا للعمل الذي يؤديه.

مبدأ السامسارا، ومعناه سلسلة التناسخ الذي يحدث للنفس، فالنفس تتناسخ في حيوانات مختلفة يحكمها تدنيًا وعلوًّا ما اكتسبت من أعمال.

هذه التعاليم تشتمل على تناقضات أساسية، فإذا كانت الأنفس الفردية متحدة في نفس عظمى واحدة، فكيف يجوز لهذه الأنفس الفردية أن تدخل في سلسلة السامسارا؟! لقد تفكر رجال الدين والفلسفة حول هذه التناقضات وغيرها،

ونتيجة لذلك نشأت من الهندوسية أديان أخرى هي : الجانية، والبوذية، والبختية.

ومن تعاليم الهندوسية:

أن النفس العظمي (الاتمان) تقول : من رآني في أي مكان وفي أي شيء سيجدني واحدة أيضًا (حصل التفريق والكل واحد) وتقول النفس العظمى: حيثما يكثر الفساد في العالم فإنني أظهر في الحياة لنصر الحق وإزهاق الباطل، إنني بذلك أولد من عصر إلى آخر.

ولكن فكرة أطوار الإصلاح هذه تتناقض مع أصل التفكير الأبانشيدي لأنها تعني وجود حال وفساد الحال، وإصلاح الحال وهي حالات لا تتناسب مع أحدية النفس العظمى وعدم تعددها.

إن فكرة أطوار الإصلاح هذه فكرة موجودة في الأدب الديني الزرادشتي الإيراني، وربما دخلت الأدب الديني الهندي من ذلك المصدر وحلت مع الغزاة الآريين. إن الإله الذي يتقمص النفس العظمى ويظهر في هذه الحلول المتعاقبة يسمى فشنو إن لفشنو هذا عددًا من الحلولات والأطوار. فشنو هذا ظهر في شكل كريشنا، وهو كائن لاهوتي ناسوتي نطق بجزء هام من الأدب الهندي واسمه البهاقافادقيتا. كذلك فشنو حل في شخص الملك الإله راما.

فكرة «غياب وحلول» هذه تتناقض مع فكرة النفس الواحدة، فإذا كانت النفس واحدة وموجودة أصلاً، فكيف يجوز أن تحل من جديد؟!

بعض فلاسفة الهندوسية يقولون: إن الحقيقة الواحدة توهم البشر بفكرة الحلول والتجسيد من وقت لآخر لإرضاء الضعف الإنساني. إن فكرة الحلول الإلهي هذه برزت في الفكر الديني الهندي حوالي ٢٠٠ ق. م. إنها مختلفة عن فكرة الإله الملك التي توجد لدى البابليين والمصريين، فلدى هؤلاء ينال الملك بحكم منصبه تأليها.

في الأدب الديني الهندي توجد قصيدتان عظيمتان هما: الرامايانا ـ والمهابهراتا.

الرامايانا تقول: إن الإله الأعلى فشنو تقمص شخص راما من أجل إنقاذ الإنسانية. والمهابهراتا تقول إن الإله الأعلى فشنو تقمص شخص كرشنا من أجل إنقاذ الإنسانية. إن تأملنا التراث الديني الهندي يقود لنتائج مدهشة هي:

- أن الفكر الديني الهندوسي الأصلي فكر أحدي يقوم على مفهوم وحدة الوجود (حصل التفريق والكل واحد).
- أن الفكر الديني الهندي مع ذلك اضطر للتعامل مع واقع التنوع في الوجود فجاء بأكثر من ديانة، وفي داخل كل ديانة أكثر من إله، فامتثل في الواقع لتعددية كبرى.
- أن وجود الفكرة الواحدة في العالم التي قالت بها الفلسفة الهيجلية وما تفرعت منها من أفكار أحدية في الفلسفة الأوروبية مصدرها الفكر الهندوسي.
- أن فكرة وحدة الوجود التي قال بها بعض الفكر الصوفي الإسلامي والمسيحي مصدرها هندوسي.
- أن فكرة الإله الذي يتقمص وجودًا بشريًا لإنقاذ الإنسانية فكرة عائدة للتراث الهندوسي الديني.

هذا معناه أن الفكر الديني الهندوسي لعب دورًا كبيرًا في بناء التدين والفلسفة على الصعيد الإنساني والعالمي.

ومع ذلك فإن الفكر الهندوسي الديني والفلسفي كما رأينا يشتمل على تناقضات أساسية لم يتمكن من التخلص منها.

القسم الثاني: نوادر وملح

- من عادة أهل السودان أن يكرموا ضيوفهم وأن يذبحوا لهم الذبائح ثم

يحلفوا عليهم ليأكلوا، وكثيرون يولون ذلك الإلحاح أهمية قصوى. قيل إنه زار قوم رجلاً فذبح لهم وأكلوا قليلاً ثم انصرفوا، وسُئلوا عن زيارتهم قالوا: أن المضيف كان بخيلًا، سألوهم: ألم يذبح لكم؟ قالوا: بلى ولكنه لم يحلف بالطلاق علينا لنأكل ونستزيد فقمنا جياعًا!.

- بعض الناس يحدهم خيالهم فلا يفهمون ما ورد في العقائد إلا بشكل حسي مقاس على ما يشاهدون، هكذا ينظرون للملائكة ولليوم الآخر بشكل مستمد من خبراتهم في الحياة. قيل : إن أحدهم أتى خطيئة فقال له صاحبه: إن الملك على كتفك الأيسر يسجل خطاياك فكيف تجرؤ على ما فعلت؟ فهز كتفه قائلاً: ها قد دفقت دواته!.

- الإسلام ليس فيه مؤسسة «رجال الدين» المعهودة في كثير من الأديان - المسيحية مثلا- ولكن هذه المؤسسة وجدت في الواقع الإسلامي انحرافًا عن المثال ويتبادل الناس نكات وأقاصيص كثيرة عن بعض «رجال الدين» وانشغالهم الشديد بالدنيا. قيل إن أحدهم وهب أرضًا ونخلاً لأحد «رجال الدين» تبركًا، وجاء إليه ليوقع على وثيقة الهبة، وبينما هو مقيم عنده جاء أجله فمات، فأمر رجل الدين أن تترك الجنازة في غرفة ليغسلها بصفة خاصة، فأتى بوثيقة الهبة وبل إبهام الميت بالحبر وبصم به عليها ثم غسل الأصابع والجنازة!.

وفي مثل هذا قال المعري:

صم وصل وطف بمكة زائـرًا

سبعين لا سبعًا فلست بناسك

جهل الديانة من إذا عرضت له

شهواته لم يلف بالمتماسك

- في الأربعينات هجم على مصر وباء الكوليرا ونظمت حملة تطعيم واسعة ولكن لم يصحبها إرشاد بالقدر المطلوب. ويحكى أن أحدهم وقف في صف التطعيم، واستمر يقف ليطعم عددًا من المرات ظنًا منه أن كثرة التطعيم سوف تحصنه تمامًا من المرض فكانت النتيجة أن أصيب بالكوليرا!

إذا خاف الإنسان حتى أصابه الذعر فإنه يتصرف باندفاع هائل لمواجهة مصدر الخوف أو للهرب منه. ويحكى أنه بعد الحرب العالمية الثانية، وفي إحدى مستشفيات بريطانيا التعليمية، كان بين أسرة المستشفى رئيسة ممرضات (ماترون) حازمة جدًا ضاقت الممرضات بأوامرها فرأين أن يزعجنها، وكانت هي آخر من يمر لإطفاء الأنوار، وكانت في مشرحة المستشفى منضدة عليها يد آدمية كاملة، فطلينها بالفوسفور (وهو مادة مشعة في الظلام)! عندما أطفأت الماترون الأنوار فوجئت باليد تشع ضياء فروعت وهجمت على اليد وأخذت تأكلها! وأصيبت بانهيار عصبي!!

الحلقة السادسة : الخميس ٨ نوفمبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم عن موضوع طريف آخر، إنه سيرة ملك مصر السابق فاروق الأول. وأبدأ حديثي بالمسابقة التالية:

المسابقة:

بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٣م أزيل اسم فاروق من كل مسمياته في مصر وغيرها، ولكن ظلت دولة واحدة في العالم تحتفظ بذكرى فاروق، ما هي تلك الدولة، وما هي الشواهد على ذلك؟

الجواب: الدولة هي السودان. ففيه مقبرة (في امتداد الخرطوم)، وجامع (في

وسط الخرطوم) باسم فاروق.

سيرة فاروق:

كانت حياة فؤاد الأول[1] والد فاروق قميئة من الناحية السياسية، وشقية من الناحية العائلية، وكانت أم فاروق تعيش مع زوجها فؤاد هذا الشقاء العائلي. وعندما مات فؤاد انتعشت حياة زوجته انتعاشًا كبيرًا، وحولت القصر إلى مجال رحب للرقص والغناء والحفلات، واشتهرت حفلاتها بالخلاعة، بل كانت لها علاقات مشبوهة وكان فاروق ابنها يلم بهذه الأمور مما جعله يحتقرها.

وكان فاروق يشعر بعجز تام أمام فضائح والدته، هذا العجز من التأثير في محيطه العائلي المباشر جعله يسرف في المغامرات في حياته، فكان يقتني أسرع السيارات ويقودها بنفسه تتبعه دائمًا سيارة إسعاف!! كان يسد ذلك العجز بمظهر الفتى المغامر!.

وكان فاروق بالإضافة لذلك يحب اقتناء الأشياء النادرة لا سيما التي يملكها غيره. كان يحب اقتناء طوابع البريد، والساعات، والجواهر والأثاثات، والعملات النادرة.. الخ وكان لا يتورع من أخذ ممتلكات الآخرين إذا شدت انتباهه وذات يوم في فبراير ١٩٣٩م ارتدى فاروق ملابس عادية وذهب لقصر محمد طاهر أثناء سفر صاحب القصر، وانتقى ما شاء من تحف وأثاث وحملها إلى قصره! وأعجبت فريدة

(١)أحمد فؤاد الأول (١٨٦٨ ـ ٨ أبريل ١٩٣٦م) فؤاد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا، والده الخديوي إسماعيل، حكم مصر من ٩ أكتوبر ١٩١٧م كسلطان ثم كملك حتى ٢٨ إبريل ١٩٣٦م، الأخ الأصغر للسلطان حسين، جعلت منه بريطانيا الوريث للسلطان (حسين). وفي خلال حكمه قامت ثورة١٩١٩ م بقيادة (سعد زغلول)، وبعدها بسنوات وبعد إعلان ٢٨ فبراير ١٩٢٢م اضطرت بريطانيا لإعلان مصر دولة مستقلة ذات سيادة مع بعض التحفظات، فأعلن فؤاد نفسه ملكًا على مصر سنة ١٩٢٢م وأصدر الدستور في إبريل ١٩٢١م، . وخلفه ابنه فاروق الأول.

(زوجة فاروق) بقصر محمد طاهر هذا. فاشتراه منه فاروق بمبلغ ١٤٠ ألف جنيه، وضمه إليه، وسمي قصر الطاهرة. وذهب فاروق لزيارة عزيز المصري[1]، وشاهد سيفًا قيمًا معلقًا على الحائط، فطلبه منه، فاعتذر له عزيز المصري وقال له: إنه يعتز بذلك السيف لأنه ناله بعد إحدى المعارك التي اشترك فيها في الجيش التركي، وإنه يحتفظ بالسيف لابنه وفي نهاية المقابلة قال فاروق لعزيز: أنا ابنك، وأخذ السيف وذهب به!!

وذهب فاروق لزيارة آل لطف الله في قصرهم - وهم أسرة من أصل سوري - وشاهد محتويات القصر فأعجب بها، وجمع منها ما شاء وأخذه وبعد ذلك اشترى القصر نفسه!

وعندما مات (الشاه) محمد رضا بهلوي أوصى وهو بالمنفي في جنوب أفريقيا أن يدفن في بلد إسلامي، وقبل فاروق أن يدفن في مصر وكانت مع الشاه موجودات قيمة (سيف وقطع أثرية ومجوهرات) وضعت مع الجثمان في الصندوق، وعندما علم فاروق بأمرها، أخذها ودفن الجثمان ولم تُجْد مطالبة الإيرانيين بردها لهم!.

وأعجب فاروق بخنجر (سيف الإسلام) عبد الله، فدعاه لمأدبة، وأمر أحد الخدم أن يستولي على الخنجر بعد أن علقه صاحبه لتناول الطعام وقد كان!! وعندما تفقد فاروق المتحف المصري تناول ١٤ قطعة من مجموعة توت عنخ آمون وضمها إلى مقتنياته!!

(١)عزيز علي المصري: (١٨٧٩ - ١٩٦٥) عسكري وسياسي مصري من طلائع الحركة العربية . ولد بالقاهرة، لأسرة أصلها من البصرة، تخرج بالمدرسة الحربية في إستنبول، والتحق بالجيش العثماني، تعرض للاعتقالات غير مرة لمشاركته في مناشط محظورة عهد إليه الملك فؤاد برعاية ابنه فاروق. عين مفتشًا عامًا للجيش المصري، ثم رئيسًا لأركان الجيش، ساهم في تنظيم حركة الفدائيين المصريين في قناة السويس عام ١٩٥١، في عهد ثورة ٢٣ يوليو بمصر عين سفيرًا لمصر بموسكو.

وكان فاروق يكاد ينام النهار كله ليسهر الليل كلـه، وكـان أطـول وقـت يمضيه ليلاً في لعب القمار فقد كان يلعبه بإسراف ويجاهر به : يلعبه في نادي السيارات، وفي كازينو الحليمية بالاس، وفي أوبرج الأهرام. وأكثر ما روي بشاعة عـن فـاروق كـان الانغماس في اللهو والمجون والعلاقات المشبوهة والتي وردت حولها روايات لا نود الخوض في تفاصيلها المذكورة في عـدد مـن المراجـع المنشـورة، وقـد قيـل إنهـا كانـت لتغطية عجز كان يعاني منه، وأوردت تلك الروايات انشغال جـزء كبير مـن حاشـية القصر في ترتيباتها.

وكانت زوجته فريدة قد ضاقت ذرعًا بذلك، ثم لجأت هي نفسها لتصرفات غير لائقة. ثم توترت العلاقة بينه وبين فريدة، خاصة بعد أن ولـدت لـه بنتًـا ثالثـة (وقـد كان حريصًا على الولد لولاية العهد) فقرر أن يطلقها، ولكـن خشي أن تتزوج بعـده شخصًا آخر فتبوح بأسراره، فقرر أن يمنعها من الزواج بـأن يصـدر الشـيخ المراغـي فتوى تمنع فريدة من الزواج بعده إن طلقها، ولكنه رفض أن يصدر هذه الفتوى!.

كأن كل هذه العيوب لم تكن وحـدها كافيـة لهـدم الملـك، فقـد كـان فـاروق رغـم ثرائه جشعًا جدًا من الناحية المادية.

لقـد تـرك فـؤاد ثـروة مـن الأرض الزراعيـة تقـدر بخمسـين ألـف فـدان، ورث فاروق منها ١٦ ألف وزادها بالاستيلاء على أراضي آخرين وأراضي الأوقاف حتى صار يملك خمس الأراضي الزراعية المصرية!!

وإلى جانب ذلك كـان يملـك ٢٤ قصرًا واسـتراحة، وعـددًا مـن اليخـوت هـي : فخر البحار، غزة، ونسر ويملك ١٣٠ سيارة ١٠ منها رولزرويس كان دخله حوالي مليون جنيه سنويًّا، عدا ما تنفقه عليه الدولة ولم يكـن يـدفع ضرائـب وكـان يحـرص على زيادة دخله بكل الوسائل، فكان يسمسر لشراء أسلحة للجيش المصري، ومنهـا

صفقات الأسلحة الفاسدة!

وكان لا يتورع أن يستولى على التبرعات لأسر الشهداء وغيرهم! وكان إذا جمع أموالا وتراكمت في حسابه سارع فاشترى ذهبًا لتهريبه للخارج فقد كان مع كل غفلاته مدركًا أن ملكه إلى زوال لا محالة ولذلك كان يقول على سبيل النكتة: إنه سيبقى في العالم خمسة ملوك فقط، هم ملوك الورق (الكوتشينة) الأربعة وملك بريطانيا!

وبلغ استهتار الأسرة المالكة في مصر مبلغًا كبيرًا عندما ذهبت أم الملك ومعها اثنتان من بناتها إلى أمريكا وكانت إحداهن (فتحية) قد تزوجت من قبطي (رياض غالي). هذا التصرف أحدث ثورة في الرأي العام المصري واكب فاروق ثورة الرأي العام ضد أمه وأختيه واستصدر فتوى ضدهما بالسفه فصودرت أموالهن وضمت لماله! أما أخته الثالثة (فوزية) فقد بقيت معه في مصر وكان لفاروق ٣ بنات لا علاقة بينه وبينهن بل كان يكرههن وبصورة غير مباشرة يؤاخذهن على أن ولاية عهده صارت لعمه محمد علي الذي كان يبغضه بغضًا شديدًا.

كان زواج فاروق من السيدة التي ولدت له ولي العهد غريبا جدا: ذهبت الآنسة ناريمان[1] مع خطيبها أحمد نجيب للجواهرجي لتشتري خاتم الزواج، فأعجبت

---

(١) ناريمان حسين فهمي صادق (٣١/ ١٠/ ١٩٣٣ -١٦/ ٢/ ٢٠٠٥م) ولدت بالقاهرة، والدها وكيل وزارة المواصلات ونجل على بك صادق من أعيان مصر حينها، والدتها أصيلة هانم ابنة كامل محمود من أعيان محافظة المنيا. تزوجت الملك فاروق رغم رفض أبيها، وتم إعلان الخطبة فى عيد ميلاد الملك الحادي والثلاثين ١١ فبراير ١٩٥١ وتم الزفاف في ٦ مايو عام ١٩٥١ . ولدت له ولي العهد في ١٦ يناير ١٩٥٢. بعد قيام الثورة فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ طرد فاروق واسقطت الملكية وتم تعيين ابنها أحمد فؤاد الثانى ملكا على البلاد ورحلت مع فاروق وأسرته لأوربا، وبعد ٣ أشهر انفصل فاروق عن ناريمان وعادت لمصر وحصلت على وثيقة الطلاق في فبراير ١٩٥٤، ثم تزوجت من الطبيب أدهم النقيب في نفس العام وتطالقا في ١٩٦٤م، ثم تزوجت من الدكتور إسماعيل فهمي (اللواء بالقوات المسلحة) في ١٩٦٧م وظلت زوجته حتى وفاتها.

صاحب المحل (ويبدو انه كان من عملاء القصر) فاتصل بالقصر، فرآها الملك فأعجب بها، وكان عمرها ١٦ سنة فتقدم لخطبتها رغم ما يعلم من موقفها. كان الرأي الشرعي والرأي العام في مصر أن هذه الخطبة باطلة وكان السخط شديدًا على هذا الإجراء؛ لأنه عبارة عن خطف يد فتاة من خطيبها ولكن تم زواج فاروق من ناريمان، فسافر معها لشهر عسل مدته ثلاثة أشهر وكانت أشهر بذخ لا حد له. ثم عادا لمصر وبعد حين ولدت ولي العهد أحمد فؤاد. كان موقف الشعب من الزواج وشهور العسل ومولد ولي العهد عدائيًّا يدل على ذلك الهتاف: ناريمان ناريمان ابنك عنده سنان.

إن هذه المعلومات عن فاروق مستمدة من مصادر موثقة، ويحق للواحد منا وهو يتأملها أن يطرح سؤالين هامين، هما:

السؤال الأول:

كيف استطاع البلاط الملكي في عهد فاروق أن يحافظ على بقائه عشرات السنين مع كل هذا الاستهتار؟!

السؤال الثاني:

كيف جاز لسياسيين سودانيين أن يصروا على المطالبة بوحدة وادي النيل تحت التاج المصري، وهم يعلمون ما تحت التاج المصري من عيوب؟!

ولعل هذا هو الذي حدا بالشاعر علي عكير[1] أن يقول:

مظلوم يا وطن لي البنصفوك محتاج

(١) علي إبراهيم عكير: (١٩٠٦- ١٩٩٠م) مشهور بعكير الدامر التي ولد فيها. من أبرز شعراء السودان القوميين في القرن العشرين.

أبناك نفسهم عادوك نـــاس التـــاج

بدل ما يتوجوك يا طيب الإنتـــــاج

عقدو الراي على حكمك تحت لي تاج

كاركاتير عمرو فهمي



الحلقة السابعة : الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٩٠م

حديثي لكم اليوم من أقسام:

القسم الأول: مسابقة:

قال رجل لأبي حنيفة : ما تقول في رجل قال : «لا أرجو الجنة، ولا أخاف النار، وآكل الميتة، وأشهد بما لم أر، ولا أخاف الله، وأصلي بلا ركوع ولا سجود، وأبغض الحق، وأحب الفتنة»؟!!.

قال الحاضرون: إنه كافر، إنه مرتد، إنه فاسق، وكالوا له ما كالوا ثم قال أبو حنيفة بعد تفكير:« إنه والله من أولياء الله!! وها هو تخريجه:

لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، أي أنه يرجو ويخاف ربهما.

لا يخاف الله، لا يخاف ظلمه وجوره.

يأكل الميتة ، أي السمك.

يصلي بلا ركوع أو سجود: الصلاة على النبي.

يبغض الحق: أي الموت كما قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾[1].

يشهد بما لم ير: شهادة أن لا إله إلا الله.

يحب الفتنة كما في الآية : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2]».

القسم الثاني: نوادر وملح:

❖ كان أعرابي يصلي متنفلا فجلس إلى جانبه شخصان، فقال أحدهما: ما أبركه

(١)سورة ق: الآية ١٩.

(٢)سورة التغابن: الآية ١٥.

مصليًا فقطع صلاته ليقول لهما : زد على ذلك أنني صائم!!

❖ نحوي سأل عاميًّا: إسماعيل ينصرف أم لا؟ أجاب: إذا صلى العشاء فما قعوده!.

❖ روى الشعبي قال: خرج أسد وذئب وثعلب للصيد فاصطادوا حمارًا وحشيًا وغزالاً وأرنبًا. فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا صيدنا، فقال الذئب : حمار الوحش للملك والغزال لي، والأرنب للثعلب، فضربه الأسد فجندله، ثم قال للثعلب اقسم أنت بيننا، فقال الثعلب: الحمار للملك يتغذى به والغزال والأرنب له أيضًا يأكلهما في الوجبات اللاحقة فأعجب الأسد بقوله وقال: ويحك، من علمك هذا القضاء؟ قال: الذي نزل برأس الذئب!.

وهذه القصة الرمزية تشير إلى أن منطق القوي يلغي جدوى كل شيء، ففي ظله لا يقوم عدل ولا يصلح قضاء ولا يكون لأحد حق وقد أحسن الشاعر الذي لخص هذا المعني في قوله:

ودعوى القوي كدعوى السباع ... من الظفر والناب برهانها.

❖ ترافق ديك وكلب في الطريق فأمسى عليهما الليل، فأقبلا على شجرة فطلع الديك على الشجرة ، ورقد الكلب تحتها وفي السحر صفق الديك وأذن فسمعه ثعلب فجاء فقال: انزل لنصلي جماعة، فقال الديك: نعم ولكن نبه الإمام ، فقال: وأين الإمام؟ فنظر فإذا الكلب نائم كالأسد فولى هاربًا فناداه الديك: تعال لصلاة الجماعة، قال الثعلب: انتقض وضوئي من الجري أجدده وأعود!.

القسم الثالث: من نوادر التراث:

❖ هنالك نقاط ضعف معروفة في الإنسان عامة مثلاً حب المال والجاه، ونقاط ضعف معروفة في أنثى الإنسان مثلاً الغيرة، ونقاط ضعف معروفة في الرجل مثلاً

الرغبة الجنسية. نقاط الضعف هذه الإنسانية أو النسوية أو الرجالية تفتح مجالات تحطيم أصحابها، وهي مداخل التآمر ضدهم ومن نقاط الضعف في الرجال أنهم غالبا ما يبحثون عن أسباب تقوية الباه ذلك لأنهم يريدون منه أكثر مما هو متاح لهم بالطبع.

يروى أنه في ذات يوم قال المنجمون لكسرى: أنت مقتول هذا العام قال كسرى والله لأقتلن قاتلي فأمر بسم فخلطه بدواء وقطعه أقراصا وكتب عليه هذا دواء الجماع مجرب من أكل واحدة جامع أربعين.. الخ ودارت الأيام، وقبل انقضاء العام تآمر شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله، ثم فتش الخزائن فوجد الظرف الذي كتب عليه: هذا دواء الجماع.. الخ فقال في نفسه: هكذا كان أبي يقوى على النساء فأخذ الدواء فمات قيل إن كسرى هو أول ميت أخذ بثأره من حي!!.

❖ قيل إن أول يوم في التاريخ هزم فيه العرب الفرس هو يوم ذي قار، وقد حدث قبل الرسالة المحمدية، والمعهود قبل ذلك أن العرب لا طاقة لهم بالفرس، بل كان للفرس صولات وجولات في بلاد العرب والقصة التالية تدور أحداثها بين الفرس وبين ربيعة من قبائل العرب. كان النعمان من ملوك العرب التابعين للفرس وذات يوم قتل النعمان عدي بن زيد، وحب ابنه الانتقام فسعي حتى استقر لدى كسرى، وهناك قال لكسرى ما معناه: إن العرب وعندهم أجمل النساء لا يوافقون على نكاحهن من الفرس ولا حتى كسرى، ووصف له جمال إحداهن، فوضع كسرى هذا الوصف في خزائنه، وذات يوم أرسل للنعمان يريد أن يخطب ذات الأوصاف المذكورة، فأبى عليه النعمان فجرد كسرى حملة ضد النعمان لتأديبه على هذا الموقف، ووقع القتال بين الطرفين وهو ما سمي (ذي قار)، وهو يوم انتصر فيه العرب على الفرس لأول مرة في التاريخ. أما الوصف العجيب الذي وصف به ابن عدي بن زيد الجارية العربية فأثار نحوها شهوة كسرى فهو قوله عنها: «معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء، وطفاء، كحلاء، دعجاء، حوراء، عيناء، قنواء (ارتفاع على أعلى الأنف مع احديداب في

وسطه) شماء (ارتفاع القصبة)، زجاء (دقيقة الحاجبين في طول)، برجاء (جميلة)، أسيلة الخد، شهية القد، جثلة الشعر (كثيفته)، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء (طويلة العنق)، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة شاشة المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، لطيفة طي البطن (ضامرة البطن)، خميصة الخصر، غرثى الوشاح (دقيقة الخصر)، رداح القبل (ثقيلة الأوراك)، رابية الكفل، لفاء الفخذين، رياء الروادف، ضخمة المكأمتين، عظيمة الركبة، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي (قريبة الخطى)، مكسال الضحى، بضة المتجرد (ناعمة)، سموعًا للسيد، حيية، رزينة، كريمة الخال، تقصر بنسب أبيها دون فصيلتها، أحكمتها الأمور في الأدب فرأيها رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت (رقيقة)، إن أردتها اشتهت وإن تركتها انتهت» هذه الأوصاف هي التي فتنت كسرى بن هرمز فأرسل إلى النعمان (عميله في بلاد العرب) يطلبها، فلما لم يتجاوب معه النعمان وقع القتال بينهما وكان يوم ذي قار!.. والشيء الذي ينبغي أن يلاحظ هو كيف أن بعض الرجال يشتهي في المرأة أشياء هي حد ذاتها متناقضة؟! مثل أن يكون رأيها رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة! أو إن أرادها اشتهت وإن تركها انتهت!.

❖ وأذكر أيضًا قصة الخليفة المعتصم المشهورة؛ ذلك أنه كان في مجلس أنسه في بغداد فبلغه أن فتاة عربية أسرتها قوة رومية في عمورية فضربوها فصاحت: وا معتصماه وكان في يده كأس فنحاه وقال : لبيك وخرج في ٧٠ ألف فارس رغم أنه حين استشار المنجمين نصحوه بأن الوقت غير مناسب للحرب ولكنه لم يطع أمرهم، فوقعت واقعة عمورية التي شهرها أبو تمام[1] بقصيدته التي مطلعها :

---

(١)أبو تمام (١٨٨ هـ/ ٨٠٤م- ٢٣١هـ ٨٤٦م) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، من حوران، من قرية جاسم، في بلاد الشام. ولد في أيام الرشيد، وقيل اسم والده تَدْرَس، وكان نصرانيًا فأسلم=

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

عاد المعتصم منتصرا فقال للساقي: ائتني بكأس، فأتاه بها ففك ختمها وشرب قال: الآن طاب الشراب!

القصة تصور القوة العربية في ذلك الوقت، ومفاهيم النجدة العربية والمروءة إلى آخره من معان، ولكنها أيضا تصور تراخي القيم الإسلامية في الخلافة العباسية وهي في عنفوان قوتها الدهرية

القسم الرابع: نوادر المتنبئين:

إن بين أهل الحجاز وأهل نجد تنافسًا قديمًا، وعندما شاع خبر نبي في الحجاز بدأ بعض أهل نجد يدعي النبوة تمشيًا مع هذا التنافس المعهود وكثر المتنبئون مثل مسيلمة(١) وسجاح(٢) وكانت نبية (حسب ادعائها) أنثى. ووقعت مواجهات بين

=وتسمي أوس، وانتمي لقبيلة طيء. نشأ أبو تمام فقيرًا، فكان يعمل عند حائك ثياب في دمشق، ثم رحل إلي مصر. نظم الشعر في فترة مبكرة من حياته. ثم عاد للشام. ويُعد من أعلام الشعر العربي في العصر العباسي.

(١) مُسَيلمة الكذّاب: (ت١٢ هـ/ ٦٣٣م) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة. قيل اسمه هارون، ومسيلمة لقبه، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة في نَجْد. وتلقّب في الجاهلية بالرّحمان، وعُرِف برحمان اليمامة. ولمّا ظهر الإسلام وفتح النبي مكة، كتَب مسيلمة إلى النبي يدعي أنه رسول الله، وأكثَر مسيلمة من وضْع أسجاع يُضاهي بها القرآن. وتوفي النبي قَبْل القضاء على فِتنَته .فلمّا ولي الخِلافة أبو بكر، انتدَب له خالد بن الوليد على رأس جيش قويّ هاجَم ديار بني حنيفة، فانتصر عليهم وقُتِل مسيلمة في المعركة.

(٢) سجاح بنت الحارث بنت سويد التميمية: كانت نصرانية من بني تغلب في شمال الجزيرة، وهم أخوالها، تنبأت في خلافة أبي بكر، وتبعها بعض رؤساء القبائل سمعت بقوة مسيلمة، فسارت إليه،ثم تزوجته، ورجعت لما سمعت بجردة خالد بن الوليد. تذكر الروايات أن سجاح رجعت إلى الإسلام، ورجع قومها معها، وحسن إسلامها، وتوفيت، ودفنت بالبصرة جنوب العراق أيام معاوية بن أبي سفيان.

أهل مسيلمة وأهل سجاح، فاتفق المتنبئان على لقاء «قمة» لحسم الموقف بينهما. روي أن مسيلمة أعد مكانا لاستقبال سجاح مملوء بالطيب، وأنه حينما التقيا قال لها: ماذا جاءك من وحي؟. قالت ابدأ أنت وأخبرني بما جاءك. قال لها: إليك بعض ما نزل علي: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من صفاق وحشى، من بين ذكر وأنثى، أموات وأحيا، ثم إلى ربهم يكون المنتهي»! وجاءني أيضا: « إن الله خلق النساء أفراجًا، وجعل الرجال لهن أزواجًا،.. الخ » !! قالت له: أشهد أنك نبي، قال لها: هل لك أن أتزوجك فآكل بقومي العرب؟ قالت له : نعم قال لها:

ألا قومي إلى الأمر فقد هيئ لك المضجع

فإن شئت ففي البيت وإن شئت ففي المخدع

وهكذا تم الزواج!!. وقد ذكر ابن جرير الطبري في كتابه «تاريخ الأمم والملوك» أنه عندما عادت إلى قبيلتها سألها قومها: هل أصدقك شيئًا؟ قالت: لا. قالوا: ارجعي إليه، فقبيح بمثلك أن ترجع بغير صداق. فرجعت، فقالت له: أصدقني صداقًا. قال: مَن مؤذنك؟ قالت: شبث بن ربعي الرياحي. قال: عليَّ به. فجاء، فقال: ناد في أصحابك، إن مسيلمة بن حبيب رسول الله ... وقد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمدﷺ: صلاة العشاء الآخرة، وصلاة الفجر!.

القسم الأخير: العقلية الخرافية:

لقد استبد بفكر الإنسان في مراحل قديمة من التاريخ عقلية خرافية، ونتيجة لذلك سادت تصورات في الطب وفي الحياة وفي حقيقة الأشياء ما أنزل الله بها من سلطان بعض مفاهيم تلك العقلية تجريبية تقيم علاجها على أشياء مستمدة من التجربة، ولكن مفاهيم أخرى مصادرها سحرية، وإليكم نماذج من تلك المفاهيم:

فيما يلي وصفات طبية كانت معروفة:

- من اكتحل بمرارة دجاجة سوداء قوى نظره والكمون إذا صر بعد السحق في خرقة، وشم دائما نقي الدماغ.

- دواء يعين على الحمل: يؤخذ زبل الغنم ويذاب بدهن ورد ويطلى به الذكر فإنه يعين على الحبل!!.

- من أخذ قلب ضفدع ووضعه على قلب شخص نائم أخبر بكل ما سأله عنه، وكذلك قلب البومة!

- رأس الخفاش إذا علق على رأس إنسان أو جعل في وسادته لم يقم ما دام معلقا عليه!

- شحم الثعلب إذا سلي على النار وقطر منه في الأذن الثقيلة السمع تبرأ!

- دم الحدأة يضاف لماء ورد، ويضاف إليه مسك ويسقاه من به ضيق نفس ويبرأ!

أصل النيل

قالوا حديثًا منسوبًا للنبي ـ وهو حديث موضوع : «**إن النيل والفرات ينبعان من الجنة!**».

وقيل : إن مجرى النيل من جبال الثلج، وهي بجبل قاف، وإنه يخرق البحر الأخضر بقدرة الله، ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان، ويسير حتى يبلغ بحيرة الزنج ولولا دخوله البحر لا يشرب ماؤه لشدة حلاوته واختلف في زيادته ونقصانه، وقالوا : لا يعلم ذلك إلا الله!!.

وقالوا: ذكر الله مصر في ١٨ موضعًا في كتابه.

وقال بعض الأطباء نيلها من آيات الله ومن شرب منه زادت قوته. وقالوا ماء دجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل ولولا ما بمصر

من الليمون والحموضات لم يعش بها أحد لحلاوة مائها.

وهذه المقتطفات تبين بعض ما كان عليه الناس من مفاهيم في الطب والجغرافيا، يكفي ذكرها لنرى كيف اختلف أمسنا من حاضرنا في هذه المجالات؟! والقافلة تسير...

الحلقة الثامنة : الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم عبر أربعة أقسام:

القسم الأول: مسابقة:

مدينة لها ٧ أبواب، وأي باب يدخل منه الداخل يُؤخذ نصف ما معه، وفي المدينة رجل ضعيف اشتهى تفاحة، وعلى الشخص الذي سيحضر له هذه التفاحة أن يمر بالأبواب السبعة فكم يحمل الشخص معه من التفاح حتى يصل للمريض بالتفاحة الواحدة؟!

الجواب الصحيح: ١٢٨ تفاحة

القسم الثاني : نوادر في أسرتنا:

❖ كانت الوالدة نفيسة علي محمد (زوجة الإمام عبد الرحمن) سيدة خفيفة الظل، وكانت تؤنس الإمام عبد الرحمن بحكايات النوادر ومحاكاة بعض الناس، وقد كانت تجيد المحاكاة بدرجة فائقة وكان أحيانًا يقول لها: حاكيني أنا وكانت تفعل ، وفي مرة حاكته هو والشيخ مهدي أزرق في حوار دار بينهما ، مهدي يقول: يا سيدي هذه علبة الطقم، فيرد الإمام: طقم شنو يا مهدي، هي سن واحدة تقول طقم؟!

❖ كان المستر بريدن (مدير النيل الأزرق) صديقًا للإمام الصديق، وحكى لي

أنه كان معه حين وصول نبأ مولدي فقال له: لولا أنك لا تشرب لاقترحت عليك أن نحتفل بشرب هذه الزجاجة (مشيرا إلى زجاجة بمكتبه) ثم دخلا في حديث عن الخمر فذكر السيد الصديق أن الإسماعيلية يعتقدون أن الخمر إذا مسها قائدهم (الأغاخان) تحولت إلى ماء فقال له المستر بريدن مازحًا: إذن، خذ هذه وبرهن على بركتك!.

❖ أئمة مساجد الجزيرة أبا يوردون أعدادا من الدعوات الصالحات، وأحيانًا يقدمون بيانًا لمدير مكتب الدائرة بالجزيرة أبا للعلم وذات يوم ورد الأئمة أعدادهم وقدموا بيانها للسيد المدير وحين اطلع عليه السيد المدير وسط أوراقه كتب على البيان: للحسابات، للمراجعة والتوريد!.

❖ زار أحد السادة لندن، وكان كلما قابل أفريقيًا أسود حياه وكانوا طبعا لا يردون التحية لأنهم لا يفهمونها، فجاءنا شاكيا: لست أدري لماذا لا يرد الجنوبيون التحية في لندن؟!.. وبهذه المناسبة، فإن الكثيرين يعرفون كل الوجود حسب واقعهم الضيق، مثلا، سافر بعض الصحفيين السودانيين إلى لندن، فقال أحدهم واصفا بعض أنشطتهم هناك: ذهبنا في رحلة «نيلية» على نهر التيمس!!.

❖ كان أحد السادة مسافرًا بالقطار فسأل عن قاطرات (النوم) فقيل له إنها بالدرجة الأولى وعليه أن يدفع مبلغًا أكبر من القاطرات العادية ليحصل على تذكرتها فثمنها ٢٥ جنيهًا وكان مشهورًا بالحد من الصرف لذلك تهول الأمر، وقال: ده نوم واللا سهر!!.

❖ كان السيد محمد الخليفة شريف رجلاً أديبًا، وذات يوم كان مع السيد يعقوب الحلو ومرت بهما سيدة جميلة، فقال: أشهد أن الله خلاق ماهر! فقال له: يا محمد: تغير الشهادة؟! كيف ذلك! فرد قائلاً: لم أغيرها فهذا تعبير مرخص به وهذه

مسائل أنت لا تعلمها!

❖ كان السيد عبد الله الأمير يعقوب يحاول الشعر، وذات يوم لقي السيد يعقوب الحلو ومعه اثنين من إخوته، فقال مادحًا السيد يعقوب وهاجيًا لهما:

هذا السيد الرئيس الجليل   وأنتما ركش

هو يأكل الضأن السمين   وأنتما تأكلا أم تكشو!

❖ أحضر الإمام عبد الرحمن ثورًا بريطانيًا ضخمًا لتحسين النسل، وذات يوم جاء السيد المشرف على الإسطبل لزيارة الإسطبل، فقيل له يا سيد إن الثور مات، فرفع يديه قائلاً: الفاتحة!

❖ ضاقت الأمور ببعض آل المهدي في عهد مايو، وكان بعض الطلبة من الأسرة في الخارج فاضطروا للعمل في المطابخ والمطاعم لكي يحصلوا على مصاريفهم، وروي لي أحدهم - وكان يدرس في جامعة بإنجلترا - أنه ذهب لأحد رجال الأسرة البارزين المقيمين في لندن لبعض الوقت وهو من أقربائه ليستنجد به، فقال له: ما عندي حاجة لكن الفقراء يتقسموا النبقة!، وفتح محفظته وأخرج منها أربعة جنيهات أعطاه اثنين وأخذ اثنين!.

❖ قامت ضجة في الخمسينات حول تبعية السودان للتاج المصري ما بين الاستقلاليين المطالبين بسيادة السودان لأهله، والاتحاديين المطالبين بوحدة وادي النيل وفي هذا الخضم قال السيد عمر الخليفة: إنه الابن الأكبر للخليفة، وقد كان آخر من حكم السودان، وهو متنازل عن حكم والده لفاروق، ولكن هذا الحل لم يكن. حاسمًا، لأنه إذا سلمنا أن المهدية ملك، فالوريث للخليفة هو ابنه الأكبر عثمان شيخ الدين، والابن الأكبر لعثمان شيخ الدين كان السيد خالد وقد كان في معسكر الاستقلاليين، ولم يوافق على التنازل لفاروق!

القسم الثالث: نوادر وملح:

قال شيعي لخارجي: أنا من علي ومن عثمان برئ!

لقي المعتصم رجلاً فقال له: ما صنعتك؟ قال: زينة الأحياء وجهاز الأموات فلحقه ابن أبي داود وقال له: لا تغرك الألفاظ، إنه حائك!.

في حوادث ١٩٥٥م أخلى مدير بحر الغزال داود عبد اللطيف مديريته، فقيل له كيف تهرب؟ قال: هرب لعنه الله خير من مات رحمه الله!.. وهذه تذكر بقصة جند المهلب بن أبي صفرة حين هرب، فقيل له: إن سمع الأمير غضب عليك، فقال: ليغضب علي وأنا حي خير من رضاه علي وأنا ميت!!.

وجد مروان بن محمد صاحب عصارة معلقًا جرسًا على رقبة حمار العصارة، فسأله عن السبب، قال: إذا سكت الجرس أدركت أن الحمار قد وقف فضربته ليستمر في دورانه، قال له: ماذا لو وقف الحمار وحرك رقبته؟ قال: يحدث هذا لو أن للحمار عقل الأمير!

خرج المهدي (الخليفة العباسي) يتصيد راكبًا فرسه، فوقع على خباء إعرابي، فقال له: هل من طعام؟ فأطعمه وسقاه نبيذًا ثم سأل الإعرابي:

- هل تدري من أنا؟
- لا.
- أنا خادم الأمير.

فرحب به الإعرابي، ثم شرب فسأله مرة أخرى:

- أتدري من أنا؟
- لقد قلت إنك خادم الأمير!

- لا، بل أنا قائد جنده.

فرحب به الإعرابي، ثم شرب فسأله:

- أتدري من أنا؟

- لا ، ولكنك قلت إنك قائد جند الأمير!

- بل أنا الأمير نفسه.

وهنا ضاق به الإعرابي فقال:

- كف عن الشراب ولن أزيدك فإن شُربت بعدها لقلت: إنك رسول الله!!.

❖ حضر إعرابي مجلس أناس يتذاكرون قيام الليل، فقيل له: يا أبا أمامة أتقوم الليل؟ قال: نعم، قيل له ما تصنع؟ قال: أبول، وأرجع أنام!.

❖ المقيمون في السعودية من غير سكانها يعانون من مشكلة الإقامة، لا سيما وعدد كبير منهم مقيم بصفة غير رسمية، وتلاحقهم الشرطة بطلب الإقامة فيتهربون. قيل: إنه التقى عدد من المسلمين فقدموا شيخًا باكستانيًا ليصلي بهم، فقال أحدهم مخاطبا المصلين: إقامة (قاصدًا إقامة الصلاة) ولكن الإمام ولي هاربًا ظنًا منه أنه طولب بتقديم الإقامة!.

❖ تنبأ أحدهم في زمن المأمون فقال: أنا أحمد النبي فقدم لمحاكمة وسئل، فقال: نعم، أنا أحمد النبي ولعن الله من ذمه!! فتركوه.

❖ تنبأت امرأة في زمن المتوكل فقيل لها ألا تؤمنين برسالة محمد؟ قالت: بلى قيل لها: إنه قال لا نبي بعدي، قالت بلى ولكنه لم يقل لا نبية بعدي!.

القسم الرابع: نوادر التراث:

❖ رأى الرشيد في جانب إيوانه حزمة خيزران، فقال للفضل بن الربيع

(حاجبه): ما تلك يا فضل؟ قال الفضل متأدبًا (لأن أم الرشيد جارية اسمها الخيزران): إنها حزمة من عروق الرماح!.

❖ تزوج الحجاج هند بنت المهلب، وأراد فراقها قبل الدخول بها لما بلغه من بغضها له وإضمارها السوء، فأرسل لها ابن القرية ومعه ١٠ ألف درهم وأمره أن يطلق عنه، وقال له: أوجز. فلما دخل عليها، قال لها: الأمير يقرئك السلام ويقول لك كنت وبنت وهذه نفقة عدتك. فقالت: بلغه السلام وقل له: كنا فما فرحنا وبنا فما ندمنا، وهذه الـ١٠ آلاف لك ببشارتك!. فبلغ قولها عبد الملك بن مروان، فتزوجها!.

❖ غنى علويه لدى المأمون هذا البيت:

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

فرده عليه ٧ مرات غناها علويه مكررًا البيت، ثم قال المأمون: خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب!.

❖ قال معاوية وهو على المنبر: أيها الناس إن الله فضلنا نحن قريش بثلاث: قال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [(١)] ونحن هم، وقال: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [(٢)]، ونحن قومه وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ [(٣)] ونحن قريش. فقال رجل من الأنصار: على رسلك يا معاوية فإنه تعالى قال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ [(٤)] وأنتم قومه، وقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [(٥)] وأنتم من صددتم،

---

(١)سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢)سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٣)سورة قريش: الآية ١.

(٤)سورة الانعام: الآية ٦٦.

(٥)سورة الزخرف الآية ٥٧.

وقـــال : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾[1] وأنـــتم المقصودون!.. هذه ثلاثة بثلاثة، ولو زدت لزدناك، فأفحمه.

❖ وهذه الشواهد تدل على أن العالم الفقيه لا يستشهد بالقرآن بصورة مبتورة، بل ينبغي أن يدرك أن للآيات مناسباتها وأطرها التي تفهم ضمنها.

❖ إن للإسلام مقاصد هي أساس تعاليمه، وينبغي أن تقاس المعاني على تلك المقاصد، ومن مقاصد الشريعة أن الناس من أصل واحد، وأن الذي يميزهم هو التقوى والعمل الصالح: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

❖ دخل شريك بن الأعور[3] على معاوية وهو يختال في مشيته فداعبه معاوية قائلا: « أنت شريك وما لك من شريك، وأبوك أعور والصحيح خير من الأعور، وأنت دميم والوسيم خير من الدميم، فلم سودك قومك عليهم»؟ فقال شريك: « أنت معاوية وهي الكلبة عوت فاستعوت، وأبوك حرب والسلام خير، وجدك صخر والسهل أفضل، وجدك أُمية وهو تصغير أَمة فلم صرت أمير المؤمنين؟» فاغتاظ معاوية وسكت!!

---

(١)سورة الفرقان الآية ٣٠.

(٢)سورة الحجرات الآية ١٣.

(٣)شريك بن الأعور -الحارثي- وهو الحرث بن عبد نعوت بن خلعة بن سلمة بن وهي، كان من أعيان الكوفة، شارك في ردع الخوارج، والي معاوية على كرمان ثم والي فارس.

من كاركاتير هاشم كاروري- منشورة بموقع سودانت



الحلقة التاسعة : الخميس ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم حديثًا من أربعة أجزاء:

الجزء الأول: المسابقة: وهي من ٣ بنود

البند الأول: هذا البيت، قال العربي:

قضينا بها يومًا ويومًا وثالثًا ويومًا له يوم الترحل خامس.

كم قضوا من الأيام؟

الجواب: ٨ أيام!

البند الثاني: هات آية موزونة بوزن الشعر .

الجواب: قال تعالى : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

البند الثالث: قل نعم بخمس لغات.

جاوب الحاضرون كالتالي: **العربية (نعم)، والفرنسية (وِي)، والإنجليزية (يس)، والإيطالية (سِي)، واليابانية (هاي).**

الجزء الثاني: ضحكات:

❖ في أيام المماليك كان الحاكم اسمه بدر خالويه، فتقدم المقرئ ليقرأ آية من القرآن في اجتماع، فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم، ولقد نصركم الله ببدر. صدق الله العظيم» فأعجب الحاكم وجازى المقرئ!

❖ أشيع أن قراقوش[1] كان واليًا مصريًا جاهلًا وقاسيًا، وذات يوم أنشده شاعر قصيدة مدح فاستحسنها، ولما انتهى قال قراقوش: صدق الله العظيم، وكافأ

(١)أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين (ت ٥٩٧هـ) سبقت ترجمته.

الشاعر!!. (يقال إن كل سيرة قراقوش المتداولة غير صحيحة، ويشاع الآن أن الأدباء قد ارتكبوا عددًا من الجرائم في حق التاريخ، فقد أساء المتنبي إلى كافور فألبسه وجهًا غير وجهه الحقيقي، وأساء ابن مماتي إلى قراقوش فألبسه وجهًا غير وجهه الحقيقي؛ لأن قراقوش كان وكيل صلاح الدين الأيوبي بمصر وكان حسن المسلك والسيرة. وكان ابن مماتي كاتبًا بارعًا وأديبًا طويل اللسان، موظفًا في ديوان صلاح الدين وكان الرؤساء يخشونه ويتحامونه ويتملقونه بالعطاء ولكن قراقوش لم يعبأ به ولم يخش شره، فألف ابن مماتي رسالة صغيرة سماها «الفافوش في أحكام قراقوش» ووضع هذه الحكايات ونسبها إليه وصدقها الناس . ونسوا التاريخ).

❖ أحد أعيان السودان واسمه السيد بدوي استشهد بآية قرآنية قائلا: «كفى الله المؤمنين شر القتال» فصححه أحدهم وقال كلمة شر ليست من القرآن، فقال بدوي: يعني غلطنا في البخاري؟!.

❖ أحد أعضاء الجمعية التشريعية وكان أصل عمله قصابًا طلب من قارئ للقرآن أن يقرأ قائلًا: يا مولانا استنضف لنا آية!!.

❖ الشيخ الطيب السراج[1] كان يسخر من بعض علماء الفقه ويسميهم علماء الحيض والنفاس، وكان يقول: المحدث مخلط، والفقيه ثقيل، والشاعر أهوج والعالم اللغوي. وقد كان عدد من الفقهاء هؤلاء يتصدون له ويطعنون في علمه وكان يبادلهم النقد اللاذع، قال عنهم: إنهم يطوعون النصوص للدفاع عن

(١)الطيب السراج - الشيخ (١٨٩٤م- ١٩٦٣م) الطيب (الملقب بزكي) بن عبد المجيد (الشهير برفعت) بن محمد السراج بن مصطفى بن حسن السراج ، ينتسب إلى محمد السراج من أشراف مكة وكان يتعهد بإنارة الحرم المكي أثناء الحج بالأسرجة. تخرج من مدرسة أم درمان الأميرية الابتدائية ١٩١٠، وواصل تثقيفه الذاتي، كان يعد موسوعة في اللغة العربية والأدب والشعر . وكان يعيش حياة العرب الأقدمين في القرن العشرين. توفي مقتولًا.

سلوكهم، مثلًا: إذا سألهم سائل إحسانًا بخلوا وقالوا: «إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1]. وإذا دعوا لنجدة من غارة أو حرامي أو نازلة قالوا: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2]. وإذا عوتبوا على الحرص على الملذات قالوا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[3]. وإذا عوتبوا على قبول الرشوة لا سيما في مجال القضاء قالوا: قال النبي ﷺ: «تهادوا تحابوا!».. هذه مساجلات بين العلماء نوردها لقيمتها الأدبية لا لصحة محتواها، فالفقهاء ككل الناس متفاوتون في عطائهم.

❖ وبهذه المناسبة قال أحدهم لأحد الأنصار حاثًا على المحافظة على النفس: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[4]فقال الأنصاري: يا مولانا، كتاب الله الحلو ده كله ما لقيت فيه إلا آية «اللبدين»؟

❖ قيل إن السيدة أم سلمة أم المؤمنين قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾[5]« فسألت النبي ﷺ: أين ذلك منا؟ فقال لها: لا تدخل الجنة عجوز، فغم عليها حتى أدركها النبي ﷺ بقوله: مهما كان سن المتوفاة فإنها تبعث شابة.

نكات قصيرة

❖ واحد بلع سفنجة نشف ريقه.

---

(١)سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٢)سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٣)سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٤)أم سلمة: (أم المؤمنين) (٢٨ ق. هـ/ ٥٩٦م - ٦٢هـ/ ٦٨١م) سبق تعريفها.

(٥) سورة الواقعة: الآيات ٣٥-٣٧.

❖ واحد خلع جلابيته نطت.

❖ واحد شد حيله انقطع.

❖ واحد ضغط على نفسه انكسرت.

❖ واحد مدير عام غرق.

❖ واحد مات، ولدى دفنه صارت زوجته تضحك، فسألوها لماذا؟ قالت هذه أول مرة أعرف هو رايح وين.

❖ فيه واحد يسمونه منشّف ريق البنات ليه؟ من كثر ما يتفلن عليه.

❖ بخيل دخل الحمام وما طلع ليه؟ لأن مكتوب على باب الحمام .... إدفع. واحد عندو سبعة أولاد سمى نفسو سفن أب.

❖ مضيفة في الطائرة سألت مسافر عاوز عشاء كامل؟ قال لها: ليه هو كامل ما عاوز يتعشى؟ محجبة لابسة قصير.. قالولها: ليه؟ قالت: حتى أرضي الله وعباده!.

الجزء الثالث: نوادر المهنيين:

لكل مهنة عصبية، وتقوم عند أصحابها عنجهية مهنية وغرور بالمهنة، ويتفاوت الأفراد في التعبير عن هذا الغرور بالمهنة. وأذكر أننا عندما كنا نتباحث مع النقابات المختلفة - إبان الديمقراطية الثالثة- يضيع جزء من الوقت في أن أصحاب المهنة المعينة يحاولون أن يثبتوا لنا أن مهنتهم هي الأهم، وينبغي أن تكون امتيازاتهم مرآة لتلك المكانة، وكنت أعاتب كثيرًا من الإخوة قائلًا: أنتم أيها الإخوة تحاسبوننا بمقاييس الاشتراكية والوطنية المتطرفة في المجال السياسي، فإذا قدمتم مطالبكم فإنكم تقدمونها بمقاييس الرأسمالية والمصلحة الذاتية، وهذا تناقض لا يستقيم. وكثير منهم أدركوا هذا التناقض بعد فوات الأوان!

وفيما يلي بعض نوادر المهنيين:

نوادر المحامين:

إن للمحاماة دورًا قانونيًا حقيقيًا، ذلك أنهم بمعارفهم القانونية يطورون القانون ويساهمون في تفسيره خدمة للعدالة. إن النظرة الصحيحة للمحاماة هي أنها القضاء الواقف الذي يتفاعل مع القضاء الجالس لتحقيق العدالة. ولكن في واقع الحال فإن المحاماة ككل المهن أدخلت في أساليبها عوامل احتيال لصالح موكليهم وتعطيل لإصدار الحكم إذا كان في غير صالحهم، وصار بعض المحامين يعلم أن موكله مجرم فيحميه مقابل أجر يتقاضاه، وأحيانا ينتفع المحامي متلاعبًا بمصالح الخصمين، ويأكل من هذا ويأكل من خصمه، وأحيانًا يأكل المحامون رسوم هذه القضية وتلك دون بذل جهد لصالح صاحبها حتى أن بعضهم سمى بعض المحامين في السودان آكلي «رسوم» البشر!!. وفي مصر عرف المحامون كثيرا من أساليب الفهلوة حتى أن شخصية «الأفوكاتو» التي مثلها «عادل إمام» صورت الحيل والفهلوة التي يمارسها المحامون.

وكان اقتصاد لبنان قبل الحرب الأهلية مدهشًا لعلماء الاقتصاد؛ لأنه كان ينمو وينتعش دون مقومات حقيقية، إنه اقتصاد قائم على التوسع في الخدمات وفي هذا المناخ برع المحامون في إيجاد وسائل للكسب والمنافع. سعد رستم شاعر لبناني تأمل صورة محام لبناني واضع يده في جيبه، فقال:

أخذ المحامي رسمه وفي جيبه

يده وذلك ليس من مبداه

ولكان ذاك الرسم أصدق منظرا

لو صورت يده بجيب سواه

القضاة:

القضاة هم طبعًا ملاذ العدالة، ولما كان القاضي مستقلًا في إصدار أحكامه فإن ما يقع على عاتقه من مسؤولية كبير جدًا. ووقوع القاضي في الخطأ أيضًا كثير الاحتمال لأن المنافع والأهوال والرغبات الشخصية تطيح بموضوعيته ولذلك قيل إن النبي ﷺ قال: « **الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ**»(١)، وهذا معناه أن ٦٦٪ من القضاة يقعون تحت طائلة هذا الوعيد. ولكن مهما كان الخطر في آخرة القضاة فإنهم في دنيا الناس يجدون توقيرًا كبيرًا، وتجاوبًا مع شعور الناس نحوهم فإن كثيرًا من القضاة يلزمون أنفسهم بأقصى درجة من الانضباط. قيل إن القاضي حربويه كان مثالا للقاضي العادل، لذلك كان مهيبًا، وافر الحرمة، لم يره أحد يأكل، ولا يشرب، ولا يلبس، ولا يغسل يده، ولا يحك جسمه، ولا يبصق، ولا يمسح وجهه، ولا يتحدث مع أحد، ولا يصلح رداءه، ولا يبتسم!! وتمشيًا مع هذا النهج قال أهل النظر: إن اللائق بالقاضي إذا حياه أحد بالسلام عليكم ألا يزيد على قول وعليكم!!.

ويروى أن عبد الله بن سوار قاضي البصرة كان وقورًا رزينًا، وبينما هو جالس مع أصحابه سقطت على أنفه ذبابة أطالت المكوث ثم تحولت إلى طرف عينه وأراد أن يصبر عليها في عينه كما صبر على مكثها في أنفه بدون أن يحرك أرنبة أنفه أو يغضّن وجهه أو يذب بإصبعه، فلما طال ذلك وشغله؛ أطبق جفنه الأعلى ولم ينفع فوالى إطباقه وفتح جفنه فإذا بالذبابة قد توغلت بعينه أكثر، ثم حاول الإكثار من إطباق عينيه وفتحها، ولم يجد بدًّا من أن يذب عينيه بيده ففعل وعيون القوم ترمقه وكأنهم لا يرونه، ثم ألجأته الذبابة إلى مسح وجهه بطرف كمه وإلى معاودة ذلك، وكل ذلك

(١) رواه أبو داود.

أمام الحضور، فقال لهم: « أشهد أن الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب! واستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان مستورا! وقد علمت أني عند الناس من أزمت الناس (أي أكثرهم وقارًا) فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه». ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[1].

الأطباء:

إن اتجاه بعض الأطباء نحو الغرور المهني مفهوم، فالطبيب يلقى الآخرين وهم في حالة الضعف والمرض، ولا يستبعد أن يكسب نظرة علوية كما لا يستبعد أن يتطلع إليه المريض، وهذا كله يورث حالة قد تحدث غرورًا. ثم إن الطبيب يتعامل مع الجسد الإنساني كأداة أو آلة، وهذا يزيد من إحساسه بالتفوق لا سيما الجَرَّاح الذي يشرط ويقطع ويخيط بدن الإنسان فعل الحائك بالقماش؛ لذلك كان الأطباء عامة أنزع للنظرة العلوية، وكان الجراحون أشد تعاليًا. أثارت نظرة الأطباء إلى أنفسهم غيرة آخرين فضيقوا عليهم من أساليب النقد والتجريح.

قال أحدهم يهجو طبيبًا مدعيًا اسمه عيسى:

عيسى الطبيب ترفق ... فأنت طوفان نوح

يأبى علاجك إلا ... فراق جسم لروح

شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيح

فذاك محي موات ... وذا مميت الصحيح

هنالك أطباء اشتهروا بتعجيل النفوس إلى أجلها، حتى أن بعض أجزاء المقابر

(١) سورة الحج: الآية ٧٣.

سميت بأسماء أطباء معروفين لا سيما في مقابر الخرطوم. وقديما قال الشاعر يصف طبيب بغداد:

أقول لنعمـــــان وقد ساق طبــه

نفوســا نفيسات إلى باطـن الأرض

أبا منـــــذر أفنيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ويقال إنه لولا العادات السلوكية السيئة لما احتاج الناس لأطباء ويحكى أن شخصًا عمره خمسين سنة ذهب لطبيب ليعطيه دواء ليعيش ١٠٠ سنة، فسأله الطبيب عن عاداته لينصحه: هل تدخن؟ قال: لا هل تشرب؟ قال: لا هل تطلب النساء؟ قال: لا فقال له الطبيب : إذن لماذا تريد أن تعيش ٥٠ سنة أخرى؟

(من كاركاتير عمر دفع الله- منشورة بموقع سودان- فور- أول)



الجزء الرابع: ما وراء الحسيات

الإنسان جزء من الطبيعة المشاهدة ومفارق لها. إن للإنسان وجودًا كيميائيًا فسبعون بالمائة من جسمه ماء، ولا يعيش إذا انعدم الهواء (الأوكسجين)، وفي تكوينه البدني مواد أخرى وأملاح.

إن في الإنسان خضوعًا لقوانين الفيزياء فهيكله العظمي مركب هندسي، ويتحكم فيه قانون الجاذبية، وفي إبصاره تتحكم قوانين الضوء، وهلم جرًا.

والإنسان كسائر الحيوان خاضع لقوانين البيولوجيا في مجال الغدد الصماء، والغرائز، والحرص على الحياة، والتكاثر، وهلم جرًا.

ولكن الجهاز العصبي في الإنسان يفوق في تطوره الجهاز العصبي في الحيوان؛ تفوق كثرت درجاته حتى صار مختلفًا في نوعه. المحطة العليا للجهاز العصبي الإنساني في مجال المشاعر هو النفس. وفي مجال الأفكار هو العقل.

النشاط النفسي في رؤية المدرسة السلوكية Behaviouralism محكوم بالقوانين المادية، ولكن للنفس أنشطة مثل الاستشعار فوق الحسي (Extra Sensory Pereception ESP) لا تخضع للقوانين المادية.

اكتشف علم النفس الحديث ما سماه الباطن. هذا الباطن في نظر فرويد ومدرسته هو مجرد مرآة لأنشطة النفس الظاهرة، بحيث ما نراه في أحلامنا يعكس رغباتنا، ومخاوفنا، والخواطر التي مرت علينا في الصحو. ولكن تلميذه الشهير جونق يرى أن الباطن يتجاوز هذه الأمور ويعرف مما سماه النفس الإنسانية الجمعية. هذا المصدر يجعل النفس الإنسانية تتجاوز القوانين المادية ويمكّنها أن تأتي بمعارف فوق الحس.

كذلك هنالك اختلاف حول العقل وإدراكه، هل إدراك العقل قاصر على ما تمده

به الحواس من بصر وسمع وشم ولمس وذوق؟. أم أن إدراكه يفوق ذلك؟. من العلماء من يجيب بأن إدراك العقل الإنساني يقف عند حد مشاهدات الحواس. ومنهم من يرى أن ما وراء العقل الإنساني وجودًا آخر: وجود روحي، ويعزز رأيه هذا بدراسة دقيقة لخلايا الجهاز العصبي. فهنالك حسب بحوث هؤلاء ما يدل على أن للإنسان ملكات تكسبه معارف عن طريق استشعار غير حسي مثل قراءة الأفكار، والحدس، وقراءة ما هو آت وغيرها من الممارسات التي تعج بها التجارب الإنسانية[1]. وهنالك وسط الباحثين في فسيولوجيا الأعصاب من استدل بتجاربه على وجود عامل غير حسي في الخلايا العصبية البشرية[2].

هذه الاختلافات بين علماء النفس وعلماء الأعصاب تماثل اختلافات بين الفلاسفة. وأهم فلاسفة العصر الحديث عمانويل كانط يقول في كتابه «نقد العقل الخالص» إن ما نستطيع إدراكه هو ما تنقله إلينا الحواس. ولكن في كتابه «نقد العقل العملي»: يقول إن في حياتنا في الواقع وجودًا أوسع من ذلك يحيط بمجالات الأخلاق والجمال والروح وخلودها.

وفي تراث الإنسانية هنالك رؤى منامية معينة لعبت دورًا هامًا جدًّا في مصائر أصحابها وفي تاريخ الإنسانية الديني، والفكري ، والسياسي، والاجتماعي، والأدبي، والعلمي. في كتابه بعنوان «فهم الأحلام» دوّن العالم ريموند دي بيكر الرؤى التاريخية الهامة، فذكر رؤيا طارق بن زياد في المنام فتحه للأندلس. وذكر رؤيا نابليون قبل معركة واترلو وأنه رأى قطًا أسودًا يمر بين الجيشين ورأى جيشه تمزق إربًا إربًا. وذكر كيف أن الرياضي والفيلسوف الفرنسي كوندورست كان ينفق وقتًا

(١) انظر كتاب: آفاق العقل لراين .

(٢) انظر كتاب: العقل وفسيولوجيا الأعصاب لاكار.

طويلًا في حل المسائل الصعبة ويصل إلى طريق مسدود ثم ينام فيرى حلها في المنام. وروى قصة الكيميائي الألماني كيكول الذي اكتشف تركيب البنزين وأحدث ثورة في الكيمياء العضوية وقال: وصلت تجاربي الى طريق مسدود ولكني رأيت في المنام ما فتح لي الطريق، وروى قصة الفيلسوف ديكارت الذي صارت مدرسته أساسا للتفكير العقلاني في الغرب وفحواها أن ديكارت رأى ثلاث رؤى متتالية في نوفمبر١٦١٩م وتلقى أثناءها جوهر مبادئ مدرسته العقلانية[1].

هذه الرؤى تعيدنا إلى عقائد الدين بأن الإنسان روح وجسد، وأن للروح أثرها في حياة الإنسان، وأنها خالدة وإن فني الجسد بعد الموت. في الفكر الفلسفي والفكر الديني مدارس عديدة لتفسير العلاقة بين الروح والجسد والنفس والعقل وقد تناولتها في مقام آخر بالدراسة التفصيلية لبيان تطابق حقائق الوحي القطعية في هذه المجالات مع حقائق المعارف الإنسانية الصحيحة: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2]. القراءة الصحيحة للحالة الإنسانية تؤكد أن له وجودًا ماديًا وأن له وجودًا غير مادي.

والقراءة المبصرة لضرورات الإنسان التي لا يستقيم أمره إلا إذا أشبعت إشباعًا موزونًا تؤكد أنها عشر ضرورات ذكرناها في المقدمة وهي: المادية، والروحية، والخلقية، والعاطفية، والمعرفية، والاجتماعية، والفنية، والرياضية، والبيئية، والترويحية.

الحدث، والاستبصار، والإلهام، وقراءة الأفكار، والرؤية الصادقة، وغيرها من الأنشطة فوق الحسية تجارب تقع في مجال الباراسايكولوجي (PARAPSYCHOLOGY) وقد زخرت بالإشارة إليه كل آداب وثقافات البشر ويمثله قول الشاعر:

(١) Raymond De Becker, The Understanding of Dreams, George Allen and Unwin Ltd, ١٩٦٨

(٢) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠ و٢١.

الألمعي الذي يريك الرأي كأن قد رأي وقد سمع!

ما وراء الحسيات في الدين:

وفي الدين فإن الجانب الروحي في الكون قائم علي عالم الغيب وفي عالم الشهادة، والبشر كلهم قابلون لتجارب روحية كالمبشرات والرؤيا الصادقة وأحوال المحدثين والملهمين.. إنها أحوال وتجارب عرفها ويعرفها الناس في الحياه وهي العملة التي من فئاتها الكبري تكون الرسائل والنبوءات، فمن عرف فئات العملة الصغيرة لم ينكر فئاتها الكبيرة، لذلك قال تعالي: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] لذلك قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في «المنة مد مر الضلال» بعد أن تحدث عن الرياضات الروحية وما فيها من تجارب :«فمن لم يررق منه شيء بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم». المؤمنون إزاء حقبة الوحي نوعان: نوع مدرك للعملة الروحية: مبشرات، وإلهامات، ورؤيا صادقة. هؤلاء عرفوا القرش فيمكنهم أن يتصوروا الجنيه. ونوع فاته التعامل بالعملة الروحية. هؤلاء يقفون مع الرسالة المحمدية موقف المصدق. ولكن حتى هؤلاء فبإمكانهم شحذ أنفسهم روحيا لإدراك ما في العشق:

قلوب العاشقين لها عيون تري ما لا يراه الناظرونا
وأجنحة تطير بغير خفق إلى ملكوت رب العالمينا

فالإنسان مستودع طاقة روحية غرسها فيه ربه: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ ﴾[2]. طاقة روحية تنير

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) سورة السجدة: الآية (٩).

للناس طريقهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[1]. وهي التي تضيء جوارح الإنسان، وبالصفاء الروحي يضاعف الإنسان قدراته ويتجاوز مادياته. قال تعالى في حديث قدسي رواه البخاري: «**مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»..

وقدرات الإنسان الروحية هذه مثبتة قال عنها النبي ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».

الرؤية الصادقة

في تاريخ الأديان الإبراهيمية رؤى ذات دور هام مثل رؤيا إبراهيم عليه السلام وامتثاله وابنه إسماعيل لها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. والكرامة الكبيرة ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[3].
ورؤيا يوسف حفيده حول سجود الشمس والقمر والكواكب له.

أما في الإسلام فبالإضافة لرؤى الأنبياء المذكورة في قصص القرآن فإن القرآن سجل رؤى النبي محمد ﷺ في عدد من آياته: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[4].

(١) سورة الحديد: الآية (٢٨).
(٢) سورة الصافات: الآية ١٠٢.
(٣) سورة الصافات: الآيات ١٠٣ - ١٠٧.
(٤) سورة الفتح: ٢٧.

روى الإمام البخاري عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي (ظني) إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي يثرب**[1]».

وروى ابن سعد أن عبد الله بن زيد رأى في المنام من نصحه بألا يتخذ المسلمون طبلًا أو جرسًا أو بوقًا للتنبيه للصلاة ولقنه في المنام صيغة الآذان فذكرها للنبي ﷺ قال: «**الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعون جزء من الندوة**»[2].

وروي الإمام البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**». **قَالُوا** : «**وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟**» **قَالَ** : «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**» [3].

وروى ابن ماجة عن رسول الله ﷺ قوله: (إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ : مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ ، وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ ، فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ) [4].

وقد أورد الإمام عبد الرحمن في مذكراته بشأن رؤيا رآها في أواخر عهد المهدية وكان لها أثر بليغ في إلهامه بأن له دورًا رساليًا في إحياء المهدية بعد سحقها: « رأيت أن الترك قد دخلوا جامع المهدي من الناحية الغربية وأن صفوف الأنصار منكسرة نحو الناحية الشرقية من الجامع، ورأيت مولًا لنصر الدين أخي يسمى جابرًا قد سقطت منه الراية الزرقاء، فقلت له في المنام: يا جابر، ارفع الراية » . لم أحدّث أحدًا

---

(١) صحيح البخاري: ج٤ص٢٤٧.

(٢) نفسه: ج٩ص٤٠.

(٣) رواه البخاري ومن الرؤى المؤثرة في التاريخ الإسلامي أيضًا : الرؤيا التي رآها الإمام الأشعري وكون من بعدها مذهبه الوسيط بين المعتزلة والسلفية . راجع محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامي ص ١٦٤.

(٤) من حديث عوف بن مالك.

بهذه الرؤيا ولكن خليفة المهدي سألني وقال لي: هل رأيت رؤيا؟ فقصصت عليه الرؤيا فقال لي: من الذي قال: يا جابر، ارفع الراية، أنت أم خليفة المهدي؟ فقلت أنا . فكرر السؤال ثلاث مرات فأجبته عليه، فقال لي: اكتم هذه الرؤيا ولا تخبر أحدًا»[1]. المدهش حقًّا هو أنه بينما قتل أو أسر كل شخص صاحب مكانة في المهدية كما قتل أو أسر أبناء المهدي والخلفاء ترك السيد عبد الرحمن مع العائلات بالصورة التي قصها هو في مذكراته[2]. ثم كان هو من رفع الراية من جديد.

الملهمون والمحدّثون

ومن القدرات الخارقة أيضا الإلهام. أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**[3]» . قال النووي في شرح صحيح مسلم: اختلف تفسير العلماء للمراد بـ (محدثون) فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: مصيبون إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوه. وقيل: تكلمهم الملائكة، وجاء في رواية: مكلمون. وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم وفيه إثبات كرامات الأولياء. وقال الحافظ محب الدين الطبري في (الرياض): ومعنى محدثون والله أعلم أي يلهمون الصواب، ويجوز أن يحمل على ظاهره وتحدثهم الملائكة لا بوحي وإنما بما يطلق عليه اسم حديث، وتلك فضيلة عظيمة. وقال القرطبي في تفسيره: قال ابن عطية: وجاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث. ذكره مسلمة بن القاسم بن عبد الله، قال: فوجدنا المحدثين معتصمين

(١) جهاد في سبيل الاستقلال، أشرف على إعداده الصادق المهدي ، منشورات الأمة ص ٦ .

(٢) نفسه : ص ١١ وما بعدها .

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم، والترمذي، وأحمد، والنسائي، والحاكم من حديث عائشة.

بالنبوة - على قراءة ابن عباس - لأنهم تكلموا بأمور عالية من أنباء الغيب خطرات، ونطقوا بالحكمة الباطنة، فأصابوا فيما تكلموا، وعصموا فيما نطقوا كعمر بن الخطاب في قصة سارية وما تكلم به من البراهين العالية.

أما قصة سارية فبيانها أنه – أي سارية وهو سارية بن زنيم بن عبد الله - كان قد أمّره عمر ﷺ على جيش وسيره إلى فارس سنة ٢٣هـ، فوقع في خاطر عمر ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل فقال في أثناء خطبته: يا سارية! الجبل الجبل. ورفع صوته فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم.

وهذه القصة شبيهة بما جرى مع خليفة المهدي عليهما السلام، حيث كان جيش الأنصار في غندر في حالة هزيمة وحُدّث بذلك فركب حصانه ونادى بالأنصار في أم درمان ليخرجوا للعرضة ودخل في عرض النهر وضربه بالسيف، فسمع المحاربون بغندر صوت الأمبايات وتغيرت الهزيمة لنصر، وقد قال في ذلك المادح ود الماحي:

في بلد الغندر شاع أصياته

من أم درمان سمعوا أمباياته

ألوف الميل

قال القرطبي: « محدثون » بفتح الدال اسم مفعول جمع محدث بالفتح أي ملهم أو صادق الظن، وهو من ألقي في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملأ الأعلى، أو من يجري الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلمه الملائكة بلا نبوة أو من إذا رأى رأيا أو ظن ظنًا أصاب كأنه حدث به، وألقي في روعه من عالم الملكوت

فيظهر على نحو ما وقع له، وهذه كرامة يكرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء.

يقول المتنبي:

ذكي تظنيه طليعة رأيه   يريك في يومه ما ترى غدا

قال ابن حجر: وقد كثر هؤلاء المحدثون بعد العصر الأول وحكمته زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيها ومضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء، فلما فات هذه الأمة المحمدية كثرة الأنبياء لكون نبيهم خاتم الأنبياء عوضوا تكثير الملهمين.

قالت السيدة رابعة العدوية:

وأما الذي أنت أهل لـــــه   فكشفك لي الحجب حتى أراكا

ومن باب الاستشعار فوق الحسي هذه القصة:

❖ اشترى الخليفة الهادي[1] جارية اسمها غادر بعشرة ألف درهم، وأحبها حبًا شديدًا وبينما هو بين القيان والندامى، فكر ساعة وامتعض، وقطع الشراب، فقيل له ماذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: وقع في خاطري أني أموت، وأن أخي هارون[2] يلي الخلافة ويتزوج بغادر، ثم قال مخاطبًا حاجبه: اذهب الآن وآتني برأس هارون، فراجعه الحاضرون، فرجع على أن يأتي هارون ويأخذ منه موثقًا ألا يتزوج غادرا. وجاء هارون وقال: لبيك يا أمير المؤمنين، فحكى له الهادي ما جال في خاطره،

---

(١) الهادي (١٤٦-١٧٠هـ): هو موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور رابع خلفاء بني العباس، تولى الخلافة بعد أبيه المهدي وكانت مدة حكمه سنة وبضعة أشهر، كان غيورًا شديد البطش وكما عرف باللهو في مجالسه، وتعددت الروايات بشأن وفاته وأحدها أن أمه سممته عندما عزم قتل أخيه الرشيد ليعهد بالخلافة إلى ابنه جعفر.

(٢) هارون الرشيد (١٤٩هـ/ ٧٦٦م- ١٩٣هـ ٨٠٩م سبق تعريفه.

فالتزم هارون، والتزمت غادر كلاهما باليمين المغلظ ألا يحدث ما خطر ببال الهادي.

ومات الهادي، وخلفه هارون، ثم طلب هارون الجارية فقالت له: وماذا عن اليمين؟ قال لها: كفرت عني وعنك ثم تزوجها، وصارت عنده أحظى مما كانت عند الهادي، وذات يوم وهي نائمة في حجره انتبهت مذعورة، فقال لها: ماذا هناك؟ قالت: «رأيت الهادي أخاك في منامي فأنشدني أبياتا حفرت في قلبي حفرا، وهي :

أخلفت وعدي بعدما	جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في	أيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي	صدق الذي سماك غادر
لا ينهك الإلف الجديد	ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح	وصرت حيث غدوت صائر

قال هذه الأبيات ثم ولى عني، وقد حفرت في قلبي حفرا!!.

قال هارون : أضغاث أحلام، قالت: «كلا والله يا أمير المؤمنين، إنها نعي نفسي لنفسي» ثم شهقت وأسلمت الروح، فأصاب هارون الرشيد حزنٌ لا آخر له.

الجزء الخامس :نوادر وملح

❖ عبد السلام ديك الجن[1] شاعر لقب « ديك الجن» لأنه كان يكثر من الخروج للبساتين للشراب والنزهة، وديك الجن دويبة تكثر في البساتين (أبو الجندب). وقيل إنه لقب بذلك لأن عينيه كانتا خضراوتين. وكان هذا الشاعر من أساتذة أبي تمام. وكان له جارية وغلام أحبهما حبًّا شديدًا، وكان يجلس بينهما

(١) ديك الجن (١٦١ هـ/ ٧٧٨م- ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) عبدالسلام بن رغبان بن حبيب بن عبدالله، من شعراء العصر العباسي. عُرف بمجونه، أصله من سليمة قرب حماة. توفي بحمص.

ويتناول الخمر منه ومنها ويقول الشعر فيهما، وذات يوم خطر بباله أنه سيموت فيكونان لإنسان غيره، فأكلته الغيرة ولم يجد سبيلًا إلا أن قتلهما وأحرقهما، وصنع من رمادهما كأسين ليشرب الخمر منهما!!.

❖ في مجلس البيعة ليزيد كان المتكلمون يؤيدون البيعة ليزيد نفاقًا وخوفًا، وكان الأحنف بن قيس صامتًا، فخاطبه معاوية: مالك يا أبا بحر لا تقول شيئا؟ قال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت!!

❖ سبق ذكرنا لوالي مصر في ظل صلاح الدين[1] (قراقوش) وكيف حيكت حوله قصص مشكوك في صحتها، وقد روي من بين تلك القصص أنه أعطى قاضي البلاد مهمة تحضير حسابات المحاصيل الزراعية، فأعدها -عن القمح، الفول، العدس، الذرة، الأرز والحمص- أعدها في صفحة واحدة وقدمها للوالي. اطلع الوالي عليها وقال له: إنك إذا جمعتها في صفحة واحدة فقد خلطتها وأتلفتها؛ لذلك تصادر أموالك وتحبس لإفسادك محاصيل البلاد وقد كان. وفي السجن أدرك القاضي عقلية الوالي، فراجع حسابات المحاصيل، وقدم حساب كل محصول في ورقة مستقلة فأعجب الوالي بكفاءة القاضي وكيف استطاع عزل الحبوب من بعضها بدقة، فعفى عنه وكافأه!!.

الحلقة العاشرة : الخميس ٦ ديسمبر ١٩٩٠م

أحدثكم اليوم عن موضوع شيق وهام ومؤلم في ذات الوقت تداولناه أثناء إقامتنا بسجن كوبر.

لقد كان المثقفون السودانيون وأهل الحاضرة السودانية بوجه عام ينظرون لمستقبل السودان منذ الخمسينات والستينات بآمال عراض.

(١) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢هـ ١١٣٧م- ٥٨٩ هـ ١١٩٣م) سبقت ترجمته في الجزء الأول.

كانوا يقارنون أنفسهم بالبلاد العربية فيجدون ظروفهم أفضل؛ وكذلك يقارنون أنفسهم بالبلاد الأفريقية فيجدون وضعهم أحسن.

وكان السودانيون حيثما وجدوا أنفسهم في معاهد وكليات أوربا وأمريكا مع زملائهم من البلاد الأفريقية والعربية وجدوا أن الجمعيات والروابط التي كونها العرب والأفارقة غالبًا ما تعهد لسوداني بالرئاسة والأمانة العامة .

كانت هذه تجربتنا الشخصية في جامعة أكسفورد في بريطانيا، وكنا نسمع من زملائنا السودانيين في الجامعات الأخرى أن وضعهم مماثل. وكان العرب والأفارقة الذين يعملون مع سودانيين في وظائف دولية يشهدون للسودانيين بكثير من الفضل، وعلى هذه الوتيرة شاعت تعليقات الزعماء العرب عن إشادتهم بأداء الخبراء والإداريين السودانيين الذين اغتربوا في بلادهم، ولعل أشهر تعليق في هذا الصدد هو ما قاله الامير الحسن[1] ولي عهد الأردن آنذاك، إذ قال وهو يعلق على امتياز السلوك السوداني أن ثمة نهجًا سلوكيًا رفيعًا سماه إنسانيات سودانية.

وإلى جانب هذه الانطباعات الإيجابية كان التفاؤل يملأ جوانح السودانيين بأن بالسودان ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة، وأن فيه ١٤ نهرًا، وأن فيه مصادر مياه أخرى جوفية ومطرية، وأن الثروة الحيوانية فيه تتجاوز ١٠٠ مليون رأس، كذلك

---

(١) الحسن بن طلال (ولد ٢٠ مارس عام١٩٤٧ م)، وهو شقيق الملك حسين رحمه الله، والأخ الأصغر له. تولى ولاية العهد عام ١٩٦٥م، خريج كلية كرايست تشيرتش، بجامعة أكسفورد ، وظل يقوم بدور المستشار السياسي المقرب للملك حسين، ونائبه، إلى أن عاد الملك حسين من رحلة علاجه بالولايات المتحدة الأمريكية إلى عمان يوم ١٩ / ١/ ١٩٩٩م، ليصدر مرسومًا ملكيًا بتعيين ابنه الأمير عبد الله بن حسين وليًا للعهد بدلاً من شقيقه الحسن، بعد تنحية الأمير الحسن عن ولاية العهد وذلك في تعديل مفاجئ . عمل على تأسيس ورعاية عدد من المؤسسات واللجان الأردنية والدولية، هذا علاوة على اشتراكه في عملية التنمية الاقتصادية في الأردن، ونشاطه الفكري الملموس فله خلفية ثقافية واسعة واهتمامات اقتصادية وعلمية عديدة.

الثروة الغابية فيه لا تقدر بثمن.

وكان المسئولون السودانيون في الخمسينات والستينات إذا حضروا اجتماعات البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي قيل لهم: مرحبًا برجل إفريقيا الغني (أثناء إعداد هذا الكتاب للطباعة في ١٩٩٣م كان صندوق النقد الدولي قد علق حق السودان في التصويت تمهيدًا لإجراءات أخرى ضده أكثر قسوة)!! وكان أداء الاقتصاد السوداني في القطاع العام والخاص والتقليدي جيدًا جدًا مما كان يحقق توازنًا داخليًا إيجابيًا وتوازنًا خارجيًا إيجابيًا، وكان السودان غير مدين ويحقق التنمية من فوائض ميزانياته، وكان الجنيه السوداني يعكس هذه الحالة الصحية ويساوي ٣,٥ من الدولارات!

وكانت مؤسسات السودان مضرب المثل في الجودة وحسن الأداء: الخدمة المدنية، القوات المسلحة، الشرطة، السجون، القضاء، الجامعة، التعليم العام، التعليم الأهلي، التعليم الفني، الخدمات الاجتماعية، التليفونات، التلغرافات مشروع الجزيرة، السكة حديد، ...الخ كل هذه المرافق كانت تعمل بكفاءة عالية مما جعل كثيرا من الأفارقة والخبراء الدوليين يقولون: إن السودان هو بروسيا إفريقيا (إشارة لتفوق بروسيا في أوساط أوروبا).

وصار للخبراء السودانيين في المجالات المختلفة دور مرموق وصار يقال: إن السودان سيكون سلة غذاء إقليمي وعالمي، لقد كان يبدو للسودانيين أنه لا حد للمستوى الذي سوف يحلق فيه السودان المتوقع أن يشق عنان السماء!.

وظهرت هذه الثقة بالنفس والأمل في المستقبل في الأدب شعرًا ونثرًا قال محمد المكي إبراهيم:

جيل العطاء لعزمنا حتما

يذل المستحيل وننتصر

وسنبدع الدنيا الجديدة

وفق ما نهوى

ونحمل عبء أن نبني الحياة ونبتكر

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وجاءت ظروف السودان من مجاعات ونظم قهرية فاشلة لتسلب السودانيين تفاؤلهم وآمالهم، بل إن الأداء السقيم في ظل المجاعات والقهر والإذلال خلق لدى كثير من المثقفين السودانيين وأهل الحواضر والبوادي تشاؤمًا كبيرًا حول أوضاع السودان، لقد ضاعت الصورة الوردية وحلت محلها صورة تشاؤمية داكنة لذلك صار تطلع كثير من أهل السودان أن يغادروه لا اغترابا كما كان الحال ولكن هربًا من ظروفه، بل صار السودانيون يهربون أموالهم للخارج، وصارت عواصم عديدة تعد نزوح السودانيين الأثرياء إليها من أسباب انتعاشها.

صار الذين يؤمنون بالسودان الواعد أو يجدون أي أمل في أحوال السودان عددًا قليلًا جدًا يسخر منه الآخرون، بل صارت الإشاعات والنكات التي يؤلفها السودانيون عن ظروف بلادهم تجسد هذا التشاؤم الجديد، وكلها تقريبًا ترشح السودان للويل والثبور وسوء المصير.

قال محمد المكي إبراهيم بعد أن تبدل التفاؤل بالتشاؤم:

ولكن ها هي الوعول تأوي إلى شعب الجبل

مقطوعة الأنفاس

وتحت البيرق الأبيض

تنتظر رصاصة الرحمة

وقال عالم عباس:

يميع وطن

كقطعة الثلج وقد شواها لهب الظهيرة

ونحن حوله على رؤوسنا الطير

وفي العيون حيرة مطفأة

ودمعة كسيرة

نجول بين الحبل والجلاد

منفيين في البلاد

هدنا الوهن

وفي الجوانح الإحن

نسائل الدمن

هل التي تعممت أرجلنا؟

أم الرؤوس انتعلت أحذية

هل القميص ما نلبس أم كفن؟

وأينا الفطن؟

هذا المقهقه الغارق في ضحكه

أم السادر في الأوهام والوسن؟

وطن .. وطن

كان لنا وطن!

فيما يلي نماذج من النكات التي تعبر عن التشاؤم الجديد الذي أحاط بتصورات السودانيين لبلادهم:

❖ قيل إن عددًا من الناس التقوا في جهنم، وطلب كل واحد أن يتصل هاتفيًا بأهله في الدنيا، فسجلت الطلبات وكان على الأمريكي أن يدفع ألف دولار، وكذلك البريطاني وهكذا كانت الفئات المالية المطلوبة من أوربيين وعرب متقاربة، أما السوداني فقد طلب منه ٣ قروش فقط فاحتج الآخرون، لماذا يدفعون آلاف الدولارات والسوداني يدفع ٣ قروش؟ قيل لهم إن السوداني إنما يحاسب على مكالمة داخلية!!

❖ وقال الشيخ أحمد داود: إذا دفنتم المواطن السوداني فلا تنسوا أن تدفنوا معه بطاقة الهوية. قيل لماذا؟ قال لأنها ستشفع له يوم القيامة فلا يعذب بالنار لأن الله أكرم من أن يعذب الإنسان مرتين!!

❖ وقيل إن عددًا من الرؤساء كانوا يسألون حاسبًا إلكترونيًا عن متى سوف يتحسن اقتصاد بلادهم، فبدأ السؤال الرئيس المصري حسني مبارك: متى يتحسن الاقتصاد المصري؟ قال الحاسب: بعد ١٠ سنوات، فبكى الرئيس المصري ثم جاء دور الرئيس الشاذلي فسأله عن متى يتحسن الاقتصاد الجزائري؟ قال الحاسب: بعد ٨ سنوات، فبكى الرئيس الجزائري... وهكذا تقدم الرؤساء يسألون، يجابون فيبكون حتى بلغ الدور السيد عمر حسن أحمد البشير فوقف أمام الحاسب، وسأل متى يتحسن الاقتصاد السوداني؟ فبكي الحاسب!!.

❖ وقيل: إن الخلق التمست من الله حل مشاكلها المستعصية فمن الناس من شكا تلوث البيئة فأجيبوا ما ينبغي أن يفعلوا، واشتكى آخرون من مرض الإيدز، فوجهوا... وهكذا كل شعب التمس حلًا لمشكلة مستعصية ثم جاء السودانيون مطالبين بحل مشاكلهم فسألهم الملائكة: من أين جئتم ؟ قالوا: من السودان الذي

هو جنوب مصر وغرب الحجاز و.. إلخ قال الملائكة: ما الذي جاء بكم إلى هذه المنطقة فإنها محجوزة لتكون فيها جهنم يوم القيامة!!

❖ كثير من السودانيين الذين يجدون سبيلًا للسفر للخارج يسألهم ذووهم: كيف تركتم البلد؟ فيقولون: القيامة قامت في السودان، وتركنا الناس بين يدي عذاب شديد!!

❖ وقيل: إن أحدهم سأل عن حجم السودان فقال له المجيب: مليون ميل مربع، فقال: لا ، بل مليون مكعب! قيل له لماذا؟ قال: لأنه حفرة!!

❖ وشاع بين السودانيين أن السودان صار بلد قمع وتسلط. ومن النكات السودانية تعليقًا على أساليب أجهزة الأمن التي تحمي ذلك الوضع، قيل: إن البوليس الدولي أتى بمجموعة من رجال الأمن من بلدان مختلفة للتدريب، فطلب منهم المدرب دخول إحدى الغابات والقبض على قرد، فانبرى له السوفيت وأحضروه في أربعة ساعات. ثم انبرى له الأمريكان فقبضوه في ساعتين ثم انبرى له الأمن السوداني وبعد يوم كامل وجدوهم قد قبضوا على كلب يعذبونه ليقول أنا قرد!!

وهكذا تعددت النكات مصورة تشاؤم كبير بحال السودان ومآله، وهو تشاؤم ساعدت الظروف الطبيعية والاجتماعية والدولية على إعطائه مصداقية حاسمة.

لقد تداولنا هذه الحقائق في سجن كوبر كما أسلفت، وقلنا: ينبغي أن نحاول الخروج من صورة التفاؤل القديمة، وصورة التشاؤم الجديدة واتفق الرأي أن إحدى وسائل الوصول لرأي معتدل حول أوضاع السودان أن نحاول رسم صورة ذاتية للسوداني، كأنما نرفع لأنفسنا مرآة لنرى ذاتنا بصورة موضوعية نحدد فيها معالم شخصيتنا لعلنا بذلك نتجنب الخيال الذي يتأرجح من التفاؤل إلى التشاؤم ونحدد نقاط القوة لندعمها، ونقاط الضعف لنسلط عليها كل الوسائل التربوية

والتعليمية، للتخلص منها. وكان الرأي أن نكتب ورقة تكون عبارة عن Sudanese Self-Portrait أي صورة للشخصية السودانية، على أن توزع هذه الصورة لعدد كبير من السودانيين للتعليق عليها ثم تمحص الآراء، وتنشر الصورة في شكلها النهائي ليستفاد منها في تحديد الإيجابيات ودعمها، وتحديد السلبيات للتخلص منها.

لا شك في وجود الإيجابيات الآتية في الشخصية السودانية المذكورة:

- الذكاء الفطري.
- الكرم لا سيما على الصعيد الشخصي.
- التسامح الفكري والسياسي.
- التواضع لا سيما في المظهر.
- الإحساس الشديد بالكرامة.
- النظافة لا سيما نظافة الإنسان في شخصه.
- الحياء لا سيما عدم المواجهة بالشر.

ولا شك في وجود السلبيات الآتية:

- الكسل الحسي والمعنوي كأن الأمور ستقضي نفسها بنفسها.
- الحسد بحيث يغمط حق الآخرين ولا يعترف بالتفوق لمستحقيه.
- عدم الجدية في كثير من المجالات وتغطية عدم الجدية بالكذب لا سيما في مجال إخلاف المواعيد.

النزعة للمحاكاة وعدم الابتكار.

- الاهتمام النسبي بالأخلاق الشخصية مثل العرض، وعدم الاهتمام النسبي

بالأخلاق العامة مثل الوفاء أو التضحية ..الخ.

- الشجاعة النسبية في إطار المسائل الشخصية مثل التصدي للإساءة والجبن النسبي في الإطار العام مثل الأمور الوظيفية والوطنية.

- يقابل النظافة الشخصية القذارة البيئوية والسكنية.

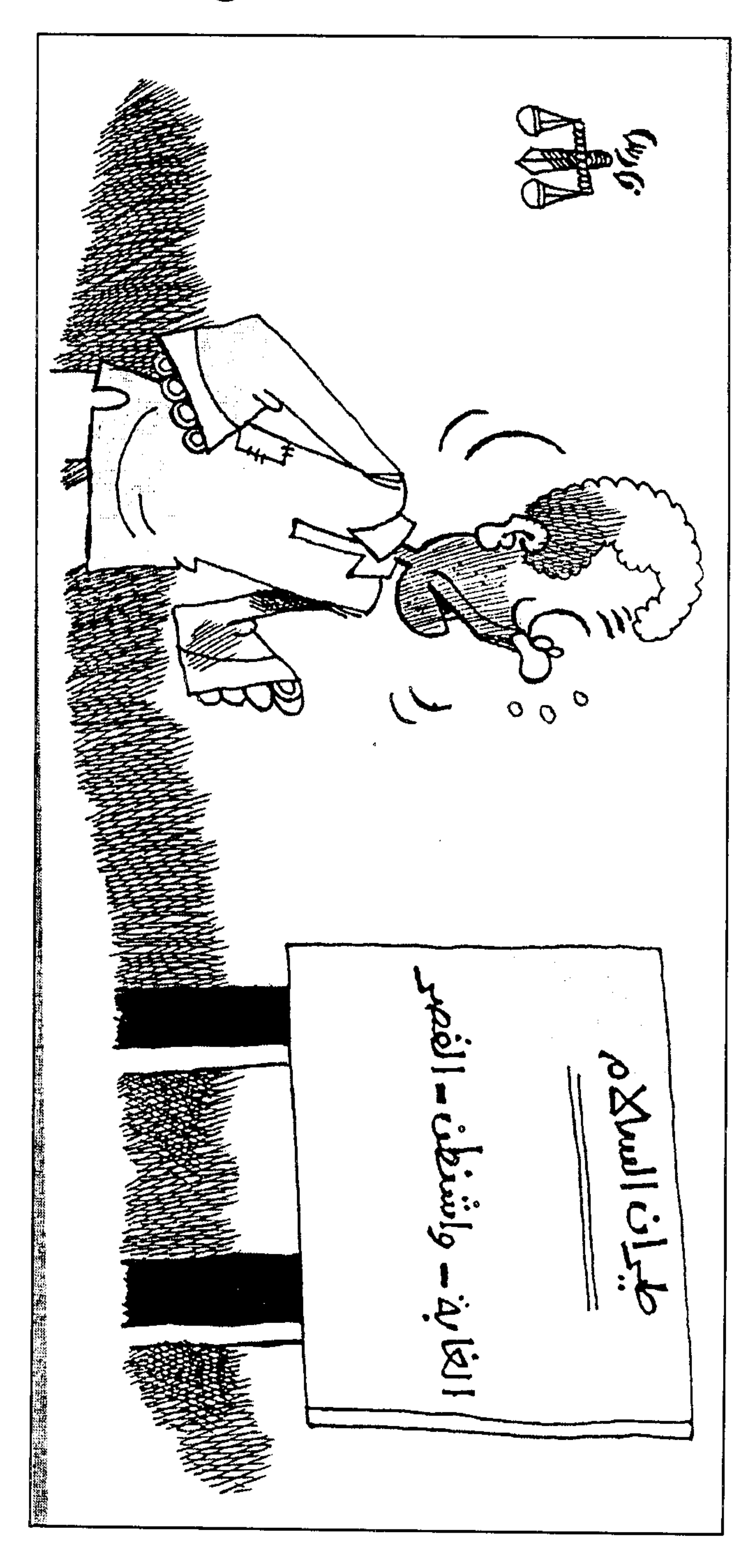
- ومن السلبيات الهامة نزعة الرضا عن النفس دون مبرر.

هذه بعض نقاط القوة والضعف في الشخصية السودانية، ولا شك أن رسم صورة كاملة يحتاج لتفاصيل أكثر، ولمساهمة أوسع ولكن آن الأوان ـ لا سيما والمزاج السوداني يتأرجح من التفاؤل الشديد للتشاؤم الشديد ـ لأن يجتهد المفكرون والكتاب السودانيون للمشاركة في رسم الصورة الذاتية للشخصية السودانية ليتزود بها أرباب وربات الأسر والمعلمون والإعلاميون والمربون لدعم الإيجابيات، وتسليط كل الوسائل للتخلص من السلبيات.

ختامًا:

عندما تحقق الاستقلال وفي العهود الديمقراطية كان التفاؤل غالبا مهما كثرت المشاكل. ولكن النظم الشمولية والأيديولوجيات الواهمة وما صحبها من قهر وإذلال والحرب الأهلية هي العوامل التي عصفت بالتفاؤل السوداني وأحلت محله التشاؤم.

كاركاتير فارس (منشور بصحيفة آخر لحظة بتاريخ الأحد ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٦م)



الجزء الرابع

المقامة الجعفرية

لقد ذكرت في المقدمة الظروف والملابسات التي تمت فيها كتابة هذا القسم. إنها دعوة لأصحاب الأقلام لإحياء التراث في شكل يناسب المزاج المعاصر، ويعبر عن هموم الوطن فما أشبه الليلة بالبارحة؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

المقامة الجعفرية الأولى

رسالة الترويع بالتشريع

نوفمبر ١٩٨٤م

الحمدُ لله المحمودِ على الخيرِ والشرْ، المسئولِ عن النفعِ والضرْ، والصلاةُ على خيرِ البَشَرْ، المُصطفى في ربيعةٍ ومُضَرْ، أما بعدُ-

حدّثنا محمّد أحمد الخطيبُ، عن محمّد علي الدبّاغِ، عن إبراهيمِ البقّالِ، عن زيْنبَ الحائكةِ، عن مَلوال النجارِ، عن كوكو الشرطيِّ، عن أوهاج الجنديِّ، عن زكريا السجانِ، عن تاوُر البدويِّ، عن مَرْيم الطَّالِبةِ، عَنْ الفَاتِحِ الجرّاحِ، عَنْ عَبْد الحَميْدِ الفَلّاحِ، عَنْ عَبدِ الرَحْمَن الغزّالِ، أنَّ حَكِيمًا سُودَانيًا حَمَدَ اللهَ وأثْنَى عليهِ وصلَّى علَى نبيِّه ثمّ قال:

قـالَ تعـالَى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[1]؟

(١) سورة العنكبوت: الآيتان ١ و ٢.

فَشَاءَ اللهُ بِحِكْمتهِ البالغةِ أن يبْلُوَ أهلَ السُودان بذي الجيمِ والنونْ، واليًا لم تأتْ بمِثْلِهِ القُرُونْ، استلمَ حُكمَ البلادِ ظافرًا وخرجَ مِنْ كُلِّ العقَباتِ مُظَفرًا. فانْبَرى لِشعاراتِ الوَرَى الزاهِرةِ المُحبَّبَةِ فَرفعهَا شِعارًا شعارًا. قال: جِئتُكم بالاشتراكيةِ العلميةِ، فقال له المحرمونَ: لبيكَ وسَعْدَيكَ والخيرُ كُلّه بيديكَ، فصادَرَ وأمّمْ، وزَجَر معارضيه وأفْحَمْ.

ولَكَن قَبلَ إشْرَاقِ الفَجْرِ العِمْلاقْ، أدْركَهُ الإخفاقْ، وتأكّد أنَّ التجربةَ قَدْ أفسدَت الحرثَ والنسلَ والأخلاقْ.

وانْبرَى لبرنَامِج الأحزابِ السودانيةْ، الخَاص بالمُشكلةِ الجنوبيةْ، فاتّخذَهُ مِفتاحًا للوحدةِ الوطنيةْ، وتَجاوبَتْ معَهُ القُوى الجنوبيّةْ، وعَقَدَ معَها الاتفاقيّةَ الحبَشيّةْ، ورشّحهُ بعضُ النّاسِ لجائزةِ السلامِ العالميةْ، ثمّ عاوَدَتهُ الشنْشَنَةُ الأصليّةْ، فَخَرقَ الاتفاقيّةْ، وأشْعَلَ نِيرانَ الحربِ الأهليّةْ.

وقَبْلَ تِلك الزلّةِ المأسَويّةْ، رفَعَ الوالي شِعارَ التنميةِ الاقتصاديّةْ، ونَادَى بالسودَان سلّةً للعالَمِ غذائيّةْ، وغنّى موَّالَ العداءِ للشيوعيّةْ، فأطربَ أصحابَ الأموالِ الغربيّةِ والعربيّةْ، فتدفقَت الأموالُ لتُحدِثَ الثورةَ الزراعيّةَ والصناعيّةْ، بمُوجبِ الخطّةِ السِتِّيّةْ، وكانَتْ خطّةً فِي غايةِ السطحيّةْ، وأشرفَ عليهَا تخطيطًا وتنفيذًا فاقِدُو الأهليّةْ، فتحوّلَت التنميةُ إلَى أُمنياتٍ وهميّةْ، وضَاعَت الأموالُ فِي الجيوبِ الخصوصيّةْ، وتدنّى إنتاجُ البلادِ إلى نِصْفِ حالتِهِ الأوليّةْ، بينما عَظُمَتْ علَى كاهِلِ البلادِ المديونيّةْ، وفُرضَتْ علَى البِلادِ برَامِجُ صُندوقِ النقدِ العلاجيّةْ، فأتَتْ بنتائِجَ عكْسيّةْ، وصَارتْ عَلَى مرِّ الأيامِ دائيةً لَا دوائيّةْ.

وقَبلَ السُقوطِ فِي هَذهِ الهَاويَةِ التنمويّةْ، رَفَعَ الوالي شِعَارَ المُصالحةِ الوَطنيّةْ، وعَقَدَ مَعَ الوطنيينَ عُهُودًا إصلَاحيّةْ، أعْطَت البلادَ ابتِسامةً وقتيّةْ، سُرعان مَا نَقَضتْها

السدَنَةُ المايويّةْ، ورَفَضَتْها الوِصايَةُ السَاداتيّةْ، وبَينَما الوالي ونِظامُهُ يُعاني مِن المَفاسِدِ الداخليّةْ، ويَمْتَثِلُ للتبعيّةِ الخارجيّةْ، تَصدّتْ لَهُ المُعارضةُ السياسيّةْ، والحركاتُ الفِئَويّةِ النقابيّةِ والمهنيّةْ، ولِكَيْ يُحْكِمَ القبْضةَ الحديديّةْ، ويُعلِّقَ الحُقوقَ القَانونيّةْ، كَانَ عليهِ أَنْ يَقهَرَ الهيئةَ القضَائيّةْ، فَدَخَلَ مَعَهَا فِي مُنازلَةٍ تَاريخيّةْ، فَوَقَفَتْ فِي وَجْهِهِ وَقْفَةً عَنتريّةْ، فَرَأى أنْ يُغطّي هَزِيمَتَهُ الاستراتيجيّةْ، بِمُبادأةٍ تَكْتيكيّةْ.

إنّهُ فكّرَ وقدَّرْ، ونَقَل نَفْسَهُ مِن الفرِّ إلَى الكَرْ، بِرُكوبِ جوادٍ أَغَرْ، جَوَادُ الشريعةِ الأَزْهَرْ، وهَجَمَ بِه هُجُومَ الغَرْ، الذِي لا يَخْشَى عاقبَةَ الأمْرْ، وأكّد لكلِّ البَشَرْ، أنّ الشَرْع عِنْدَه قَدَاسَةٌ للسُلْطانْ، وتَعَاسَةٌ للإنْسَانْ، فَقَطَعَ مِن الأَيْدِي فِي نِصْفِ عامْ، أَضْعَافَ ما قَطَعَ العَهْدُ الإسلاميُّ الأوّلُ فِي مائةِ عامْ!

ومَعَ أنّ الجَلدَ فِي نَظَرِ الشَرْيعةْ، عُقُوبةٌ مريْعةْ، مُخصصةٌ للجرائِمِ الفظيْعةْ، عَمّمَهُ الوالِي ليَجْلِدَ الناسَ بكلِّ ذريْعَةْ.

لَقَدْ صَارَ أهلُ السودَان وهُمْ غالِبًا جِيَاعُ الأكبادْ، عُراةُ الأجسَادْ، بَيْنَ مَقْطُوعٍ ومَجْلُودٍ ومَجْدُوعٍ وحبيسٍ في الأَصْفادْ، يُعانُونَ شريْعَة الجَلّادْ.

وهل أَتَاكَ نبأُ الواثِقِ مَسِيحِ الحماقَةِ المَايويّةْ؟ والفَاتِحِ ضَحيّةِ المَحَاكِمِ الجُزافيّةْ؟ ومَهْدي وزميْلِه اللذَانِ قُطِعَا مِن خِلافٍ فِي سَرِقةٍ فِيها شُبهةُ المِلْكيّةْ؟ دِماءُ هؤلاءِ تَصيحُ اللّهمَ أقتَصَّ لنَا مِنْ هَذِه الدولةِ السَاديّةْ. إنَّ القَفْزَةَ الجعفريّةْ، عَلَى قَافِلَةِ السُنّةِ المُحمديّةْ، هِي شَهْوةُ وَالٍ سِياسِيّةْ، اسْتَعَانتْ بِخِبْرةِ ثالوثٍ هُم أَبو قُرُونٍ وعَوَضٌ وَبَدْريّةْ، ثالوثٌ فطيرُ المعْرفةِ الشَرْعيّةْ، قليلُ الحَصِيلةِ القَانونيّةْ، واسْتَغَلّتْ بَعضَ الطرقِ الصوفيّةِ الفَرعيّةْ، واسْتَخْدَمَتْ هَيْئةً تَسْمِيتُها إسلاميّةْ، وأفعالُها نَفْعيّةٌ دُنيويّةْ.

اللّهمَ ارْحَمْنَا مِن هَذِه الألاعيبِ الصِبْيانيّةْ. لَقَدْ سَمِعَ النَاسُ رَئِيسَ الهيئةِ الثُلاثيّةْ، أَبَا قُرُونٍ يَتَلاعبُ بالمدائِحِ النبويّةْ، تصدّى لقولِ مَادحِ الصُوفيّةْ:

صَلِّ يَا عظيمَ الذاتْ

على صاحب المعجزاتْ

دائمًا، الناجَى شَاف الذاتْ

فَنَقَلَ النشيدَ مِن الذاتِ المُحمديّةْ، إلَى عزةٍ وبثينةٍ ورُقيّةْ، قَائلًا:

غنيت للستّاتْ

أَنَا قَصْدِي الانبساط ،

دائمًا، يا خلّي مع البَنَاتْ!

أما قُضَاةُ المحَاكِمِ الإنْجازيّةْ، فَجَماعةٌ مُختارةٌ لإصْدارِ أَحْكام تَرْهيبيّةْ، بَعيدةٍ كُلّ البُعْدِ عَن العدالةِ السَماويّةْ، أشْهَرُهم الذِي كَثُرَتْ أحْكامُهُ التَعسُّفيّةْ، وطَبّلَتْ لَه الأجْهِزةُ الإعلاميّةْ، قَاضٍ مُصابٌ بِالأَمْراضِ العَصبيّةْ، بِذَا شَهِدَتْ دَفَاتِرُ «شيخ إدريس» العِيَاديّةْ!

إنَّ اللهَ أرْسلَ مُحَمّدًا ﷺ رَحْمَةً للعَالَمِين، أيْنَ عدلُ الشريعةِ ورحْمتُها؟ أينَ رَخاؤها وعزّتُها؟ أيْنَ قولُ مُنْزِلِها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]؟

لَقَد لحِقَ بالسُودانَ شَقَاءٌ بالِغٌ، وضيَاعٌ قَالَ فيه القائلُ:

نَحْنُ واللهِ فِي سوءِ حَالٍ

لَوْ رَأيْناهُ فِي المَنَامِ فَزِعْنَا

أَصْبحَ النَاسُ مِنْهُ فِي شَقَاءٍ

حَقُّ مَنْ مَاتَ منْهُمو أنْ يُهَنّا

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.

وفَوقَ المُعاناةِ الحِسيّةْ، انْهَالَتْ علَى أَهْلِ السُودَان عَذاباتٌ مَعنويّةْ، ولَوثَاتٌ عَقائديّةْ، وافْتراءاتٌ فِكريّةْ.. انْهالت عَليهمْ مِن الخُطبِ المنبريّةْ، والأجْهزةِ الإعْلاميّةْ، حَاكتْ فِي سُخفِها قُرْآنَ مُسيلمةٍ وأقاويلَ سجاحَ وأساطيرَها المرويّةْ، فِي الكتبِ التاريخيّةْ. إليْكَ مِنْ هَذه التجربةِ المَايويّةْ، هَذه الأمْثال المنْقولة عن الأجهزةِ المسمُوعةِ والمرئيّةْ:

أولًا: سمّى الوالِي «الآخِر» اليوم «الآخَر».

ثَانيًا: سمّى الوالِي ربَّ العزَّةِ «الموفَّق» فأضَافَ لأسماءِ اللهِ الحُسْنَى اسْمًا مغلوطًا مئويًا!.

ثَالثًا: أضافَ للقُرآنِ تعبيرًا إنسانيًا قال: جَاء فِي القُرآنِ وصفًا للنبيِّ «كَانَ خُلُقُهُ القُرآنَ»!.

رَابعًا: أضافَ للسيرةِ المُحمديّةْ، تَعَابيرَ غَريبةً وحشيّةْ، قال مشيرا للذات النبويّةْ: «فَقَشُوا راسُه»! وقال: إنّهُ أعْلنَ حالةَ الطَوارِئِ فِي أحْكامِهِ السِياسيّةْ!.

خَامسًا: مَنحَ بَعْضَ الصَحَابةِ أَسماءً عَصْريّةْ، مُشيرًا لِمَنْ سمّاهُ عُمَر بنْ العَاصِ - أكَلَ الواوَ كما فَعَلتْ الطُغْمةُ المَايويّةْ، بالأمْوالِ الحُكوميّةْ!.

سَادسًا: أدْخَلَ فِي الزَكاةِ مَصَاريْفَ إضَافيّةْ، قال: إنّها تَدْخُلُ فِي تَمْويلِ كُلِّ الشُئونِ الحُكوميّةْ!.

سَابعًا: زَاد الحُدودَ زيَاداتٍ ابْتِدَاعيّةْ، قَائِلًا: يُقْطَعُ اللِسَانُ لِمُروِّجي الإشَاعةِ، وقَاسَ الاختِلاسَ عَلَى الحَرابةِ وقَطَعَ فِيهِ مِنْ خِلَافٍ!.

ثَامِنًا: وعِنْدَمَا شَارَفَ الستّينْ، اكْتشفَ الوَالِي بَعْضَ مَعَانِي الدِينْ، وفَاتَهُ أنَّ السُودانيينْ، كانُوا يُصَلُّونْ، ويَصُومونَ ويُزَكُّونْ، وشُيُوخُهُمْ يُبَايعُونْ، بينَما هُوَ مُجَنْدَلٌ

فِي الطِينْ، فَرَاحَ يَعْلُو كُلَّ مِنْبَرٍ يُكَرِّرُ الوَعْدَ والوَعِيْدْ، كَمَا يُوْلَعُ طِفْلٌ بِكلِّ جَديدْ، قَالَ بَعدَ العِيدْ: إنَّ كَثيْرًا مِن الشبّان فِي شوال صلُّوا السُتوتْ!!.

تَاسِعًا: وأَفْتَى بِأَحْكامٍ سُلْطانيّةْ، مَا سَمِعْنا بِمثْلِها فِي البَرِيّةْ، فَقَالَ إنَّ رِئاسَةَ الجُمْهُوريّةْ، ومُؤهّلاتِها، سهلةٌ دَنيّةْ، تَشْمَلُ فيمَا تَشملُ الإمامَةَ والخِلافَةَ وإمَارَةَ المُؤمنيْن، ومُؤَهّلاتُها صَعبةٌ قَصِيّةْ:

اسْفِنْجةٌ جَاءَتْ لِشُربِ بَحْرِ
وشَمْعةٌ ضَاءَتْ لِشَمْسِ ظُهْرِ
(والشَيخُ جَعْفَر) فِي مَجَال الفِكْرِ
ثَلاثةٌ مُضْحِكةٌ لِعَمْرِي!!

عَاشِرًا: وعِنْدَمَا عَرِفَ الوَالِي حُقُوقَ الإنْسَانْ، قَالَ إنّهَا حَقُّ المَأْكَلِ والمَلْبَسِ والمَسْكنِ بِلا زيادةٍ ولا نُقْصَانْ، أمَا سَمِعَ الوَالِي قَوْلَ الديَّانْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[1]؟!

أَوْ سَمِعَ قَولَ الرُبَّانْ: «رَحِمَ اللهُ امْرَءًا عَرِفَ قَدْرَ نَفْسِهِ»؟! أَوْ سَمِعَ شِعْرَ الإنْسَانْ:

لَيْسَ أشْجَى لِفُؤَادِي
مِنْ دَميمٍ يَتَحالَى
وعَجُوزٍ تَتَصابَي
وعَلِيمٍ يَتَغَابَي

(١) سورة غافر: الآية ٥٦.

وَجَهولٍ يَملأُ الدُنيَا سُؤالًا وجَوابَا

إنَّـه مَـاضٍ للأَمَـامْ، يَـذلُّ الرِقَـابَ ويَـدُوسُ الهَـامْ، ويُعْلِـنُ السِياسـاتِ ويُؤلِّـفُ الأَحْكامْ، ويسْتَدِلُّ باسْتِمْرارِهِ عَلَى رِضَـا الأَنَـامْ، مَعَ أَنَّ اسْتِمرارَ النِظَامْ، رُغْـمَ كُـلِّ أَسْبابِ الإعْـدَامْ، مَعْنَاهُ فِي لُغَـةِ العَـارِفِينْ: إسْتِدَراجُ الظَالِمِ وامْتِحـانُ المَظْلُـومينْ. إنَّ مُكابَداتِ الحَقِّ امْتحانَاتْ، وانتِصَاراتُ البَاطِلِ إمْهَالاتْ، وقَريْبًا يَنْتَهِي الامْتِحَـانْ، ويَنْتصرُ عَلَى قَاهِرِهِمْ وجلَّادِهِم أَهْلُ السُودَانْ، ويَسِيْرُ بِخَـبَرِ هَـذِهِ التَجْربَـةِ الرُكْبَانْ، وتَحَارُ فِي وَصْـفِهَا أَجْيَـالُ آخِرِ الزَمَـانْ، وتِلْـتَمِسُ مِنْهَـا أَصْـدَقَ البُرْهَـانْ، عَـلَى مَقَـالِ يُوْسُفِ الصِدِّيقِ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1].

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**